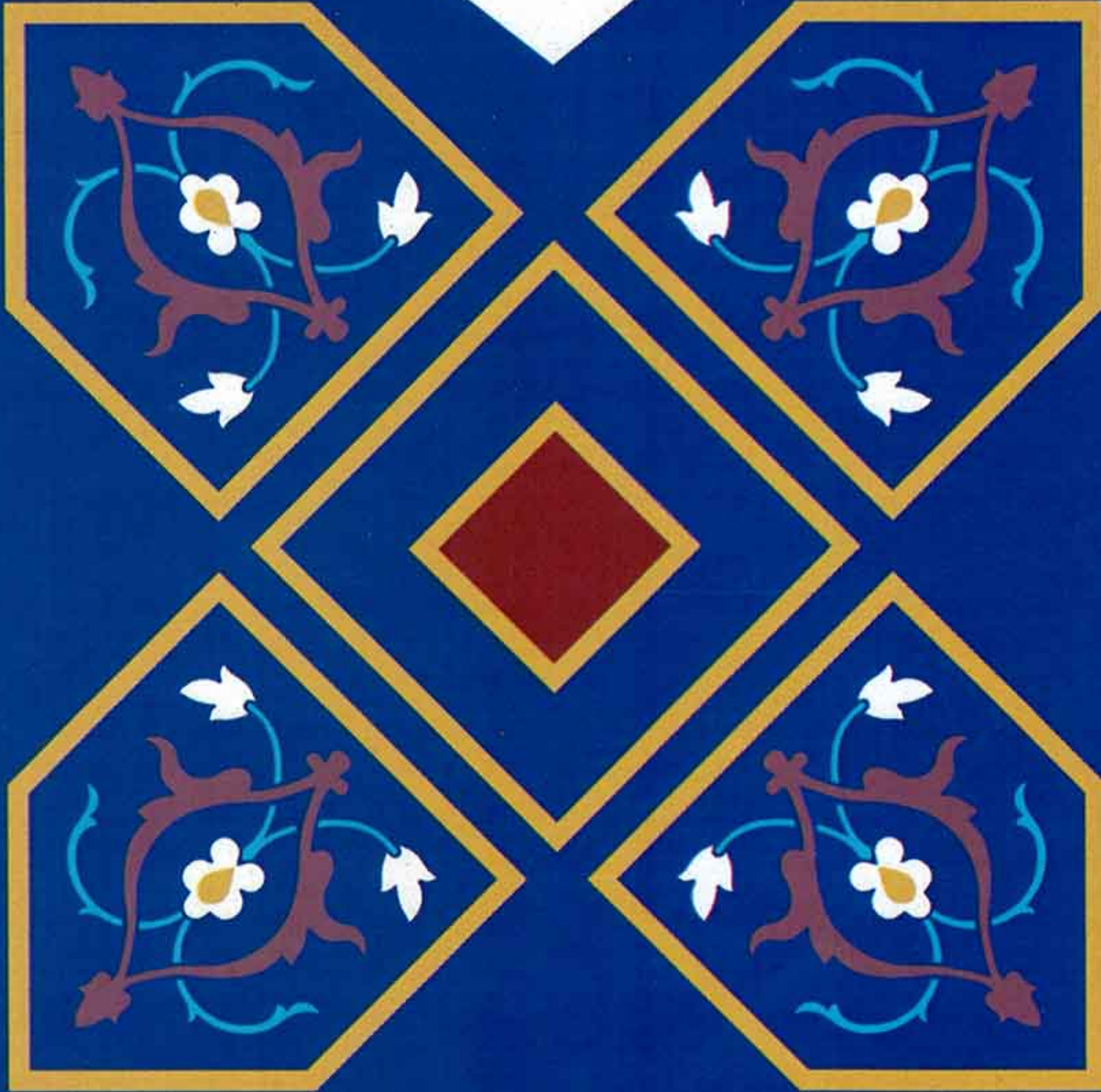




مجلة تخصصية تعني بالمهدوية
العدد الثالث عشر
شعبان المعظم ١٤٣٩ هـ ق

١٣



علاقة التعاليم المهدوية بالتربية و التعليم الإسلامية

الدكتور مجتبي كودرزي

طريق الرشاد الي علامات الظهور

عائده طالب

دولة الإمام المهدي (ع) في السياق الحضاري: العدالة ونهاية التاريخ

الدكتور محمد شقير

اثر الغيبة علي الإرث العلمي لعلماء الشيعة الإمامية في

العراق من الغيبة (٣٦٠هـ) إلى نهاية العصر البويهبي (٤٤٧هـ)

الدكتور عمار عبودي نصار

الانتظار و سر مدياته لدي أبناء العامة

الدكتور حسين إلهي نجاد

أنواع الخلاص في التقاليد الدينية المسيحية

الدكتور مهرباب صادق نيا

تأثير حكومة العدل الإلهية على المسار

التاريخي لحركة الأنبياء

الدكتور نصرت الله آيتي

دور الانتظار في تحقيق الأمة الواحدة

الدكتور محمد مهدي حائري بور

المهدي

دعوة للمشاركة في المؤتمر الدولي الرابع عشر للعقيدة المهدوية؛ المهدوية المحور المشترك بين المذاهب الاسلامية

(شعبان المعظم ١٤٣٩)

ملاحظات:

١. علي الراغبين في المشاركة وكتابة بحوث حول المحاور المذكورة في المؤتمر إرسال خلاصة منها باللغات العالمية التالية: أ - اللغة الانجليزية، ب - اللغة العربية و ذلك عبر البريد الالكتروني الخاص بالمشاركة؛ لفترة أقصاها نوفمبر ٢٠١٧م لأمانة المؤتمر ليتم دراستها والاطلاع علي مدي صلاحيتها.
٢. علي الباحثين الذين أرسلوا خلاصة مقالاتهم الي المؤتمر باللغات العالمية وتم المصادقة عليها وقبولها، إرسال بحوثهم ومقالاتهم كاملة الي المؤتمر فريبر ٢٠١٨م الي أمانة المؤتمر ليتم دراستها نهائيا.
٣. أن تكون المقالات والبحوث غير منشورة سابقا، أو لم تشارك في مؤتمرات سابقة في إيران، وسيتم طبع ونشر كافة المقالات والبحوث المقبولة، وكافة حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين.
٤. سينعقد المؤتمر في إيران، قم المقدسة، صالة المؤتمرات الدولية الرسول الأعظم مايو ٢٠١٨م المصادف شعبان عام ١٤٣٩هـ. ق.
٥. علي الراغبين في كتابة المقالات والبحوث ملاً استمارات بطاقات الدعوة المخصصة للكتابة وإرسالها الي أمانة المؤتمر. علماً بأن عدم ملاءمة الاستمارات أو ملاءمة وإرسالها نافذة سيعرقل عملية إرسال بطاقات الدعوة وإرسالها اليهم.
٦. ستقوم مؤسسة المستقبل المشرق بدفع مبالغ وتكاليف تذاكر السفر ذهاباً وإياباً لأصحاب البحوث والمقالات المقبولة مجاناً، وكذا محل إقامتهم في الفنادق.
٧. تحيط المشاركين علماً أن عليهم شراء تذاكر السفر، وسيتم تسديدها لهم فور وصولهم الي طهران و علي من يعجز عن شراء تذكرة السفر إعلام أمانة المؤتمر بذلك تسعين يوماً من زمن انعقاد المؤتمر. كما أنه سيكون لمن تأشيرة السفر - الفيزا - علي المشاركين في المؤتمر.
٨. إرسال استمارة طلب تأشيرة الدخول الي إيران، واستنساخ جواز السفر، و صورة فوتو غرافية واحدة للمتقدمين بالطلب في خارج إيران للمشاركة في المؤتمر.
٩. ستقدم المؤسسة مساعدة ودعماً في أخذ تأشيرات الدخول للراغبين في المشاركة في المؤتمر ممن لم يكتبوا بحوثاً ومقالات، ويرغبون في أن يحلوا ضيوفاً في المؤتمر، ويتحملون تكاليف ونفقات السفر وعناء المجيء الي إيران.

لستقبل أسألتكم واستفساراتكم ومقترحاتكم حول كيفية إقامة المؤتمر وإرسال البحوث والمقالات الي الأمانة العامة للمؤتمر.

العنوان : إيران، قم، شارع صفائية، زقاق ٢٥، رقم الدار ٢٧، مؤسسة المستقبل المشرق (كلية البحوث والدراسات المهدوية التخصصية)

البريد الالكتروني للمؤتمر

sec@brightfuture.ir

mdc@brightfuture.ir

mahdism.doctrine.conference@gmail.com

موقع المؤتمر:

www.mahdaviat-conference.com

رقم الهاتف: ٠٠٩٨ ٢٥ ٢٧٨٢٢٧١٤

المهدوية أمر عريق و متفق عليها بين مختلف الفرق الاسلامية. تخطيط هذه الفكرة الرائقة، المجمع عليها و بيان حدودها و فوائدها يستطيع أن يساعد المسلمين في النيل إلى أغراضهم المعنوية و يمكنهم في توحيد الأمة الاسلامية. علي هذا كرست مؤسسة المستقبل المضيئ (معهد المهدوية) في التعامل مع مجمع التقريب بين المذهب الاسلامية، إختصاص المؤتمر الدولي الرابع عشر للعقيدة المهدوية بهذا الموضوع لتقديم خطوة لهذا الهدف التقريبي. نرجو من مفكري المذاهب الاسلامية أن يساعدونا في هذا المجال.

المحور الاول: أصالة موضوع المهدوية

١. مستقبل العالم في القرآن الكريم
٢. الامام المهدي في الكتب التفسيرية للفرق الاسلامية
٣. مكانة الامام المهدي في الكتب الروائية للفرق الاسلامية
٤. دراسة مقارنة في المشتركات بين الروايات المهدوية في الفرق الاسلامية
٥. الامام المهدي في أنظار المفكرين للفرق الاسلامية
٦. خصائص الامام المهدي في الكتب الروائية للفرق الاسلامية

المحور الثاني: المهدوية و مستقبل العالم

١. أحوال المجتمعات البشرية قرب الظهور
٢. حوادث عصر الظهور في روايات الفرق الاسلامية (السفاني، خف البیداء، فتح بيت المقدس، نزول عيسى بن مريم، ...)
٣. دولة الامام المهدي
٤. العالم في عصر قيادة الامام المهدي (العدالة، الأمان، التنعم، العمران، توسعة العلوم، ...)

المحور الثالث: الآثار و الفوائد

١. تغيير الموقف تجاه العالم و التاريخ
٢. الإصلاح و التغيير في الحركات الشخصية و الاجتماعية
٣. نهج الثورة و الحركات السياسية
٤. تغيير الموقف تجاه المجتمع المثالي
٥. عرض الأفق للمجتمعات المعاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الموعود

مجلة تخصصية تعنى بالمهدوية

العدد الثالث عشر

شعبان المعظم ١٤٣٩ هـ ق

تصدر عن:

مؤسسة المستقبل المشرق

المشرف العام:

السيد مسعود بورسيد آقايي

مدير التحرير:

رضي موسوي الجيلاني

الهيئة الاستشارية:

آية الله سامي البدري، الدكتور جاسم حسين، الدكتور تيجاني السماوي، الدكتور نسيم الخوري،
الدكتور ادريس هاني، الدكتور ابوالعزائم، الدكتور محمد عبده، الدكتور احمد هاشمي، الدكتور محمد صابر
جعفري، الدكتور صادق سهرابي، الدكتور مسعود بورسيد آقايي، الدكتور نصرت الله آيتي،
الدكتور جواد جعفري و الدكتور رضي موسوي الجيلاني

مطبعة:

ناصر احمد بور

تصنيف:

علي قنيري

الكرافيك:

ابوالفضل بيكدلي نسب

فهرس المدرجات

- ٥..... الانتظار وسبرمدياته لدي أبناء العامة.....
الدكتور حسين إلهي نجاد
- ٣١..... أنواع الخلاص في التقاليد الدينية المسيحية.....
الدكتور مهرب صادق نيا
- ٤٥..... تأثير حكومة العدل الإلهية على المسار التاريخي لحركة الأنبياء.....
الدكتور نصرت الله آيتي
- ٨٧..... دور الانتظار في تحقيق الأمة الواحدة.....
الدكتور محمد مهدي حائري بور
- ١٠٩..... علاقة التعاليم المهدوية بالتربية والتعليم الإسلامية.....
الدكتور مجتبي گودرزي
- ١٣٧..... طريق الرشاد الي علامات الظهور.....
عائده طالب
- ١٧٥..... دولة الإمام المهدي (ع) في السياق الحضاري: العدالة ونهاية التاريخ.....
الدكتور محمد شقير
- اثر الغيبة علي الإرث العلمي لعلماء الشيعة الإمامية في العراق من الغيبة (٢٦٠هـ) إلي نهاية العصر
البويهجي (٤٤٧هـ).....
٢٠٧.....
الدكتور عمار عبودي نصار
- ٢٣١..... الاستكتاب التفصيلي للملتقي الخامس عشر: المهدوية والتحديات.....
تعريب: محمد حسين حكمت

الانتظار و سبر مدياته لدى أبناء العامة

الدكتور حسين إلهي نجاد^١

ملخص

تتفق الفرق الإسلامية كلها و منها أبناء العامة على مسألة (الانتظار) باعتبارها عقيدة شاملة، بل وقد نُقل الكثير من الروايات في مصادر الحديث لدى أبناء العامة التي تتعلق بقضية الانتظار، منها ما تناول هذه القضية بشكل صريح و منها ما أشار إليها ضمناً، إلا أن التفاوت بين الروايات التي صرحت بمسألة الانتظار و تلك التي أشارت إليها بشكل ضمني يكمن في كون المجموعة الأولى من الروايات تناولت هذه القضية بشكل عام بينما تطرقت المجموعة الثانية من روايات الانتظار إلى هذا الموضوع و حاولت بيانه و تفسيره على نحو خاص؛ أي أن مصادر الحديث لدى أبناء العامة بيّنت الانتظار بشكل عام بدلالة المنطوق و المطابقة ثم تناولته بشكل خاص و ذلك بدلالة المفهوم و الضمنية. و من هنا، نلاحظ أن مصادر الحديث لدى أبناء العامة و فيما يتعلق بالتصريح بقضية الانتظار، أولاً، لم تنقل لنا سوى القليل من الروايات الخاصة بذلك، و ثانياً، و حتى هذا النزر اليسير من الروايات في الحقيقة تناول موضوع الانتظار بشكله العام لا الخاص. و رغم ذلك فإن المصادر المذكورة و فيما يتعلق بالتلويح بالانتظار قد ضمت أولاً روايات كثيرة كتلك التي تشير إلى عبارات مثل (المهّدون للمهدي) و (الرايات السوداء) و (ظهور المجتدين) و (السيد الخراساني) و غير

١. أستاذ مساعد في أكاديمية العلوم و الثقافة الإسلامية قم (hosainelahi1212@gmail.com).

ذلك، وثانياً فإن جميع تلك الروايات يتم تفسيرها وفق النظرة الخاصة لموضوع الانتظار وليس النظرة العامة.

الكلمات المفتاحية: انتظار، المهدون، الرايات السود، ظهور المجددين، السيد الخراساني يمكن الوصول إلى النتيجة المطلوبة من هذا البحث وذلك من خلال الإشارة إلى بعض الأهداف المقررة، ومنها:

١. الفصل بين الانتظار العام والانتظار الخاص؛
 ٢. التمييز بين روايات الانتظار التي تصرّح بموضوع الانتظار وروايات الانتظار التي تلوح بالموضوع المذكور؛
 ٣. عطف روايات الانتظار المصّرحّة بقضية الانتظار على النظرة العامة؛
 ٤. عطف روايات الانتظار الملوّحة إلى موضوع الانتظار على النظرة الخاصة؛
 ٥. تسليط الضوء على موضوع الانتظار الخاص والتركيز عليه لدى أبناء العامة؛
 ٦. بيان مبدأ الانتظار الخاص وأبعاده عند أبناء العامة.
- الكلمات المفتاحية: الانتظار؛ أبناء العامة؛ روايات الانتظار؛ الانتظار العام؛ الانتظار الخاص؛ الرايات السود؛ الدجال.

مقدمة

بالاستناد إلى فكرة المنجي والإيمان به فإن قضية (الانتظار) تُعدّ عقيدة مهمّة وشاملة يتفق بشأنها جميع أتباع الأديان الإبراهيمية وغير الإبراهيمية، كما احتلّ موضوع الانتظار وما زال مكانة مهمّة وخطيرة للغاية في العقيدة المهدوية، فدوره المؤثّر في منح المجتمع الغاية والهدف والنظام المطلوب لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه على الإطلاق. ووفق الوثائق والمصادر الإسلامية والمراجع التاريخية فإن جميع الفرق والمذاهب الإسلامية تؤمن بفكرة الانتظار بشكل أو بآخر وتلتزم بمبادئه وأصوله، بل وضعته في مصاف عقائدها الدينية المهمة الأخرى.

ولم يكن الشيعة وأبناء العامة - باعتبارهما أكبر فرقتين إسلاميتين - بمنأى عن هذه القاعدة فهم يؤمنون بهذه القضية ويدركون دورها الرئيس في التأثير فيهم، وقد اهتمت

مصادرها - سواء التاريخية أو الحديثية أو المصادر الأخرى - بهذا الموضوع إلى حد كبير. و بالنظر إلى شمولية عقيدة الانتظار و عموميتها بين مختلف الفرق و التحل الإسلامية و كذلك بالنظر إلى قبول هذه الفكرة و الإجماع عليها من قبل جميع المسلمين، فإننا سنشير في هذه المقالة إلى عقيدة أبناء العامة و إيمانهم بموضوع الانتظار فقط و خلال ذلك سنبحث في مصادر الحديث و نسلط الضوء عليها من أجل بيان قضية الانتظار و توضيح تفاصيلها عند أبناء العامة بشكل دقيق.

ذكرنا آنفاً أن أبناء العامة تناولوا في مصادرهم موضوع الانتظار بشكل صريح و تلويحي، فورد النوع الأول في روايات تلك المصادر تحت عنوان (التصريح بالانتظار) بينما أشر في رواياتهم إلى النوع الثاني باسم (التلويح بالانتظار). و فيما يتعلق بالنوع الأول سنشير إلى الروايات و الأحاديث التي ورد فيها مفهوم الانتظار و المفاهيم المشابهة الأخرى بشكل صريح و واضح؛ أما ما يخص النوع الثاني من الانتظار فسوف نتطرق إلى الروايات و الأحاديث التي تناولت موضوع الانتظار بواسطة المفهوم أو المضمون و إن لم تُشر إلى الموضوع المذكور بدلالة المنطوق. و الخلاصة، فإننا سنبحث عن فكرة الانتظار في مصادر أبناء العامة عبر اتجاهين اثنين: المطابق و الضمني، و عليه، يمكن إيجاز سير هذا البحث و تنظيمه و الوصول إلى النتيجة المطلوبة بالشكل التالي:

١. سنعمد إلى بحث مقالة الانتظار لدى أبناء العامة فقط دون أن نشير إلى آراء الفرق الإسلامية الأخرى بهذا الشأن.
٢. سنبحث في موضوع الانتظار في مصادر أبناء العامة المعنية بهذا الموضوع فقط و ليس الخوض في جميع مؤلفاتهم و كتبهم.
٣. سيقصر بحثنا هذا على المصادر الحديثية لدى أبناء العامة و ليس جميع مصادرهم الدينية.
٤. سيكون موضوع بحثنا محدوداً بنوعي الانتظار المذكورين، أي الخاص و العام، و بيان مراتبه و تقسيماته دون الإشارة إلى تنوعات الانتظار المختلفة الأخرى.
٥. سنتناول في هذه المقالة بشكل عام النوع الصريح و النوع التلويحي للانتظار فقط.

مفاهيم الكلمات

الانتظار

كلمة (انتظار) مشتقة من الجذر الأصلي وهو (نَظَرَ)، فهي على وزن (افتعال)، ومن معاني هذه الكلمة المألوفة (التأني) و (الترقب)^١ وفي اللغة يعني (الانتظار) الترقب والترصد والتوقع والتأمل والترجي وما شابه ذلك.^٢ ومما يميز هذه الكلمة عن مترادفات الأخرى اشتغال معناها على خاصية (المطاوعة) وهو ما يُعَدُّ من خصائص باب الافتعال بشكل عام، فالمطاوعة تعني التأثر، ولذلك عُرف معنى الانتظار في الغالب على أنه (الترقب) و (التأمل).

ونستنتج مما ذكرنا أن (الانتظار) حالة ووصف تفرض على الشخص المتأثر سلسلة من الأمور والمسائل فتوجد بينه وبين ما ينتظره نوعاً من علاقة التأثر والتأثير. وهكذا، فإنه لا شك في أن (الانتظار) الذي يمكن تفسيره وفق المعنى العام والخاص يتضمن كلا المعنيين في الاصطلاح كذلك، وعليه، فإن الانتظار العام في الاصطلاح يعني الأمل والتأمل لأجل الفرج والفُسحة في شؤون الحياة من حيث العمل إذ يمكن تقسيم تلك الشؤون إلى فردية واجتماعية، فالشؤون الاجتماعية تشمل جميع تلك الأبعاد مثل المشاكل الاقتصادية والسياسية وغيرها. وبعبارة أخرى، فإن متعلق الانتظار اصطلاح عام يتضمن مطلق المشاكل والمعضلات في جميع الأبعاد والاتجاهات الاجتماعية والفردية على اختلافها.

ويُقابل الانتظار العام الانتظار الخاص ومتعلقه جميع المشاكل والمعضلات الخاصة؛ لكن الانتظار الخاص الذي نروم شرحه وبيانه في هذا البحث نقصد به انتظار ظهور إمام العصر (عج)؛ وعلى هذا الأساس فإن الانتظار الخاص الاصطلاحي يُراد به الأمل والرجاء في تحقق ظهور المنجي السماوي ومجيئه باسم الإمام المهدي (عج)؛ أي، الترقب والتأمل لوصول ذلك اليوم الموعود العالمي حيث تسعد الأرض وسكانها بمجيئه وتتوفر به لأبناء البشر جميعاً الحياة السعيدة والكرامة. وبعبارة أخرى، فإن انتظار الفرج يعني التهيؤ والترقب^٣ أو

١. أنظر: سعيد الخوري الشرتوني، أقرب الموارد، ج ٢، مادة (نظر)؛ كذلك: فرهنگ بزرگ جامع نوین.

٢. ابن منظور، ١٤١٦: ج ٥، ٢١٩، دهخدا، ١٣٣٤: ج ٨، ٢٩٤.

٣. أنظر: الحراني، ١٣٦٣: ١٠٦.

التحضير الروحي والعملي لمناسبة ظهور إمام العصر (عج) وذلك للتعجيل في خروجه و نصرته على أعدائه، ولذلك، ينبغي لكل أحد الابتعاد عن كل ما يتنافى وهذا الحدث^١. ومن مجموعة التعاريف والمفاهيم الاصطلاحية التي تم ذكرها نصل إلى التحليل الآتي: يتضمن الانتظار الخاص - الذي يعني انتظار الإمام المهدي (عج) بالذات - ثلاثة عناصر رئيسة هي: عدم الرضا عن الوضع القائم؛ والأمل في مجيء المستقبل الزاهر المطلوب؛ وأخيراً التحرك والسير باتجاه الوضع المنشود، ومن خلال هذه العناصر الثلاثة المذكورة يمكن تحديد ملامح الانتظار الخاص وتصوره.

ولا ريب في أن تحليل عناصر الانتظار المذكورة مرهون على الأرجح بماهية الإنسان الوجودية وبعده النفسي. فعندما يواجه الإنسان ببعده الروحي والنفسي - حقيقة غياب القائد والإمام في مجتمعه فإنه سيتعرض للكثير من المشاكل بما فيها المشاكل الفردية والاجتماعية والمادية والمعنوية والدينية والعقائدية، ولا شك كذلك في أن هذه المشاكل والمعضلات في الحقيقة هي التي تخلق حالة من عدم الرضا عند ذلك الشخص إزاء الوضع القائم؛ فالإنسان - وبسبب ماهيته الوجودية - كائن يمتلك عدداً من الخصائص الفطرية كالثوق إلى الوصول إلى الكمال وبلوغ المكانة المطلوبة والمنزلة المنشودة إلى جانب رغبته في النجاة والخلاص. وبالاستناد إلى الخصائص الفطرية المذكورة يصبح الإنسان، أولاً، متفائلاً ومُفعماً بالأمل تجاه المستقبل المنشود، وثانياً، يبدأ بالتحرك الجريء والسير السريع بعزم راسخ وإرادة قوية نحو المستقبل المثالي الذي يتوق إليه. من الواضح أن العناصر الثلاثة المذكورة والأساس التحليلي لكل منها تُعد الأسباب الحقيقية للانتظار الخاص والواقعي.

الانتظار العام

الانتظار العام هو الانتظار الكلي والمطلق الذي يشتمل على الأمل والتفاؤل بحل كل أنواع المعضلات والمشاكل الموجودة؛ وبعبارة أخرى، فإن الانتظار العام انتظار يكون متعلقه عاماً ومطلقاً يتضمن معنى الأمل والتفاؤل إزاء كل أنواع المشاكل والمعضلات بما

١. راجع: الخوئي، ١٤١٣: ج ٥، ٣١٩.

فيها المشاكل المادية والمعنوية والدينيوية والأخروية والفردية والاجتماعية وغيرها.
سأل أحد الناس أمير المؤمنين علي (ع): «فَأَيُّ الْمَصَائِبِ أَشَدُّ؟» فأجاب الإمام علي (ع) قائلاً: «الْمُحْسِبَةُ بِالْذِّينِ»، فقال: «فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟» قال (ع): «انْتَظَارُ الْفَرَجِ»، فقال: «فَأَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟» قال (ع): «أَخْوَفُهُمْ لِلَّهِ وَأَعْمَلُهُمْ بِالتَّقْوَى وَأَزْهَدُهُمْ فِي الدُّنْيَا»^١. ونُقِلَ عن رسول الله (ص) قوله: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتَظَارُ الْفَرَجِ»^٢.

وإلى جانب الروايات الكثيرة فقد أشار القرآن الكريم كذلك إلى موضوع انتظار الفرج بشكله العام وذلك في قوله تعالى: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^٣.
إن الأمثلة المذكورة أعلاه هي مجرد شواهد بسيطة على ما قلناه وسوف نأتي على تقديم شواهد أخرى أكثر تفصيلاً خلال بحثنا هذا.

يقول ابن قيم الجوزية في كتابه المعروف (مدارج السالكين) حول المعنى الاصطلاحي للانتظار العام: «انْتَظَارُ رُوحِ الْفَرَجِ يَعْنِي رَاحَتَهُ وَنَسِيمَهُ وَلَذَّتُهُ؛ فَإِنَّ انْتَظَارَهُ وَمُطَالَعَتَهُ وَتَرْقُبَهُ يُخَفِّفُ حَمْلَ الْمُسْقَاةِ وَلَا يَسِيْمَا عِنْدَ قُوَّةِ الرَّجَاءِ أَوْ الْقَطْعِ بِالْفَرَجِ، فَإِنَّهُ يَجِدُ فِي حَسْوِ الْبَلَاءِ مِنْ رُوحِ الْفَرَجِ وَنَسِيمِهِ وَرَاحَتِهِ مَا هُوَ مِنْ خَفِيِّ الْأَلْطَافِ، وَمَا هُوَ فَرَجٌ مُعَجَّلٌ»^٤.

الانتظار الخاص

الانتظار الخاص (أو المُقَيَّد) هو الانتظار المتعلق أو المُقَيَّد بأمر ما أو بعض الأمور الخاصة و هو معنيّ بالحلّ والتفائل والأمل ضمن دائرة محدودة فقط. نعم، تارة نجد الانتظار العام هو الموضوع على طاولة الحوار والذي لا يكون متعلقه أمراً أو أمور خاصة وأهم خصائصه عدم التقيّد وعدم تحديد المتعلق، وتارة أخرى نجد الانتظار الخاص هو الموضوع للحوار وهذا النوع من الانتظار يكون في مقابل النوع الأول (الانتظار العام) وهو من حيث المتعلق يكون مُقَيَّداً ومحدوداً؛ ومع ذلك فإن محدودية الانتظار الخاص وتقييده هو أمر نسبي، بمعنى أن

١. أنظر: الشيخ الصدوق، ١٤٠٠: ٣٩٥؛ القضاعي، بدون تاريخ: ١٠٣.

٢. الهيثمي، ١٤٠٨: ج ١٠، ١٤٧؛ السيوطي، ١٤٠١: ١٩٢.

٣. سورة الانشراح، الآيتان ٥ و ٦.

٤. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ١٤١٦: ج ٢، ١٦٦.

متعلق هذا النوع من الانتظار قد يكون في بعض الأحيان أمراً واحداً مُعَيَّناً مثل ظهور إمام العصر (عج) وقد يكون في أحيان أخرى عنواناً كلياً لعدد من الأمور مثل انتظار الفرج لحلّ أمور مادية أو معنوية، أو انتظار الفرج في المسائل و الأمور الدنيوية أو الأخروية و ما شابهها والتي تتّصف في الحقيقة بعمومية واضحة، إلّا أنّها تكون نسبية و خاصة و محدودة فيما يتعلّق بالانتظار المطلق. فالانتظار الخاصّ الذي نروم الخوض فيه في هذه المقالة و تحليله و بيانه و تحديد مكانته و منزلته عند أبناء العامة من خلال تسليط الضوء عليه، هو انتظار الإمام المهديّ (عج).

روايات الانتظار في مصادر أبناء العامة

تشتمل مصادر الحديث لدى أبناء العامة على الكثير من الروايات و الأحاديث المنقولة عن النبي (ص) و الصحابة و قد تناولت تلك الأحاديث و الروايات التي لا تُعدّ و لا تُحصى. العديد من الموضوعات و المسائل المتنوعة و منها موضوع الانتظار الذي نحن بصدد بيانه و تحليله. و رغم ذلك فإنّ عدد هذه الروايات محدود للغاية بالمقارنة مع الروايات الأخرى، و يمكن تقسيم روايات الانتظار في مصادر أبناء العامة الحديثية و تقصّيها إلى روايات منطوقة و أخرى مفهومية، ففيما يتعلّق بالروايات المنطوقة فإنّ المقصود هو معنى استعمال كلمة (الانتظار) نفسها في تلك الروايات، أي أنّها تشمل الروايات التي تمّ فيها استعمال كلمة (انتظار) و المترادفات أو الكلمات المشابهة لها بشكل صريح لا لبس فيه؛ أمّا الروايات المفهومية فإنّها تركّز على المضمون و المحتوى اللذين تشتمل عليهما هذه الروايات، بمعنى أنّها روايات لا تشير إلى موضوع الانتظار في الظاهر و بدلالة المنطوق، إلّا أنّها - و من حيث المفهوم - تدلّ دلالة واضحة على مسألة الانتظار، و عليه فهي تُعدّ من ضمن الروايات الخاصّة بالانتظار. و من هنا، فإنّ البحث الذي أماننا سيتناول موضوع الانتظار بشكله الصريح و التلويحي كما ورد في مصادر أبناء العامة.

التصريح بالانتظار في روايات الانتظار

قليلة و شحيحة هي الروايات التي تتناول موضوع الانتظار الواردة في مصادر الحديث

لدى أبناء العامة بما فيها الصحيحين والمسانيد المعروفة والمجوامع والمصادر الأخرى عندهم، وقد لا يتجاوز عدد تلك الروايات أربعاً، بل وقد يكون العدد الحقيقي روايتين اثنتين فقط إذا ما أمعنا النظر فيها جيداً. فكلّ مصدر من مصادر الحديث لدى أبناء العامة يضمّ الكثير من الروايات إلا أنّ الروايات الخاصّة بالانتظار والتي تحمل كلمة (الانتظار) و المفاهيم المتشابهة لها لا تتجاوز روايتين فقط، وحتى هاتين الروايتين لا تشيران إلى الانتظار الخاصّ بأيّ شكل من الأشكال بل تشيران بمجموعهما إلى معنى الانتظار العام، أي الأمل و التفاؤل في رفع المشاكل و حلّ المُعضلات الدنيوية والتحلّي بالصبر في مواجهة تلك المشاكل والمعضلات.

فأما الرواية الأولى فنقول عن رسول الله (ص) وهي قوله: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَنْتَظَارُ الْفَرَجِ».^١ ويُذكر أنّ العديد من المحدثين والمصنّفين من أبناء العامة أوردوا هذه الرواية في كتبهم ومصادرهم، كما وردت أيضاً في بعض مصادر الحديث الشيعية وإن بشكل مختلف^٢ مثل: «أفضل العبادَةِ انتظارُ الفرج».^٣ وأوّل مصدر من مصادر أبناء العامة تطرّق إلى الحديث المذكور هو (سُنن الترمذي)^٤ ثمّ ورد في مصدر آخر بعده وهو (مُسند الشهاب)^٥ ثمّ كتاب (الدعاء)^٦ ثمّ (مجمع الزوائد)^٧ و (الجامع الصغير)^٨ وغيرها من مصادر الحديث الأخرى. كما وردت الرواية المذكور بشكل مجتزأ في كلّ من كتاب (مسند القضاءعي)^٩ و (شعب البيهقي):^{١٠} «أفضلُ العبادَةِ انتظارُ الفرج».

وأما الرواية الثانية فهي الأخرى منقولة عن الرسول الأعظم (ص) وتتناول موضوع

١. راجع: الترمذي، ١٤٠٣: ج ٥، ٢٢٦.

٢. أنظر: الشيخ الصدوق، ١٣٩٥: ج ١، ٢٨٧.

٣. المصدر السابق.

٤. القضاءعي، ١٤٠٥: ج ٢، ٢٤٥.

٥. الطبراني، ١٤١٣: ٢٩.

٦. الهيتمي، ١٤٠٨: ج ١، ١٤٧.

٧. السيوطي، ١٤٠١: ج ٣، ٢٧٥.

٨. ١٤٠٥: ج ٤، ٢٣٦.

٩. ١٤١٠: ج ٧، ٢٠٤.

الانتظار وعلاقته بالصبر، قال (ص): «انْتَظَرُ الْفَرَجَ بِالصَّبْرِ عِبَادَةَ».^١

والحقيقة أنَّ الرواية أعلاه نُقلت لأول مرة في مصادر أبناء العامة عن كتاب (مسند الشهاب) للقضاعي^٢ ثم في كتب حديثية أخرى مثل كتاب (شعب الإيمان)^٣ و (الجامع الصغير)^٤ و (ميزان الاعتدال)^٥ و (كنز العمال)^٦ وغيرها من المصادر الأخرى.

الروايتان الثالثة والرابعة: جاء في روايتين اثنتين قول الرسول الأعظم (ص): «انْتَظَرُ الْفَرَجَ مِنْ اللَّهِ عِبَادَةَ»^٧ وقوله (ص): «انْتَظَرُ الْفَرَجَ عِبَادَةَ».^٨

من الواضح أنَّ الروايات الثلاث الأخيرة المنقولة في مصادر أبناء العامة المتعددة عن رسول الله (ص) مع بعض التفاوت في الكلمات والعبارات، تعود جميعها إلى رواية واحدة من حيث السياق والأسلوب، وعلى هذا الأساس يمكن القول إنَّ الروايات المتعلقة بموضوع الانتظار في مصادر الحديث عند أبناء العامة محدودة وقليلة لا تتجاوز روايتين اثنتين فقط، وتجدر الإشارة إلى أنَّ كتاب (الفرج بعد الشدة) للتنوخي الذي يُحتمل أن يكون من مؤلفي أبناء العامة والذي عاش في القرن الهجري الرابع، اشتمل على روايات أخرى في هذا الموضوع مرفوعة إلى أمير المؤمنين علي (ع) ومنها قوله: «أَفْضَلُ مَا يَعْمَلُهُ الْمُتَمَتِّحُنْ انْتَظَارُ الْفَرَجِ».^٩

وجدير بالذكر هنا أنَّ الرواية المشار إليها منقولة عن مصدر واحد فقط وهو كتاب (الفرج بعد الشدة) ولم يرد ذكرها في أي مصدر آخر - لا عند الشيعة ولا عند أبناء العامة - كما لم يتناولها بالحديث والتفسير أي عالم أو مؤلف من الشيعة أو أبناء العامة، وبناءً على ذلك فإنه لا يمكن اعتبار الرواية المذكورة من ضمن روايات الانتظار التي نحن بصدددها، أو وضعها

١. القضاعي، ١٤٠٥: ج ٢، ٦٢.

٢. المصدر نفسه.

٣. البيهقي، ١٤١٠: ج ٧، ٢٩٤.

٤. السيوطي، ١٤٠١: ج ١، ٤١٧.

٥. الذهبي، بدون تاريخ: ج ٣، ٢٥٦.

٦. المتقي الهندي، ١٤٠٩: ج ٣، ٢٧٢.

٧. البيهقي، ١٤١٠: ج ٧، ٢٠٥.

٨. الحرجاني، ١٤٠٩: ج ٢، ٧٦.

٩. التنوخي، ١٤١٠: ج ١، ٤٦.

في إطار روايات الانتظار الأربعة المذكورة آنفاً. والآن، لا بد لنا من بيان كيفية تفسير روايات الانتظار وتبريرها مع قلّتها وبالنظر إلى محدوديّتها من حيث العدد وكثرتها من حيث النّقل بالنسبة لمكانتها ومصدر صدورها واستعمالاتها.

قبل الخوض في استعمالات روايات الانتظار ومصدرها ومكانتها، ينبغي لنا الإشارة إلى أربع نقاط مهمّة، هي:

١. أنّ الروايات الأربع المذكورة كلّها منقولة عن رسول الله (ص).
٢. اقتضت مصادر الحديث لدى أبناء العائمة على نقل روايات الانتظار تلك من دون أن تتطرّق إلى تحليلها وبيان تفاصيلها.
٣. لم يرد ذكر الروايات الأربع المُشار إليها لا في (صحيح مسلم) ولا في (صحيح البخاري) لا من قريب ولا من بعيد.
٤. بناءً على ذلك كلّه يمكن تقليص عدد الروايات المذكورة أعلاه إلى روايتين اثنتين فقط.

ومما لا شكّ فيه أنّ روايات الانتظار الأربع التي تمّ تقليصها إلى روايتين فقط لا تتضمن أيّ أسئلة مُعيّنة فيما يتعلّق بالصدور بحيث تؤدي إلى تقييد وتحديد مجال الانتظار من حيث المفهوم، كما أنّها لا تتضمن أيّ كلمات أو عبارات خاصّة بحيث تقود الانتظار العام نحو الانتظار الخاصّ. يُضاف إلى ذلك، إنّ تلك الروايات لا تمتلك مكانة أو استعمالاً خاصّاً بحيث تشير إلى تصوّر الخاصّ من قبل علماء أبناء العائمة؛ على سبيل المثال وفيما يتعلّق بالرواية الأولى «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ» التي وردت في العديد من مصادر الحديث لدى أبناء العائمة وكتبهم، فقد اكتفت بعض المصادر المذكورة بنقل هذا الحديث من غير تقديم أيّ توضيح أو تفسير بشأنه ولو بشكل مُجمل وموجز،^١ إلّا أنّ بعض كتب الحديث المعروفة مثل كتاب (عمدة القارئ) و (شعب الإيمان) و (كنز العمال) وغيرها ذكر هذه الرواية في ذيل باب الدعاء والاستجابة وآداب الدعاء. كما وردت الرواية المذكورة في بعض كتب التفسير عند أبناء العائمة على الأغلب في

١. أنظر: الترمذي، ١٤٠٣: ج ٥، ٢٦٦.

ذيل تفسير الآية الشريفة من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^١.

والحقيقة أن معظم مُفسري أبناء العامة كابن كثير^٢ والسيوطي^٣ أشار إلى الرواية أعلاه في معرض تفسيره للآية الشريفة الثانية والثلاثين من سورة (النساء) التي تُحدد منزلة كل من الرجل والمرأة وعدم تمّي ما فضّل الله تعالى بعضهم على بعض، مُعتبرين تلك الرواية من ضمن الروايات المُفسّرة للآية المذكورة.

من الواضح أن نظرة أبناء العامة إلى رواية الانتظار المُشار إليها هي نظرة عامة كما أن تصوّرهم لمكانة تلك الرواية وتطبيقاتها هو تصوّر عام أيضاً، ومن هنا، ليس لدى مُحذّي أبناء العامة ولا مُفسريهم أيّ تفسير للصدر الخاص أو الاستعمال الخاص لتلك الرواية، و لذلك فإنّ التصوّر الذي يمكن استنباطه للرواية المذكورة هو تصوّر الانتظار العام وليس الانتظار الخاص.

وأما ما يتعلّق بالروايات الثلاث التي تعود في الحقيقة إلى رواية واحدة فقد وردت في أكثر من عشرين مصدراً من مصادر الحديث لدى أبناء العامة، وأول تلك المصادر من حيث الخلفية التاريخية هو كتاب (مسند الشهاب)^٤؛ فقد قام القضاعي بنقل تلك الروايات من دون أن يضع أيّ شرح أو تفسير لها أو بيان مصدر الصدور أو استعمالاتها الخاصة، حيث وضعها في باب بعنوان (انتظار الفرج بالصبر عبادة). وأورد البيهقي الروايات الثلاث المذكورة في كتابه (شعب الإيمان)^٥ في موضع واحد وجمعها في فصل مستقل ضمّ إليها في الفصل نفسه روايات أخرى تشتمل على مضمون المشكلات والشدائد الدنيوية وكيفية التخلص منها حيث يُعتبر درج تلك الروايات جنبا إلى جنب قرينة واضحة على أنّ مقصود المؤلف من روايات الانتظار هو الانتظار العام الذي يتعلّق بالمشاكل والمعضلات الدنيوية وكيفية

١. سورة النساء، الآية ٣٢.

٢. ابن كثير، ١٤١٢: ج ١، ٥٠٠.

٣. بدون تاريخ: ج ٢، ١٤٩.

٤. القضاعي، ١٤٠٥: ج ١، ٦٢.

٥. البيهقي، ١٤١٠: ج ٧، ٢٠٤.

حلّها والخلاص منها.

وأما القرينة الأخرى التي يمكن الإشارة إليها بهذا الصدد والتي تُثقل دليلاً على كون المراد من الانتظار هو الانتظار العام فهي الاسم المُستخدَم في التبويب والتقسيم الموجود في الكتاب المذكور وهو (في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات)؛ ونفس الحالة نشهدها أيضاً في كتاب (الجامع الصغير)^١ إلا أنه تمّ نقل روايات الفرج في هذا الكتاب (انتظار الفرج من الله عبادة) مع بعض الإضافات مثل (ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل) وهذه الإضافات نفسها قرينة ودليل على أنّ المراد من الانتظار ههنا هو الانتظار العام. وأما المناوي - وهو أحد علماء أبناء العامة المعروفين - فقد نقل الروايات الثلاث في كتابه (فيض القدير)^٢ في موضع واحد وأفرد المؤلف صفحتين كاملتين لشرح تلك الروايات وتفسيرها، إلا أنّ شرحه وتفسيره يتضمّن نفس النظرة والتصور اللذين أشار إليهما علماء السلف من أبناء العامة حول روايات الانتظار ونفس الاستعمال العام لكلمة (الانتظار) الذي استعمله أولئك من قبل.

واستناداً إلى ما ذكر فإن النتيجة التي يمكن الوصول إليها هي أولاً، إنّ عدد روايات الانتظار في مصادر أبناء العامة محدود للغاية، وثانياً، إنّ هذا العدد القليل من الروايات تمّ نقله و تكراره مرّات عديدة في مصادرهم، ثالثاً، تخلو مصادر أبناء العامة من أيّ تفسير للصدور الخاصّ واستعمال الكلمات الخاصّة على عكس المصادر الشيعية التي تضمّنت كلّ تلك النقاط، رابعاً، لم تستعمل روايات الانتظار إطلاقاً بشكلها الخاصّ في مصادر أبناء العامة؛ و على هذا، لا يمكن وضع روايات الانتظار الواردة في مصادر أبناء العامة ضمن الروايات المتعلّقة بالانتظار الخاصّ أو استنباط معنى الانتظار الشيعيّ المتمثّل بظهور الإمام المهديّ (عج) من تلك الروايات.

التلويح بالانتظار في روايات الانتظار

على الرّغم من أنّ روايات الانتظار الواردة في مصادر الحديث لدى أبناء العامة لم تتضمّن

١. أنظر: السيوطي، ١٤٠١: ج ١، ٤١٧.

٢. راجع: المناوي، ١٤١٥: ج ٣، ٦٧.

معنى الانتظار و المفاهيم المشابهة الدالة على معنى الانتظار الخاص إلا أن ثمة روايات أخرى أيضاً في هذا المجال يمكن تصنيفها ضمن روايات الانتظار الخاص (أي، انتظار ظهور الإمام المهدي (عج))، وهكذا، فإن النتيجة التي نخلص إليها من مجموع تلك الروايات تتشمل فيما يأتي:

أولاً: يمكن الإشارة إلى روايات الانتظار في مصادر أبناء العامة في الإطار التوصيفي و تصنيفها و تقسيمها.

ثانياً: بيان مكانة الانتظار في مجتمع أبناء العامة من خلال طرح هذا النوع من الروايات و تسليط الضوء عليها.

ولأجل بيان مكانة الانتظار لدى أبناء العامة بالاستناد إلى روايات الانتظار المنقولة من قبلهم، لا بدّ أولاً من البحث في كلمة (الانتظار) من حيث المفهوم و النطاق، بمعنى أن نقوم بدقّة ببيان الانتظار عبر مسألتين اثنتين: تعريف مفهوم الانتظار و نطاق معنى الانتظار، و عندئذ يمكن إثبات نظرية وجود أبعاد الانتظار في روايات الانتظار عند أبناء العامة.

تُقسّم مقولة الانتظار من حيث النطاق و التنوع إلى عدد من الأقسام منها الانتظار الروحي و القلبي و الكلامي و العملي، و من الواضح أن كلّ تلك الأنواع و التقسيمات تشير بشكل أو بآخر إلى اشتغال الانتظار على المراتب و الدرجات المختلفة. و تجدر الإشارة هنا إلى أن أنواع الانتظار المذكورة تدخل ضمن مصاديق الانتظار و شخصياته و أن خطاب الانتظار المعلنون إليهم خطاب صحيح، و أمّا التفاوت و الاختلاف فيتمثل في المراتب و الدرجات حيث يُعتبر الانتظار الروحي أدنى تلك المراتب فيما يُمثل الانتظار العملي أعلى و أرقى المراتب جميعاً. من هنا فإنّ مقولة الانتظار - من حيث التقسيم - متنوعة و مختلفة و لا بدّ هنا من تحديد روايات الانتظار و مكانتها لدى أبناء العامة و توافقها مع أيّ من مراتب الانتظار و درجاته. على سبيل المثال هل يمكن القول بأنّ أبناء العامة ملتزمون و متفقون على مفهوم الانتظار الأسمى و الأعلى - و نعني به الانتظار العملي - وفق روايات الانتظار عندهم و مكانتها لديهم؟

فيما يتعلّق ببيان مفهوم الانتظار فإنّه يُقال أن مسألة الانتظار - من حيث الماهية - تتضمن وجهتين اثنتين: إحداهما سلبية و الأخرى إيجابية؛ أمّا الوجهة السلبية فيُراد بها

معنى عدم الرضا عن الوضع القائم وهي في الحقيقة تمثل محاربة الظلم و الجور الذي يمارسه الظالمون و الطغاة ضدّ الناس؛ وأما الوجهة الإيجابية - وهي النظرة المتفائلة إزاء المستقبل إلى جانب مسألة الظهور و تأسيس المجتمع المثالي الذي ينشده المنجي - فتشير إلى عزم الأفراد و تحركهم من أجل الوصول إلى المجتمع المنشود الذي يريده المهديّ (عج). إذن، يمكن تفسير الوجهة الإيجابية من خلال مصاحبة الناس للصالحين و التسير على خطاهم و تفسير الوجهة السلبية عبر محاربة الناس للظالمين و الطغاة، و بالاستناد إلى كلّ من النظرة الإيجابية و النظرة السلبية - اللتين تمثلان أساس الانتظار و جوهره - تتبين لنا مكانة الانتظار في مجتمع أبناء العامة. فمن خلال النظرة الإيجابية يتم بيان الحركات و النهضات و النشاطات التي يقوم بها أبناء العامة في إطار تهيئة مستلزمات الظهور، و من خلال النظرة السلبية تتضح لنا الموانع و حالات النقص و التحديات التي يواجهها أبناء العامة بهدف الوصول إلى مرحلة ظهور المنجي؛ و عليه، فإنّ بيان دينك العاملئ لدى أبناء العامة اللذين يمكن استنباطهما من روايات الانتظار عندهم يشير إلى الانتظار الذي ينبغي لجميع المسلمين الإيمان به و الالتزام بمضمونه؛ و بناء على ذلك تظهر أمامنا مسألتان في ذيل البحث و الحديث عن الموضوع لا بدّ من توضيحهما لكي تتبين لنا تصوّرات أبناء العامة بشأن ذلك بشكل أدقّ: المسألة الأولى و تتمثل في الحركات الثورية التي تقع قبل الظهور و ضرورة تأييد الناس لها؛ أما المسألة الثانية فتشير إلى جهود الناس و مساعيهم من أجل القضاء على الموانع و العوائق مثل الدجال و الشرور التي تحقّ بهذا السبيل.

إذن، من النقاط المهمّة التي يمكن الإشارة إليها ههنا هي، إنّ الانتظار الذي يمكن استنباطه من روايات الانتظار لدى أبناء العامة هو: أولاً انتظار أعلى و أسمى، أي الانتظار العملي؛ ثانياً يمكن استنباط كلا النظرتين إزاء الانتظار من تلك الروايات، أي النظرة الإيجابية و النظرة السلبية، و لا ريب في أنّه يمكن الإشارة إلى التصوّرات الموجودة عن الانتظار لدى أبناء العامة بالاستناد إلى النقاط المذكورة.

الثوريون الشرقيون و ضرورة تأييد أبناء العامة لهم

من بين الحوادث و الملاحم التي ستقع قبل الظهور قيام ثورة و حركة من جانب أهل

المشرق في إطار الرايات السود، وقد ورد الكثير من الروايات في مصادر أبناء العامة حول مسألة الرايات السود و عبارات و كلمات متنوعة مثل قضية قيام أهل خراسان^١ و قيام أهل فارس^٢ و قيام أبناء (طالقان)^٣ وغيرها من النهضات و الثورات الأخرى، و بالاستناد إلى المعلومات الواردة في تلك الروايات فإن هدف تلك الحركات و الثورات المشهورة بالرايات السود و مطلبها يتلخص في الوصول إلى ثورة المهدي (عج) العالمية و التحضير لوقوع هذا الحدث الكبير.

وبالإضافة إلى ورود الروايات الخاصة بالرايات السود في أهم المصادر الحديثية لأبناء العامة فقد ورد ذكر تلك الروايات أيضاً مراراً و تكراراً في العديد من الكتب و المصنفات التي وضعت فيما بعد من قبل أبناء العامة. و نُقِلَ عن الرسول الأعظم (ص) قوله في ذلك: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَ تَشْرِيداً وَ تَطْرِيداً حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ فَيَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ فَيَقَاتِلُونَ وَ يُنْصَرُّونَ فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَ حَتَّى يَذْفَعُوهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلُؤَهَا قِسْطاً كَمَا مَلَأُوهَا جَوْرًا فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِيهِمْ وَ لَوْ حَبَوّاً عَلَى الثَّلْجِ».

سُنن ابن ماجه: هو أول مصدر من مصادر أبناء العامة تطرّق إلى الرواية المذكورة^٤ ثم نُقلت في مصادر عديدة أخرى أهمها (مُسند ابن أبي شيبة)^٥ و (مُعجم الطبراني)^٦.

ويذكر أن الرواية المشار إليها وردت كذلك مع بعض الاختلاف في العبارات في مصادر حديثية مختلفة لأبناء العامة بما فيها المصادر المهمة المعروفة و أمّهات الكتب، و لا شك في أن هذه الرواية و مثيلاتها تتضمن الكثير من النقاط المهمة، و فيما يأتي بعض تلك النقاط:

١. إن وقوع الثورة يكون بواسطة أهل الشرق و أن الشرق هو مصدر تلك الثورة.

٢. تتصف الثورة المذكورة ببعض الخصائص مثل حمل الرايات السود.

١. أنظر: المتقي الهندي، ١٤٠٩: ج ١٤، ٥٨٨.

٢. نفس المصدر: ج ١٢، ٩٠.

٣. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج ٥، ٢٧٧.

٤. راجع: ابن ماجه، ١٤٠٩: ج ٢، ١٣٦٦.

٥. ابن أبي شيبة، ١٤٠٩: ج ٨، ٦٩٧.

٦. ١٤١٥: ج ٦، ٢٩.

٣. إنّ أصحاب تلك الثورة و مُفجّريها يطلبون الحقّ و يبحثون عن الحقيقة.
 ٤. وصف أولئك الأشخاص بالمحاربين و المجاهدين.
 ٥. إنّ أولئك المحاربين و المجاهدين شجعان و مناضلون.
 ٦. إنّهم مؤمنون بهدّهم و ملتزمون بمبدئهم.
 ٧. إنّ الهدف من تلك الثورة و النهضة الوصول إلى مرحلة الظهور و قيام دولة المهدي (عج).
 ٨. إنّ من واجب الناس (أبناء العامة) تأييد تلك الثورة و الوقوف إلى جانب أصحابها حتى في أحلك الظروف و أصعبها (وَلَوْ حَبْنُوا عَلَى الثَّلْجِ).
- على الرّغم من أنّنا أشرنا إلى أهمّ النقاط و المعلومات في الرواية المذكورة، لكن، و من خلال نظرة دقيقة و فاحصة يمكن توضيح الرواية و نقاطها المهمّة بإيجاز عبر نقطتين من البحث: ماهية الانتظار و رسالة المنتظرين، و ذلك أنّ النقطة الأولى حتى السابعة تشير بشكل أو بآخر إلى مواصفات الانتظار العالي (أي، الانتظار العملي) فيما تشير النقطة الثامنة (الأخيرة) إلى رسالة المنتظرين و واجباتهم و مسؤولياتهم إزاء مسألة الانتظار و الحركات الثورية، و من خلال بيان ضرورة التأييد و الانخراط في تلك الحركات حتى في الظروف الصعبة (وَلَوْ حَبْنُوا عَلَى الثَّلْجِ) أكّدت النقطة الثامنة على الالتزام بذلك و حتميّته.
- يقول الرسول الأعظم (ص): «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِئُونَ لِلْمَهْدِيِّ يَعْنِي سُلْطَانَهُ». و جدير بالذكر أنّ الرواية أعلاه نُقلت لأوّل مرّة في مصادر الحديث لدى أبناء العامة، أي سنن ابن ماجه^١، و عنها نقلت المصادر الأخرى، المصادر الشيعية و مصادر أبناء العامة. ففي كتابه (بيان الشافعي) نقل الشافعي الرواية المذكورة عن سنن ابن ماجه، و بعد توثيقه للرواية الذين نقلوا تلك الرواية صرح الشافعي بأنّها رواية صحيحة. و أمّا القندوزي فهو الآخر نقل تلك الرواية في كتابه (عقد الدرر) عن كتاب (ابن ماجه) مع اختلاف في بعض الكلمات (ولاستيما كلمة: الناس)^٢، و هكذا الحال في مصادر الحديث الأخرى مثل (المعجم الأوسط)^٣

١. ابن ماجه، بدون تاريخ: ج ٢، ١٣٦٨.

٢. أنظر: المقدسي، ١٣٩١: ١٢٥.

٣. الطبراني، ١٤١٥: ج ١، ٩٤.

و (الصواعق المحرقة)^١ و (كنز العمال)^٢ فكلها نقلت الرواية المذكورة عن كتاب (سنن ابن ماجة). و أما ما يخص مصادر الحديث الشيعية فلم ينقل الرواية المذكورة عن ابن ماجة سوى القليل منها مثل كتاب (شرح الأخبار)^٣ و (بحار الأنوار)^٤ و (كشف الغمة)^٥.

وحول المقصود بكلمة (يؤثثون) قال السيوطي في (شرح سنن ابن ماجة): «يجهدون للمهدي خلافته و يؤثثونه و ينصرونه»^٦. فالقسم الأول (يجهدون) معناه تهيئة الظروف و تحضير الأنفس و تقديم الأعمال و هو في الحقيقة أمر يقع على عاتق المنتظرين، أما القسم الثاني، و هو قوله (يؤثثونه و ينصرونه) فيعني تأييد المنجي و نصرتة و هذا أمر يعد من مسؤولية أصحاب الإمام المهدي (عج) و أتباعه المخلصين.

و في موضع آخر أيضاً قال الرسول الأعظم (ص): «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان؛ فاثووها؛ فإن فيها خليفة الله»^٧. و أشار صاحب كتاب (مرقاة المفاتيح) إلى عدد من النقاط فيما يتعلق بالرواية المذكورة و بيان بعض تفاصيلها، منها:

١. إن خطاب النبي الأعظم (ص) يتصف بالعمومية و هو يشمل جميع المسلمين دون استثناء.

٢. قد يكون المقصود بكلمة (السود) في الحديث الشريف المذكور سواد الجيش لعظمه و كثرة أفرادها.

٣. تعني كلمة (فاثووها) استقبال تلك الرايات و الخضوع لها و إظهار الطاعة لقائدها.

٤. قوله (ص): «فإن فيها خليفة الله» معناه أن هذا الجيش تابع للمهدي (عج) و ناصر له و مجيب لدعوته^٨.

و ممّا لا شك فيه أننا عندما نضع روايتي النبي الأكرم (ص) جنباً إلى جنب ثمّ تفسيرهما و

١. الهيثمي، ١٣٨٥: ١٦٨.

٢. المتقي الهندي، ١٤٠٩: ج ١٤، ٢٦٣.

٣. المغربي، ١٤١٦: ج ٣، ٥٦٣.

٤. العلامة المجلسي، بدون تاريخ: ج ٥١، ٨٧.

٥. الأربلي، ١٣٨١: ج ٢، ٢٧٧.

٦. السيوطي، بدون تاريخ: ج ١، ٣٠٠.

٧. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج ٥، ٢٧٧.

٨. الهروي القارئ، ١٤٢٢: ج ٨، ٣٤٤٧.

بيانهما معاً فإن المضامين و النتائج التي نحصل عليها منهما مشابهة تماماً لمضمون الانتظار الخاص ومن النوع العالي (أي، الانتظار العملي). إذن، من الوجهة التطبيقية يمكن إحصاء الموصفات التي يتّصف بها الانتظار الخاص والعالي (العملي) في تلك الروايتين كذلك. على سبيل المثال:

١. الهدف من الظهور: إنّ أولى موصفات الانتظار الخاص والعالي هو اعتبار الظهور غايته وهدفه الرئيس.

٢. استراتيجية السعي والمجهود: ومن موصفات الانتظار العالي المهمة السعي وبذل الجهود المتواصلة من قبل المنتظرين من أجل الوصول إلى الهدف الرئيس ألا وهو الظهور.

٣. التحضير والاستعداد الكاملين: يُعد الاستعداد والتهيؤ الكاملين - اللذين يُمثّلان في الحقيقة شرط تحقق عملية الظهور - من جملة الموصفات المهمة للانتظار العالي.

إنّ ممّا لا شك فيه هو أنّ الموصفات المذكورة المتعلقة بموضوع الانتظار الخاص والعالي وردت في روايات الانتظار بشكل تلويحي، ومن هنا، يمكن القول إنّ أبناء العامة ملتزمون بالانتظار الخاص والعالي بالنظر إلى الروايات المُشار إليها التي تبين بوضوح موصفات الانتظار الخاص والعالي.

وجوب محاربة أبناء العامة للدّجال

قلنا قبل هذا أنّ الانتظار من وجهة النظر السلبية يعني مواجهة الظلم ومقارعة الجور ومحاربة الظالمين والطغاة الذين يتعاملون مع الناس والمجتمع برمته بالظلم والجور ويحاولون وضع العوائق والموانع في طريق تحقيق عملية الظهور؛ وهكذا فقد اشتهر عن الدّجال أنّه رأس الظالمين وإمام الطغاة والمستبدين وهو ما حذّر الأنبياء والمرسلين على مرّ التاريخ أصحابهم وأتباعهم والمؤمنين بهم من شرّ هذه الشخصية أو الانجراف إلى هاوية فتنه. وعلى أيّ حال، فسواء أكان أسّ الفساد والضلال فرداً بعينه أو حركة أو تياراً فكرياً أو اجتماعياً فإنّه ينبغي للمتظرين في كلّ الأحوال الوقوف بوجهه ومحاربه والتصدي له. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ موعد قيام الدّجال ووقت مجيئه يكون في آخر الزمان، أي خلال فترة ظهور الإمام المهديّ (عج) وهناك ستحدث المواجهة الكبرى بين رمز الشر والضلالة -

الدجال - و رمز الخير والهداية بقيادة الإمام المهدي (عج)، وهناك أيضاً سيكون التدافع و المقاومة الأخيرة بين الحق و الباطل في آخر صفحات تاريخ البشرية. و بناءً على مقتضيات الزمانية و الالتزامات الاجتماعية، فإن خروج الدجال في آخر الزمان يمثل آخر مرحلة من مراحل الدين و سيتبين عندها أن آخر الأنبياء هو رسولنا الحبيب (ص) و أن آخر الأديان الحقّة هو الدين الإسلامي، وهكذا، فإنّ المواجهة بين الإسلام و المسلمين من جهة و بين الدجال و أتباعه من جهة أخرى ستكون أقوى، كما أن المسلمين سيكونون آنذاك أكثر عرضة للتهديد و الشرّ من قبل الأديان الأخرى و أتباعها، ولهذا أشار الكثير من الروايات و الأحاديث المختلفة في مصادر الحديث الإسلامية إلى هذه المسألة ولا سيّما تلك الخاصة بأبناء العامة و قد ضمت تلك الأحاديث و الروايات العديد من التحذيرات للناس و ضرورة الانتباه للأخطار و التهديدات التي تنتظرهم من قبل الدجال و جماعته و عدم الانجراف إلى فتنة أو الوقوع في حباله. كما اشتملت الأحاديث و الروايات المُشار إليها على الطرق و الأساليب الكفيلة بمحاربة الدجال و التصدي له و على كلّ مسلم - باعتباره أحد المنتظرين للإمام المهدي (عج) و المؤمنين به - تقع مسؤولية معرفة تلك الطرق و الأساليب و استخدامها في المسار الصحيح لمحاربة الدجال و الوقوف بوجهه لكي تنهتياً بذلك الأرضية المناسبة لمجيء الإمام المهدي (عج) و ظهوره.

وأما الطرق و الأساليب الثلاثة التي يمكن استنباطها من روايات أبناء العامة الخاصة بالدجال فهي (الاعتصام) و (الابتعاد) و (الاستعاذة) و هم يؤمنون بها و يلتزمون بمضامينها؛ بمعنى أن أبناء العامة يؤمنون أن سبيل الوصول إلى مرحلة ظهور المهدي (عج) تمرّ بمحاربة الدجال و أن أسلوب محاربة الدجال إنما يكون باستخدام الطرق الثلاثة المذكورة: الاعتصام و الابتعاد و الاستعاذة.

ويُراد بـ (الاعتصام) اللجوء و الاستعانة ببعض الأمور مثل العبادة و العبودية و المعنويات، و في الحقيقة إن الالتزام بالاعتصام بهذا المعنى من شأنه أولاً: تعزيز القوى الباطنية و الداخلية للفرد و تعاليها؛ وثانياً يكتسب الإنسان عبر تعزيز قواه الباطنية و تعاليها نوعاً من الحصانة و العصمة من الوقوع في فتنة الدجال.

وأما (الاستعاذة) فتعني الحجروالدفع اللذين يؤديان إلى اكتساب الفرد الحماية و

المحصانة المطلوبة. وبالاستناد إلى الوصايا والإرشادات الواردة في الروايات فإنّ الناس مأمورون باللجوء إلى الله والاستعاذة به في وقت خروج الدجال، والمكوث في الأماكن و البقع المقدسة مثل مكة والمدينة لكي يصونوا أنفسهم من شرور الدجال ويحتموا من فتنه.

وأما (الابتعاد) فيُقصد به الهروب من شرور الدجال واجتناب فتنه، فإذا كان الفرد غير مزود بالسلاح المعنوي المطلوب أو كان يمتلك ذلك السلاح لكنه ما زال خائفاً يخشى الوقوع في فتن الدجال أو يخاف أن تطاله شروره فلا بدّ له أن يعتمد أسلوب الابتعاد وتجنب المواقف التي قد تعرّضه إلى مواجهة الدجال والوقوع في حبائله.

وفي وصف حال الدجال وبيان شدة فتنه وأبعادها، يقول الرسول الأعظم (ص): «مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ»^١.

ويُروى أنّ النبي الأكرم (ص) كان بعد الانتهاء من كلّ صلاة يستعيز بالله (عزّوجلّ) من شرّ الدجال وقد علّم أصحابه كذلك كيفية الاستعاذة من شرّ الدجال وكان يحثهم على الاستعاذة بالله سبحانه من ذلك: «كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ اَللّهُمَّ اِنِّي اَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَاَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَاَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَاَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^٢.

نعم، وكان النبي الأعظم (ص) يوصي المسلمين وصيتين اثنتين للاستعاذة بالله (عزّوجلّ) واللجوء إليه من الشرور والفتن ومنها فتنة الدجال؛ أما الوصية الأولى فهي عقائدية وتتمثل في الاستعاذة بالله تعالى من جميع الشرور والأشرار كالشيطان الرجيم و الدجال ومن شرّ الجنة والناس الأشرار. وأما الوصية الثانية فليست عقائدية، مثل اللجوء إلى الأماكن والبقع والمدن الآمنة في الأرض كمكة والمدينة لكي يكونوا بمأمن من شرور الدجال وفتنه، وفي ذلك يقول (ص): «نِعَمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجَالُ»^٣، وقال (ص) أيضاً: «يَجِيءُ الدَّجَالُ فَيَطَأُ الْأَرْضَ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ»^٤ وقال (ص): «إِنَّهُ يَدْخُلُ

١. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج ٣، ٢٩٢.

٢. ابن خزيمة، ١٣٩٠: ج ١، ٣٥٧؛ النسائي، ١٤٠٦: ج ٨، ٢٥٧.

٣. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج ٣، ٢٩٢.

٤. نفس المصدر: ج ٢٠، ٢٩٨.

الْأَمْصَارَ كُلَّهَا إِلَّا طَيْبَةَ^١». ^٢

يقول التويمي - صاحب كتاب (إتحاف الجماعة) - حول الاستعاذة من شر الدجال: «ثبت في الأحاديث الصحاح من غير وجه أن رسول الله (ص) كان يتعوذ من فتنة الدجال في الصلاة، وأنه أمر أمته بذلك أيضاً»^٣.

إن الابتعاد عن الدجال و تحاشي الوقوع في فتنه سبيل آخر من سبل محاربته والتصدي له وهو ما أشارت إليه بعض الروايات المعروفة كقول الرسول الأعظم (ص): «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيُنْأَ عَنْهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»^٤.

وفي منقول شبيه بهذا عن (مسند أحمد بن حنبل) ورد أن النبي (ص) كرر قوله: «فَلْيُنْأَ عَنْهُ» ثلاثاً^٥.

ومن جملة الطرق والأساليب لمحاربة الدجال والوقوف بوجهه الاعتصام بالقرآن الكريم، وقد ورد الكثير من العبارات المتنوعة في هذا المجال في مصادر الحديث لدى أبناء العامة، و منها قول النبي الأكرم (ص): «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^٦ وفي موضع آخر يقول الرسول الأعظم (ص): «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ»^٧.

لاحظ أن الحديث الأول يشير إلى حفظ عشر آيات من سورة (الكهف) بينما يتضمن الحديث الثاني قراءة تلك الآيات والتأكيد عليها.

وفي رواية أخرى منقولة عن أبي سعيد الخدري أن النبي الأعظم (ص) قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ، كَانَتْ لَهُ نُورٌ مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ بِعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا

١. من أسماء المدينة المنورة.

٢. الترمذي، بدون تاريخ: ج ٤، ٥٢١.

٣. التويمي، ١٤١٤: ج ٢، ٤٢٢.

٤. أبو داود، بدون تاريخ: ج ٤، ١٩٧.

٥. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج ٣٣، ١٨١.

٦. أبو داود، بدون تاريخ: ج ٤، ٢٠٠.

٧. ابن حنبل، بدون تاريخ: ج ٦، ٤٤٦.

فَخَرَجَ الدَّجَالُ لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ»^١.

وقال صاحب (مرقاة المفاتيح): «وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ"، أَيْ حَفِظَ (مِنَ الدَّجَالِ)، أَيْ مِنْ شَرِّهِ، وَ فِي رِوَايَةٍ: مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، قَالَ الطَّبِيبِيُّ: كَمَا أَنَّ أَوْلَيْكَ الْفِتْنَةَ عُصِمُوا مِنْ ذَلِكَ الْجَبَّارِ كَذَلِكَ يَعْصِمُ اللَّهُ الْقَارِئَ مِنَ الْجَبَّارِينَ، وَقِيلَ: سَبَبُ ذَلِكَ مَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ، فَسَنُتَدَبَّرُهَا لَا يُفْتَنَنَّ بِالدَّجَالِ، وَلَا مَنَعَ مِنَ الْجَمْعِ وَهُوَ الْأُظْهَرُ بِالْخُصُوصِ»^٢.

بالنظر إلى ما قدّمنا فإن الانتظار العالي (يعني، الانتظار العملي) يمكن تعريفه وبيانته عبر نظرتين: إيجابية وسلبية، وتعدّ النظرة الإيجابية من خلال مواصفاتها المعروفة كالإصلاح والصّلاح والمعرفة والتعلّم والمسؤولية وقبولها والتبعية والاعتراف بها وما شابه ذلك ممّا يُعتبر ضمن إطار المواصفات الإيجابية والإيجابية، تُعدّ النظرة الإيجابية من ضمن الأسباب والعوامل المهمّة لعملية الظهور وهذا في الواقع ما يؤمن به أبناء العامّة ويعترفون أنّه لا يتحقّق سوى باتّباع الرايات السود وتأييدها والانضمام إليها. وأمّا النظرة السلبية ومن خلال مواصفاتها المذكورة مثل محاربة الظالمين ومقارعة الطغاة ومواجهة حكام الجور وعلى رأسهم الدجال، فتُعدّ من ضمن العلل والعوامل الأخرى لعملية الظهور. وفي الحقيقة إنّ تلك المواصفات للنظرة السلبية التي تُعتبر نوعاً من المواصفات السلبية تمثّل بالنسبة لأبناء العامّة حالة من محاربة الدجال والتصدي لفتنه. وهكذا، فإنّ سلسلة العمليات الخاصّة بتبينك النظرتين التي تُمثّل عند أبناء العامّة تفسيراً لعملية الانتظار العالي تقود إلى نتيجة تتمثّل في التحضير والتهيؤ وإيجاد الأرضية المناسبة للظهور.

خلاصة البحث

يمكن تعريف روايات الانتظار وتفسيرها في مصادر أبناء العامّة وفق اتجاهين اثنين: التطابق والتضمن، فأما اتجاه التطابق المطروح تحت عنوان (التصريح بالانتظار في روايات الانتظار) فغالباً ما يتناول الروايات والأحاديث التي تشير إلى كلمة (الانتظار) بشكل صريح؛

١. الحاكم النيشابوري، ١٤١١: ج ١، ٧٥٢.

٢. الهروي القارئ، ١٤٢٢: ج ٤، ١٤٦٥.

و أما ما يمكن استنتاجه من هذا الاتجاه فهو، أولاً أن مجموع روايات الانتظار في مصادر أبناء العامة التي تتضمن كلمة (الانتظار) لا يتجاوز الخمسة في الوهلة الأولى، لكن وبعد التدقيق فيها وتمحيصها فإنها لا تبلغ أكثر من روايتين اثنتين فقط. ثانياً، إن روايات الانتظار المحدودة هذه والتي لا يزيد عددها على اثنتين، يمكن تفسيرها وفق نظرة الانتظار العام، و من هنا، فإنه لم تُنقل إلينا أي رواية أو حديث في مصادر الحديث الخاصة بأبناء العامة (بشكل صريح) حول الانتظار الخاص. و أما ما يتعلق بالاتجاه الضمني (أو التضمني) الذي يُشار إليه بعنوان (التلويح بالانتظار في روايات الانتظار) فإنه ربما تضمن معنى الانتظار الخاص، ولا سيما الانتظار الخاص العملي - وهو ما يُعرف بالانتظار العالي - إذ يمكن الإشارة إلى نوعين من الروايات في مصادر الحديث لدى أبناء العامة حول الانتظار الخاص: النوع الأول ويشمل الروايات التي تناولت النهضات والثورات الإيجابية مثل الروايات الخاصة بالممّهدين للإمام المهدي (عج) والرايات السود وظهور المُجّددين؛ أما النوع الثاني فيتضمن الروايات التي تشير إلى الحركات والنهضات السلبية مثل قيام الدّجال.

فالرسالة التي يحملها أبناء العامة إزاء هذا النوع من الحركات والنهضات هي رسالة مختلفة، إذ يبدو أن مسؤولية أبناء العامة فيما يتعلق بالنهضات والثورات الإيجابية و المشهورة في الحقيقة بالتمهيد والتحضير للظهور، تتلخص في تأييد تلك الثورات واتباعها، لكن فيما يخص الثورات والحركات السلبية التي تضع الموانع والعوائق في طريق الظهور فإن مسؤولية أبناء العامة تتلخص في المعارضة والكفاح والمحاربة.

وبشكل عام فإن وظيفة أبناء العامة ومسؤوليتهم التي تندرج إحداها في إطار الاتّباع و التأييد بينما تندرج الأخرى ضمن المحاربة والمقاومة، تشير إلى تحضير أبناء العامة و استعدادهم لعملية ظهور الإمام المهدي (عج) حيث يمثل هذا النوع من التحضير و الاستعداد الانتظار الخاص بمواصفاته العملية.

المصادر

- ابن أبي شيبة، أبو بكر (بدون تاريخ)، مسند ابن أبي شيبة، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد (بدون تاريخ)، مسند ابن حنبل، بيروت، منشورات (دار صادر).
- ابن خزيمة، محمد (١٣٩٠هـ)، صحيح ابن خزيمة، بيروت، منشورات (المكتب الإسلامي).
- ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو (١٤١٢هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، منشورات (دار المعرفة).
- ابن قيم الجوزية، محمد (١٤١٦هـ)، مدارج السالكين، بيروت، منشورات (دار الكتاب العربي)، الطبعة الثالثة.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد (١٤٠٩هـ)، سنن ابن ماجه، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).
- ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٦هـ)، لسان العرب، بيروت، منشورات (دار إحياء التراث العربي)، مؤسسة التاريخ العربي.
- أبي داود، سليمان بن الأشعث (بدون تاريخ)، سنن أبي داود، بيروت، منشورات (دار الكتاب العربي).
- الأربلي، علي بن عيسى (١٣٨١هـ)، كشف الغمة، تبريز، منشورات (بني هاشمي).
- البيهقي، أحمد (١٤١٠هـ)، شعب الإيمان، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).
- الترمذي، محمد بن عيسى (١٤٠٣هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة الثانية.
- — (بدون تاريخ)، سنن الترمذي، بيروت، منشورات (دار إحياء التراث العربي).
- التنوخي، عبدالله (١٤١٠هـ)، الفرج بعد الشدة، بيروت، منشورات (مؤسسة النعمان).
- التوحيدي، حمود (١٤١٤هـ)، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم، الرياض، منشورات (دار الصميعي للنشر والتوزيع)، الطبعة الثانية.

- المجرجاني، عبدالله بن عديّ (١٤٠٩هـ)، الكامل، تحقيق: حيدر مختار غزاوي، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).
- المحاكم النيشابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (١٤١١هـ)، المستدرك، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).
- الحراني، الحسن بن علي بن شعبة (١٩٨٤م)، تحف العقول، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، قم، رابطة المدرسين.
- الخوئي، السيد أبو القاسم (١٤١٣هـ)، صراط النجاة، تحقيق: ميرزا تبريزي، قم، منشورات (دار الصديقة الشهيدة).
- دهخدا، علي أكبر (١٩٥٥م)، لغت نامه دهخدا، طهران، منشورات (جامعة طهران).
- الذهبي، محمد بن أحمد (بدون تاريخ)، ميزان الاعتدال، بيروت، منشورات (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع).
- السيوطي، جلال الدين (١٤٠١هـ)، الجامع الصغير، بيروت، منشورات (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).
- — (بدون تاريخ)، الدر المنثور، بيروت، منشورات (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع).
- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (١٣٩٥هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، طهران، منشورات (اسلاميه)، الطبعة الثانية.
- — (١٤٠٠هـ)، الأمالي، بيروت، منشورات (الأعلمي)، الطبعة الخامسة.
- الطبراني، سليمان بن أحمد (١٤١٣هـ)، الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).
- — (١٤١٥هـ)، المعجم الأوسط، بدون مكان، منشورات (دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع).
- القاضي التنوخي، علي بن محمد بن داود (١٤١٠هـ)، الفرج بعد الشدة، بيروت، منشورات (مؤسسة النعمان).
- القضاءي، محمد بن سلامة (١٤٠٥هـ)، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد،

- بيروت، منشورات (مؤسسة الرسالة).
- — (بدون تاريخ)، دستور معالم الحكم، قم، منشورات (مكتبة المفيد).
- المتقي الهندي، علي بن حسام الدين (١٤٠٩هـ)، كنز العمال، بيروت، منشورات (مؤسسة الرسالة).
- المجلسي، محمدباقر (بدون تاريخ)، بحار الأنوار، طهران، منشورات (اسلاميه).
- المغربي، النعمان بن محمد (١٤١٦هـ)، شرح الأخبار، رابطة المدرسين، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالى، قم.
- المقدسي، يوسف بن يحيى (١٣٩١هـ)، عقد الدرر، القاهرة، منشورات (مكتبة عالم الفكر).
- المناوي، محمد بن عبد الرؤوف (١٤١٥هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تصحيح: أحمد عبد السلام، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).
- النسائي، أحمد بن شعيب (١٤٠٦هـ)، سنن النسائي، حلب، منشورات (مكتب المطبوعات الإسلامية)، الطبعة الثانية.
- الهروي القاري، نور الدين (١٤٢٢هـ)، مرقاة المفاتيح، بيروت، منشورات (دار الفكر).
- الهيثمي، أحمد بن حجر (١٣٨٥هـ)، الصواعق المحرقة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، مصر، منشورات (مكتبة القاهرة).
- — (١٤٠٨هـ)، مجمع الزوائد، بيروت، منشورات (دار الكتب العلمية).

أنواع الخلاص في التقاليد الدينية المسيحية

الدكتور مهرباب صادق نيا^١

الخلاصة

كانت قضيتي (الخلاص) و (المخلص) من المواضيع المهمة والجذابة بالنسبة للأديان على مدى الزمان. ومع ذلك فربما كانت هاتان القضيتان النقطتين الوحيدتين اللتين اتفقت الأديان كافة بشأنها، الأمر الذي لا يصدق على تعريفيهما أو عناصرهما.

والذي يراه المسيحيون أنّ الإنسان حينما يسير بقدميه على هذه الأرض، فإنّه يحمل على ظهره وكتفيه ما جناه وحصده من الذنوب، وأنّ حياته هذه في هذه الطبيعة الجسمانية والفسادة تمثّل إرثاً مشؤوماً ورثه من أجداده.

ويستحيل على هذا الإنسان أن يتخلص من هذا الوضع المؤسف إذا اكتفى بالاعتماد على قدراته الفردية فقط، بل إنّه لن يتمكن من التحرّر من هذه الحالة المؤسفة حتّى لو عمل بالشرعية الموسوية، وهذا هو السبب الذي من أجله نزل عيسى (ع) إلى الأرض بصورة ابن الله، أو نفس الله ولكن بلباس فردٍ من أفراد البشر، لإنقاذ الإنسان من هذه الطبيعة الفاسدة.

وبعد أن ارتقى الصليب، وصعد إلى السماء، سيعود مرّةً أخرى لإنقاذ البشرية، إنّما هذه المرّة مع تحقيق حلم تشكيل الحكومة الذي طالما كان بنو إسرائيل يتطلّعون إليه.

الكلمات المفتاحية:

الخلاص، عودة المسيح، الخطيئة الأولى، التجسيد، الفداء، المهدوية، المسيحية.

١. عضو الهيئة العلمية في مركز دراسات الأديان والمذاهب.

المقدمة

مفهوم الخلاص هو من المفاهيم الطاغية والشائعة في النصوص الدينية المسيحية، والذي يعدّ من مباحث العالم الآخر في الأديان المشتركة في السنخية مع المسيحية، كما يمثل القسم الأصلي والأساس من المباحث المرتبطة بمسألة المخلص الموعود في الأديان الأخرى.

إلا أننا لا يمكننا نسبة هذا المفهوم للخلاص بحذافيره إلى المسيحية والقول بأن عيسى-المخلص هو ذلك المخلص المقصود في الأديان الأخرى، وبالتالي اعتبار الخلاص في أجواء الدراسات المسيحية مفهوماً محصوراً في أبعاده الأخروية.

و يجد الناظر في اللاهوت المسيحي التقليدي نوعين من الخلاص، وبالتالي نوعين من المعنى للمخلص:

أحدهما يرتبط بالخلاص السيّال المتحرّر من قيود الزمن، والذي رغم كونه مبدأ مهماً و بارزاً ضمن مبادئ الإيمان المسيحي، إلا أنه لا يتضمّن معنىً أخروياً، ولا يرتبط بالعقيدة المهدوية. وعندما يرد الحديث عن عيسى بهذا المعنى فغالباً ما يأتي ذلك في سياق مقولة المسيح دون معناه الأخروي.

وهذا الخلاص هو ظاهرة آليّة تماماً، ويكفي في حصولها مجرد وجود عيسى- وشخصيته و توسّطه بين الإنسان المغضوب عليه من الله و بين الله نفسه، و من ثمّ إعادة الصفاء بينهما، دون حاجة إلى قيام هذا المخلص بأيّ عملٍ ملوكيّ أو رساليّ. و من هنا كان الأنسب أن يُطلق على عيسى في هذا المعنى لقب الوسيط لا المخلص.

أمّا النوع الثاني فالخلاص فيه يرتبط بعمل عيسى، وليس الخلاص فيه مجرد ظاهرة آليّة، بل هو ثمرة مساعي عيسى الرساليّة، و مفهوم هذا الخلاص هو مفهوم أخروي تماماً، و عقيدة الموعود المسيحي مبنية على أساس هذا المعنى للخلاص.

وأهمّ الفروق بين هذين النوعين للخلاص يكمن في مبدأ كلّ منهما، أي النقطة التي يبدأ منها هذا الخلاص.

والخلاص في النوع الأوّل و كما تعتقد الكاثوليكيّة الرومانيّة هو بمعنى الخلاص من التقصير أو الذنب و الخلاص من تبعاته في هذا العالم و في الحياة الأخروية. و بعبارة أوضح

هو الخلاص من الطبيعة الفاسدة التي ابتليت بها البشرية نتيجةً لخطيئة أبيهم آدم.^١
أما الخلاص في المفهوم البروتستانتي الكلاسيكي فهو بمعنى الخلاص من القانون والقدرة
الغاشمة والحاكمة، أي التحرر من شريعة موسى.

أما البروتستانتون الأحرار فيرون أنّ معنى الخلاص هو الخلاص من الذنوب الخاصة و
السير الصعودي نحو التكامل الأخلاقي.

و من خلال التأمل في التعاريف السابقة للخلاص يتضح أنّ هذا اللاهوت مبنيّ على
الإدانة الأزلية والموت والخطيئة الأولى للإنسان، فالجميع يأتون إلى هذه الدنيا محملين
بالطبيعة الملوثة، تلك الطبيعة التي تقف عائقاً أمام وصولهم إلى الكمال، والتي لا مفرّ من
وجودها بمقتضى قانون الحتمية.

أما في النوع الثاني فالجميع متفقون على أنّ إنجاء عيسى للبشر هو في الحقيقة إنجائهم من
التشرذم والظلم والاضطراب، الأمر الذي يمكن الوصول إليه في ظلّ تشكيل الحكومة
المركزية.

و لمزيد التوضيح لكلا هذين النوعين من الخلاص، لا بدّ من التنبيه على المفاهيم الأولى
والافتراضات المسبقة لكل واحد من هذين المعنيين.

أ) الخلاص غير الأخروي

ويستند الخلاص بهذا المعنى على أمرين مفروضين:

١. الإدانة الأزلية

اتفق علماء اليهود على أنّ الطبيعة البشرية . ونتيجةً لمعصية أجدادهم . قد خرجت من
تلك الحالة الملكوتية وتلوثت.^٢ وطبقاً لما يعتقد هؤلاء فإنّ خطيئة آدم وحواء في جنة
عدن قد تركت آثارها على جميع الأجيال التي جاءت بعدهما، وأنّ هذه الأجيال على مرّ
التاريخ تحمل وزر خطيئة أجدادها،^٣ وأنّ كلّ مولودٍ من بني البشر إنما يولد وهو يحمل

1. New Chatholic Encyclopedia, V. 12, P. 623

٢. إبراهيم كوهن، كنجينه اي از تلمود = كنز من التلمود، ترجمة گوگاني، ص ١١٢.

٣. المصدر نفسه.

إدانته الناشئة من خطيئة آدم أبو البشر، تلك الإدانة التي عبّر عنها هؤلاء العلماء بعبارة (الخطيئة الأصلية)^١ أو (الذنب الأول).

وكان بولس أول من أشار إلى فكرة الذنب الأول أو الإدانة الأزلية وأكد عليها، وذلك بعد عدة سنوات من صلب عيسى. وعلى أساس هذه الفكرة تم وضع علم اللاهوت الذي ينتهي بالخلاص، وهو لاهوت لا نجد له أي أثر في كلمات عيسى، ولا ما يؤيده في تلك الكلمات.

ويمكن افتراض أن بولس - وانسجاماً مع ما ذكره عن خلفياته - قد استفاد من دراسته اليهودية كي يصوغ سلسلة من أصول اللاهوت التي تقضي - بأن الإنسان بذاته محكوم بالخطيئة وما يترتب عليها من آثار، وأنه بحاجة ماسة إلى المنقذ والمخلص من هذه الطبيعة الفاسدة.

وهناك العديد من التفاسير المختلفة عن فكرة الإدانة الأزلية:

وفي أحد هذه التفاسير المتطرفة يعتقد جماعة - منهم أريكان - أن كل إنسان عندما يأتي إلى الدنيا إنما يأتي إليها وهو متهم بتلك الخطيئة التي ارتكبتها الإنسان الذي كان قبله؛ لأنه إنما جاء إلى الدنيا عن طريقه؛^٢ بمعنى أن جميع الناس مذنبون بذنب أبيهم آدم، وأتهم مدانون بنفس خطيئته تلك.^٣

إلا أن جماعة أخرى ترى أن مراد بولس من الإدانة الأزلية هو أن البشر مع أنهم ليسوا شركاء في خطيئة جدّهم كي يكونوا مذنبين، إلا أنهم ورثوا من جدّهم طبيعته المذنبية، تلك الطبيعة الفاسدة التي كانت سبباً في وقوع جدّهم في شرك الشيطان؛ وعلى هذا الأساس فإن جميع البشر هم كجدّهم عاجزين عن كف أنفسهم عن الخطيئة.^٤

ووفقاً لهذا التفسير لأفكار بولس، فإن الإنسان نتيجة للخطيئة التي ارتكبتها جدّه قد سيطر عليه الضعف من النواحي المعنوية والأخلاقية إلى الحد الذي صار معه عاجزاً عن

1. The Original Sin

٢. جيمس القس، نظام التعليم في علم اللاهوت القديم، ج ٢، ص ٩٢.

٣. أنتوني بالم، برسي رساله هاي بولس به غلاطيان و روميان = بحث في رسائل بولس الرسول إلى أهل غلاطية و أهل رومية، ص ١٣؛ متى المسكين، شرح رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية، ص ٢٦٨. ٢٧٣.

٤. و يليام باركلي، تفسير عهد جديد = تفسير العهد الجديد، رسالة إلى أهل رومية، ص ٩٥.

الصمود أمام أضعف الوسوس التي يلقيها الشيطان للوقوع في حبائله، وهكذا فهو وإن لم يكن في ذاته مخطئاً ولا مداناً، إلا أنه محكوم بالضعف والعجز والإسراع إلى الخطيئة.^١

و يبقى التفسير الثالث لمقصود بولس، وهو الرأي المعتدل كما نرى. وطبقاً لهذا التفسير فإن الله قد رتب امتحاناً لجميع بني البشر في جنة عدن، وإن آدم أبو البشر قد اشترك في ذلك الامتحان بالنيابة عنهم باعتباره أمتهم وأكملهم، وإن نجاحه كان سيكون علامة على توفيق الجميع، كما أن فشله في ذلك الامتحان بمثابة الفشل لهم جميعاً، ولكنه خرج من ذلك الامتحان خاسراً فاشلاً، وهكذا أظهر عجز وهزيمة بني البشر فرداً فرداً. وبهذه الصورة نقل آدم الطبيعة الفاسدة والإدانة الأزلية إلى بني نسله كافة.^٢

وكيفما فسرنا مراد بولس من كلامه عن الإدانة الأزلية للإنسان، فإننا لا نجد كلاماً لعيسى (ع) يؤيد هذا التفسير. ومع ذلك فقد تجذرت أفكاره في اللاهوت المسيحي إلى الحد الذي وجدت طريقها للتوثيق طوال سنواتٍ متتالية بعده في النصوص العقائدية المعتمدة للمجامع المسيحية باعتبارها من المبادئ المهمة، كما هو الحال في وثيقة عقائد مجمع ترنت^٣ التي جاء فيها:

لو ادعى شخص ما أن خطيئة آدم قد أثرت فيه فقط، وأن تبعاتها لم تصل إلى أبنائه، أو قال إن العدالة والقداسة التي كان قد حظي بها من الله، قد ذهبت منه فقط ولم تذهب من أيدينا... فإن هذا الشخص ملعون.^٤

و الموت في فكرة بولس عن الإدانة الأزلية هو أيضاً من تبعات تلك المعصية التي ارتكبتها آدم أبو البشر، حيث يقول: «لأن ثمن المعصية هو الموت»،^٥ بل يقول بعبارة أكثر صراحة: «... إن الخطيئة قد دخلت إلى العالم بواسطة آدم واحد، ودخل الموت بواسطة الخطيئة».^٦ وطبقاً لفكرة بولس فإن آدم لم يكن ليتم أبداً لو لم يرتكب الذنب، ولم يكن عقبه قد

١. بررسى رساله هاى بولس به غلاطيان و روميان = بحث في رسائل بولس الرسول إلى أهل غلاطية وأهل رومية، ص ٦٤.

٢. تفسير عهد جديد = تفسير العهد الجديد، رسالة إلى أهل رومية، ص ٩٥.

3. Terent

4. The Cnons And Decress Of The Sacred And Ecuumenical Of Terent Sess. V. D. 789

٥. رسالة به روميان (= رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية)، ٦: ٢٣.

٦. المصدر نفسه، ٢١: ٥.

ابتلوا بعقوبة الموت أيضاً. وإن خطيئة آدم قد جرّت البشرية إلى طريق ليس في نهايته سوى الموت.^١

والظاهر أنّ الخلفيّة اليهوديّة لبولس في هذه المسألة أيضاً قد لعبت دورها في صياغة هذا اللاهوت؛ لأنّ من المبادئ المسلّمة في اللاهوت اليهودي هو الاعتقاد بعدم وجود الموت في بداية العالم، وعدم وجود أيّ إشارة له في خطّة الله للإنسان، وأنّ خطيئة آدم هي التي جرّت الموت إلى العالم. كما ورد في الموروث الشفاهي لليهود أيضاً هذه العبارة الصريحة: كلّمّا سألك أحدٌ وقال: لو لم يخطئ آدم أبو البشر ولم يأكل من ثمار الشجرة الممنوعة، فهل كان سيبقى حيّاً خالداً إلى الأبد؟ فقل في جوابه: إنّ إلياس النبي لم يخطئ وبقى حيّاً خالداً إلى الأبد.^٢

وورد فيه أيضاً:

قالت الملائكة المكلفة بالخدمة إلى الذات المقدّسة المباركة: يا إله العالم، لماذا كتبت عقوبة الموت لآدم؟ فأجابهم الله: لقد أمرته أمراً بسيطاً، فخالفه.^٣

أما رواية العهد العتيق عن خلق الإنسان على صورة الله، والتي وردت في سفر التكوين، فهي دليل واضح على هذه السّنة الدينيّة، حيث تقول: «وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشَبَهنا»،^٤ ثمّ يقول بلسان التهديد:

«وأوصى الربُّ الإله آدمَ قائلاً: من جميع شجرِ الحَيَّةِ تأكلُ أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشرِّ فلا تأكل منها؛ لأنّك يومَ تأكل منها موتاً تموت». ^٥

وهناك مفهوم آخر عن الإدانة الأزليّة المقصودة لدى بولس يظهر بوضوح في الأدبيّات الدينيّة المسيحيّة، ألا وهو مفهوم العبوديّة، وهو مفهوم آخر يقابل مقام الألوهيّة. وقد كانت خطيئة آدم أبو البشر. كما يرى بولس. سبباً لسقوط آدم وذريّته ونزوله من المقام والمكانة الروحانيّة الشبيهة بمقام الألوهيّة إلى مقام العبوديّة الحقيرة.^٦

1. Jams, Dunn, The Theology Of Paul, P 2.

٢. كنجينه اي از تلمود = كنز من التلمود، ص ٩٢، نقلاً عن: ويقداربا، ٧٢: ٤.

٣. المصدر نفسه، ص ٩٢؛ نقلاً عن: شبات، ٥٥.

٤. سفر التكوين، ١: ٨٢.

٥. المصدر نفسه، ٢: ٦١.

٦. هنري تيسين، الهيات مسيحي = اللاهوت المسيحي، ترجمة ميكائيليان، ص ١٧٥.

وهذا يعني أنّ جميع البشر كان المفروض -وفقاً لمشيئة الله- أن يولدوا في مقامٍ سامٍ كمقام الألوهية، إلا أنّ خطيئة آدم أنزلته إلى العبودية وأنزلت نسله معه أيضاً إلى ذلك المقام.

٢. عجز الإنسان عن إنقاذ نفسه

وهناك مفهوم أساسي آخر في اللاهوت المسيحي للخلاص بمعناه غير الأخروي، وهو عجز الإنسان عن إنقاذ نفسه من هذه الطبيعة الفاسدة.

ويرسم بولس تصويراً واضحاً عن هذا العجز في عباراته الواردة في الباب السابع من رسالته إلى أهل رومية، حيث يقول هناك:

... إذ نعلم أنّ الشريعة روحانية، إلا أنّي جسم وقد تملكني الخطيئة، حتّى صرّ عاجزاً عن القيام بما أريد وأحبّ، بل أفعل ما لا أحبّ ولا أرغب فيه. وكلّما قمتُ بعملٍ لا أرغب فيه أعترف بصلاح الشريعة وأتّي لم أعمل بما تقتضيه هذه الشريعة بل بما يوحيه الشرّ الساكن في داخلي، لأنّي أعلم أنّ جسدي خالٍ تماماً من الخير، لأنّ الإرادة موجودة في داخلي، لكن كيفة عمل الخير معدومة...^١

ويقول في عبارةٍ أخرى تتضح الصورة فيها أكثر:

لقد ثبت لي الآن أنّ وجودي من قّة رأسي إلى أخمص قدّمي في قّة الفساد بسبب هذه الطبيعة النفسانية، ومهما بذلت من جهد لن أتمكّن من القيام بأعمال الخير. إنّني أرغب أن أكون خيراً، لكنني لن أستطيع. وأريد أن أقوم بالأعمال الصحيحة، لكنني لست قادراً على ذلك. وأسعى لتجنّب القيام بالأعمال الخاطئة، ولكنني دون قصد ارتكبت الذنوب. فإذا قمت بارتكاب عملٍ لست راغباً فيه، فليس خافياً أين يكمن السبب والإشكال، إنّه يكمن في أنّ الخطيئة لا تزال تمسك بي أسيراً في شرك حبائلها.^٢

وترسم عبارات بولس هذه بوضوح صورة إنسانٍ عاجزٍ يترجّح تحت نير الخطيئة والطبيعة الفاسدة التي ورثها من آبائه منذ أزمانٍ سحيقة. وهو إنسانٌ يسعى أن يكون إنساناً صالحاً لكنّه لا يستطيع أن يكونه. كما أنّه يعرف الشرّ ويريد أن يتحاشاه إلا أنّه لا يستطيع ذلك

١. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ٧: ٢١. ٤١.

٢. ترجمه تفسيري كتاب مقدس = الترجمة التفسيرية للكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية،

أيضاً. وهذا الإنسان الذي يعيش اليأس الكامل من نفسه يشعر شعوراً تاماً بحاجته إلى منقذٍ آخر.

وثمره هذين المفهومين المهمين والأساسيين في اللاهوت المسيحي واللذين أشرنا إليهما هي وجوب وجود أحد المنقذين الذي يمكنه من خلال تأدية دوره السماوي والروحاني أن يخلص الإنسان من هذه الطبيعة الفاسدة، ويعيد البشرية إلى أحضان الربوبية. وطبقاً لما ينطق به هذا اللاهوت فإن عيسى (ع) هو هذا الشخص الذي تقع على عاتقه مثل هذه المسؤولية: «وقد جاء كي يقضي على الخطيئة بالتضحية بنفسه».^١

إن مسألة فداء عيسى - وتضحيته بالنيابة عن جميع البشرية تعدّ من أهمّ مباحث اللاهوت في العهد الجديد.^٢ ووفقاً لهذا المبدأ اللاهوتي فإنّ الناس حينما ابتلوا بعبائل الخطيئة، وألقى غضب الربّ بظلاله عليهم جميعاً، ولم يجد هؤلاء البشر طريقاً للنجاة و عجزوا عن تلمس سبيل الخلاص، هتأ الله لهم طريق الخلاص ومهده لهم: «لأنّه إن كنّا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً - ونحن مصالحون - نخلص بحياته».^٣

وهذا الخلاص له عناصره التي تميّزه عن النوع الآخر للخلاص، ومنها: أولاً: إنّ هذا الخلاص لا علاقة له بمقولة انتظار المخلص والإيمان بالموعود بمعناهما المتداول بين الناس؛ وذلك لأنّ هذا الخلاص ليس متوقفاً على عمل عيسى، بمعنى أنّ نجاة البشر وخلاصهم يعتمد على شخص عيسى - قبل أن يكون من ثمار جهوده ومساعدته الرسولية. وهذا يعني أنّ الناس يمكن لهم انتظار الخلاص من خلال إيمانهم بشخص عيسى.

ويمكن القول بعبارة أوضح إنّ عيسى - ليس هو المنقذ، بل إنّ الوسيط.^٤ ووفقاً لهذه العقيدة فإنّ عيسى - يتوسّط بين الله والإنسان المغضوب عليه من الله، ومن خلال

١. الرسالة إلى العبرانيين، ٩: ٦٢.

٢. توماس ميشل، كلام مسيحي = الكلام المسيحي، ترجمة حسين توفيق، ص ٥٦.

٣. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ٥: ١٠.

٤. راجع: پول تيليش، الهيات سيستماتيك = اللاهوت المنظم، ترجمة حسن نوروزي، ج ٢، ص ٢٣٣.

تضحيته يُصلح ما بينهما و يعيد الوئام إلى علاقتهما.

وقد ميّز اللاهوت التقليدي للمسيحية بين شخص عيسى. وعمله، إذ إنّ البحث عن شخص عيسى. غالباً ما يأتي تحت عنوان (المسيح) بينما يكون البحث عن سيرته تحت عنوان (الخلاص). وعلى أساس هذا الفرق فإنّ لعيسى. أفعال كأفعال الكهنة أو الرسل أو القساوسة، وإنّ قسماً من خلاصه هو من ثمار مساعيه الرسالية. وهكذا، فإنّ هذا الخلاص (أي الخلاص الأول) هو نتيجة إيمان الأفراد بشخصية عيسى. ونفس الشيء يمكن قوله عن الميزة الثانية أيضاً.

ثانياً: إنّ هذا الخلاص هو خلاصٌ فرديّ بصورة كاملة، بمعنى أنّ كلّ فردٍ من الأفراد يمكنه الخلاص بسبب إيمانه بعيسى، وأنّ كلّ واحد يمكنه التمتع بهذه النعمة والموهبة الإيمانية، ولا يتوقف ذلك على مرافقة مجموعة كبيرة له.

وفي المنظار الديني المسيحي التقليدي إذا آمن الشخص بعيسى. صار هذا الشخص المؤمن متّحداً معه، وبهذا الاتحاد يصير هذا الشخص المؤمن شريكاً لعيسى. في جلاله وقيامته، ويتحرّر من تلك الإدانة الأزليّة.^١

وعلى هذا الأساس فلا يتوقف خلاص عيسى على أيّ أمرٍ من الأمور السياسيّة أو البني الاجتماعيّة أو الحكوميّة، بل إنّ عيسى. في مقام عبوديته لله وتضحيته قد تحمّل تبعات خطيئة آدم، ورفع عن كاهل المؤمنين أوزار الخطيئة الأولى بالآلام التي تحمّلها.^٢

ثالثاً: مع الأخذ بنظر الاعتبار الميزتان اللتان سبق الحديث عنهما، فإنّ خلاصية عيسى. في هذا المفهوم لا تخضع لقيود الزمن، بل تتّصف بالديناميكية التامة ولا تختصّ بزمنٍ معيّن، بمعنى أنّ كلّ إنسان - مهما كان زمانه أو مكانه - إذا آمن بعيسى. سينال الحرّية. والخلاص بهذا النوع من المعنى يمكن حصوله في كلّ عصر، كما أنّ عيسى. بكسره لأطر التواريخ يمكن له أن يمارس دور مخلص البشريّة في كلّ آن، لا أن ينحصر دوره في السنين الأولى من تاريخ المسيحية فقط، بحيث يقتصر خلاصه على إنقاذ حوارتييه وأهل عصره فقط. إنّّه يحترّر الناس كافة بصورة ديناميكية وعابرة للتاريخ، ولا تحتاج إلّا إلى أن يؤمن الناس به

١. راجع: رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ٥: ٥.

2. The Interpreters Bible V. 9. P. 426

ليتحزروا من طبيعتهم الفاسدة البالية.

ب) الخلاص بالمعنى الأخروي

وهذا النوع من الخلاص في اللاهوت المسيحي هو مبدأ أخروي لا يعدم العلاقة مع مقولة انتظار الموعود. والخلاص في هذا النوع يستند إلى سيرة عيسى. الرسالية وجهوده الأكليروسيّة. وليس الخلاص والنجاة في هذا المعنى مجرد محصول ينتج آلياً من وجود عيسى وشخصيته، بل هو حاصل عمل وجهود عيسى الرسالية.^١

إنّ عيسى بهذا التفسير للخلاص ليس وسيطاً، بل هو المخلص بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى، وهو الذي يجلب الخلاص لمريديه.

ويؤكد هذا المفهوم للخلاص على مسألة عودة عيسى. مرّة أخرى. والعقيدة المسيحيّة التقليدية تذكر أنّ عيسى سوف يعود إلى العالم مرّة أخرى بعد صلبه بفترة قصيرة لكي يقيم ذلك الملكوت الذي تحدّث عنه ووعد به.^٢

ويؤكد العهد الجديد أنّ عيسى بذاته^٣ سوف يعود إلى هذا العالم ويظهر بصورة مفاجئة و دون إعلان مسبق،^٤ بجلالة أبيه وهيبته ومرافقة الملائكة له،^٥ ويحالفه النصر والفتح،^٦ ويخلص بني إسرائيل والمؤمنين كافة به بفضل تشكيله للحكومة وإقامته للملكوت الإلهي.

والخلاص بهذا المعنى من مفاهيم الكتاب المقدس الأساسيّة جداً وفائقة الأهميّة، ولو أراد أحد أن يجمع الآيات الخاصّة بعودة عيسى وتخليصه من هذا الكتاب المقدس فلا شك أنّه سيجمع قائمة طويلة من هذه الآيات، بل إنّ هناك أبواباً - بل كتباً مستقلة - في مجموعة العهد الجديد لم تتم كتابتها إلّا لغرض بيان كيفيّة رجوع عيسى وسيرته.

والنجاة بهذا المعنى تمتاز بخلفيّة أكثر عمقاً، خلافاً للنجاة بمعناها الأوّل، فهذه النجاة هي

١. الهيات سيستماتيك = اللاهوت المنظّم، ص ٢٣١.

٢. برايان ويلسون، دين مسيح = الدين المسيحي، ترجمة حسين أفشار، ص ٣١.

٣. يوحنا، ١٤: ٣.

٤. متى، ٢٣: ٤٢، ٥١.

٥. المصدر نفسه، ٦١: ٧٢.

٦. لوقا، ١١: ٢٧.

الأكثر انسجاماً مع عقائد المسيحيين التاريخية، كما أنها يمكن أن تجد ما يؤيدها في ثنايا الكلمات المروية عن عيسى.

وكان المسيحيون - قبل أن يطلعوا على نصوص بولس اللاهوتية حول الخلاص بمعناه الذي أشرنا إليه - ينتظرون مخلصاً ينفخ روح الحياة في عظمة و جلاله حكومة داود، ويعيد إليهم سيادتهم. وقد انتهى هذا الانتظار بمجيء عيسى وارتدائه لباس الإمارة. وعندما ارتقى الصليب كانوا يعتقدون بأنه قد قام من قبره و صعد إلى السماء و سوف يعود مرةً أخرى، و عادوا يعيشون فترة انتظارٍ أعمق مغزى من سابقه، ولا يزالون يهتفون أنفسهم لعودة عيسى. و انتظار تكرار عظمة سلطنة داود. ولهذا السبب يرى الناظر إلى اللوحات المرسومة لتصوير عيسى أنه يلبس نفس الملابس التي ذكروا أن داود كان يرتديها.

و على هذا الأساس، يجب القول إنَّ أشدَّ الفرضيات رسوخاً في هذا النوع من الخلاص هو العقائد التاريخية للمسيحيين، تلك العقائد التي رافقتهم من دينهم السابق. وأهم وأبرز هذه العقائد هو الاعتقاد باختيار بني إسرائيل، وعهد الله الذي عاهدهم به.

١. الاختيار

و طبقاً لهذه العقيدة التاريخية فإنَّ بني إسرائيل هم شعب الله المختار: «لأنَّ الربَّ إلهك قد اختاره من جميع أسباطك لكي يقف لخدم باسم الربَّ هو وبنوه كلَّ الأيام».^١

وإنَّ الله لم يختر على مدى الأجيال و من بين جميع القبائل إلاَّ هم باعتبارهم شعبه المختار: «إني لم أختر إلاَّ أنت من بين جميع قبائل الأرض».^٢

ولهذا السبب يرى نفسه مكلفاً بحمايتهم والدفاع عنهم و اختيار الإمام و الملك لهم: «وقال داود لميكايل: إنَّ الله هو الذي فضّلني على أبيك و على كلِّ أفراد عائلته كي يجعلني زعيماً لشعب الله، أي لإسرائيل».^٣

و إيماناً من بني إسرائيل بهذه العقيدة ظلّوا طوال تاريخهم المأساوي و في أشدَّ الظروف صعوبةً و خلال فترة أسرهم ينتظرون المعين و المخلص السماوي. و كانوا يقضون أعمارهم

١. سفر التثنية، ١٨: ٥.

٢. عاموس، ٣: ٢.

٣. الكتاب الثاني لصموئيل، ٦: ١٢.

و هم يستمدون العزيمة من هذه العقيدة لتحمل مصاعب عصرهم كافة آملين مجيء مخلصٍ ينهي معاناتهم.

٢. العهد

إن الاختيار في حقيقته يمثل ماهية العهد الذي يؤشر العلاقة الأساسية بين الله و بني إسرائيل، والذي جرى التأكيد عليه في أرجاء الكتاب المقدس العبري.^١

و المراد من العهد هو العهد الذي يذكر الكتاب المقدس أن الله قد عقده مع إبراهيم،^٢ ثم عقده مع هذا الشعب بوساطة موسى. و كما يؤكّد هذا العهد فإن الله لن يترك هذا الشعب وحيداً، وإن أبناء إبراهيم سيرثون الأرض في نهاية الأمر.

و هذا الوعد المفعم بالآمال كان بمثابة المواساة الوحيدة لبني إسرائيل على مدى تاريخهم المليء بالمحن. و كان الإيمان بهذا الوعد هو السبب الكامن وراء استجابة هذا الشعب السريعة لنداء موسى و أتباعهم له، ثم و بعد قرونٍ عديدة حينما ظهر عيسى. بكلامه الأسر بين صفوف هذا الشعب، لم يتوان هذا الشعب عن التصديق بدعوته دون أدنى تردد. و رغم أنه لم يصرح بكونه ذلك المسيح الذي وعد الله بني إسرائيل بمجيئه، إلا أنهم ألبسوه رداء الأمير، و أحاطت به جماعة منهم، و نادوه بلقب الموعود.

إلا أنه عندما صُلب المسيح قبل أن يتمكن من تنفيذ أي وعدٍ من وعود أشعيا و دانيال أو أن يؤسس الحكومة الشاملة، انتعشت فكرة قيام المسيح و عادت الآمال إلى الأذهان من جديد تنتظر عودته كي يحقق كل هذه الوعود.

و إذا لم يأخذ المرء هذه الوعود و الخلفيات اليهودية لهذه السنة بنظر الاعتبار فلا شيء يمكن أن يفسر عودة المسيح أو يبرر انتظار المسيحيين لعودته طوال هذه القرون المتמادية. و لهذا السبب يعتقد هؤلاء أن من الأهداف المهمة لعودة المسيح هو إنقاذ بني إسرائيل.^٣

و لهذا النوع من الخلاص وفق التقاليد الدينية المسيحية ما يميّزه من الخصائص، يمكن الإشارة هنا إلى بعض منها، وهي:

1. Jadaica Chosen Papel, P. 498 - 499

٢. سفر التكوين، ١٧: ٩١.

٣. الهيات مسيحي = اللاهوت المسيحي، ص ٣٣١.

الميزة الأولى، وهي العلامة البارزة لهذا الخلاص، هي مبدئيتها وتطلعها نحو المستقبل، و انتسابها إلى الاعتقاد بالموعود. وبعبارة أوضح ارتباطها بمفاهيم آخر الزمان.

ولهذا السبب نرى في الموروث اللاهوتي المسيحي أن الحديث عندما يكون عن الخلاص بنوعه الأول فإنه يأتي ضمن المباحث المربوطة بالفيض والخلاص عن طريق الإيمان، في حين إذا كان الحديث عن الخلاص بمعناه الثاني فيمكن العثور عليه ضمن مقولة اللاهوت الأخرى.

وعلى هذا الأساس يكون هذا الخلاص نوعاً من الخلاص الموعد الذي سيتحقق بمجيء عيسى كما تقول وعود الكتاب المقدس.

أما الميزة الثانية فهي أن هذا الخلاص يتوقف على جهود عيسى ومسايعه، ومن هذا الباب فهي تفرق عن الحيثية الآلية للخلاص بالمعنى الثاني. والمقصود بهذا الكلام أن عيسى سوف لن يظهر بدور الوسيط، بل بدور الملك أو الكاهن الذي سيخلص أتباعه. ولا يُعدّ إيمان المؤمنين شرطاً لازماً في هذا النوع من الخلاص، وإن أمكن اشتراط بعض الشروط اللازمة له، بمعنى أن الخلاص يحتاج - مضافاً إلى الإيمان - إلى المساعي الاجتماعية من قبل عيسى.

والثالثة أن هذا الخلاص و خلافاً لنوعه الأول، يكون تحقّقه من خلال عملية التحوّل الاجتماعي. ولهذا نرى أن هذا النوع من الخلاص يتّسم بسمة التحرّر من الخطيئة، أو بعبارة أخرى إنّ نقطة شروعه ليست الطبيعة الجسدية الفاسدة، ولا الخطيئة، بل التشردم والظلم.

إنّ عيسى بحركته هذه وإقامته لمملكة الربّ - وهو ما يمثّل الحلقة المركزية لتعاليم عيسى. ونصوص الكتاب المقدس^١ - إنّما يقوم بالخطوة الأولى في عملية الإنقاذ، فيبدأ بإنقاذ بني إسرائيل من شرور أعدائهم كما وعدهم أرميا وحزقيال، ويؤخّذ كافة أسباط بني إسرائيل كما وعد إشعيا^٢ وإرميا^٣. وحينذاك ستبدأ رسالة الإنجيل بالانتشار طوال

1. Dictionary Of The Bible, Kingdom Of God

٢. إشعيا، ٤٤: ٨.

٣. إرميا، ١٣: ١٣.

ألف سنة قادمة .

و كما تشير وعود العهد الجديد فإن عيسى عند عودته سيحكم بين الأمم، وينشر رسالة الإنجيل، ويفتح الألفية الذهبية لأتباعه. وغالبية هذه الوعود يكون تطبيقها من خلال السلوك الاجتماعي.

تأثير حكومة العدل الإلهية على المسار التاريخي لحركة الأنبياء

الدكتور نصرت الله آيتي^١

ملخص

طبقاً لإرادة الله (عَزَّوَجَلَّ) فإنَّ نهاية التاريخ ستكون على يد رجل قد ينشر النور على كل أجزاء الوجود و يُقيم حكومة إلهية ملؤها العدل و القسط. فإذا كانت الإرادة الإلهية قد قضت بتحقيق مثل هذه النهاية السعيدة فلا شك في أنَّ الله سبحانه سيهيئ جميع الظروف التي تحتاج إليها تلك النهاية على مسار التاريخ و من خلال سُنَّته المعهودة و المعروفة. أمَّا السؤال المهم الذي يطرح نفسه ههنا هو: «متى بدأ البرنامج الإلهي لتهيئة الأسس و الأرضية اللازمة لتحقيق الهدف المذكور، و ما هي نقطة البدء التي حُدِّدت في البرنامج الإلهي للتحرك نحو ذلك الهدف؟»

هناك رأيان اثنان يمكن تناوُلهما في هذا الشأن، بالاستناد إلى الرأي الأول فإنَّ بعثة الرسول الأعظم (ص) تُعدُّ نقطة التحرك نحو ذلك الهدف؛ أمَّا الرأي الثاني فيقول إنَّ تأسيس حكومة العدل الإلهي في العالم كان هدف و غاية جميع أنبياء الله تعالى و أنَّ كلاً منهم أدَّى دوره بحسب مكانته و موقعه الديني و وضع حجر الأساس لبناء صرح ذلك الهدف العظيم؛ و هكذا، فإنَّ البرنامج الإلهي الخاص بتحضير القواعد و الأسس المطلوبة لإنشاء حكومة العدل العالمية قد بدأ في الحقيقة منذ خلق الإنسان.

في مقالتنا هذه سنشير إلى جميع الشواهد و الدلائل التي تؤيد الرأيين المذكورين.

١. عضو الهيئة العلمية لمؤسسة (المستقبل المضيء) قم (ayati110@yahoo.com).

الكلمات المفتاحية:

الإمام المهدي (عج)؛ الظهور؛ الحكومة العالمية؛ التمهيد؛ بعثة الأنبياء (عليهم السلام)؛ حركة الأنبياء (عليهم السلام) عبر التاريخ.

مقدمة

من أهم الوعود التي قطعها الله (عَزَّوَجَلَّ) في القرآن الكريم وعده بإقامة حكومة خاصة بالصالحين، ويبدو أن المراد بذلك الوعد الإلهي - وفق ظواهر الآيات القرآنية والأحاديث الكثيرة الواردة عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) - هو حكومة العدل العالمية التي سيتم تأسيسها في نهاية التاريخ على يد المهدي الموعود (عج). ولما كانت إرادة الله تعالى قد تعلقت بتحقيق مثل هذا المستقبل المشرق فإنه من الطبيعي إذا كان تحققه يتطلب إيجاد الظروف والشروط التي لا بد من توفرها على مسار التاريخ من قبل الله (عَزَّوَجَلَّ) فإن الله سبحانه سيهيئ تلك الظروف ويوفر تلك الشروط حتى يتحقق المستقبل المذكور. فكل إنسان عاقل وحكيم يضع أمامه هدفاً يستغرق وقتاً ويمتد إلى فترة طويلة لا يمكن أن يغفل أبداً عن تهيئة الظروف لتحقيق ذلك الهدف. لكن السؤال الأهم هنا هو: "متى بدأ الله تعالى بوضع البرنامج الخاص بتمهيد الأرضية اللازمة لتأسيس حكومة العدل العالمية، وما هي نقطة البدء في البرنامج الإلهي للتحرك باتجاه ذلك الهدف العظيم؟"، هل يمكن اعتبار تحقق الحكومة العالمية في آخر الزمان الهدف الرئيس من إرسال كل أولئك الرسل وبعث الأنبياء و بالتالي القول بأن بدء خلق الإنسان هو نفسه نقطة بدء وضع البرنامج الإلهي المتعلق بإنشاء حكومة العدل العالمية؟

لا شك في أن الإجابة عن دينك السؤالين تتطلب منا الرجوع إلى الوراء قليلاً والتساؤل: "هل تُعتبر خلق الإنسان مرهونة بهدف واحد في سلسلة أفراد البشر ككل؟"، هل تحقق إرسال الرسل من أجل الوصول إلى الهدف المنشود؟"، هل يمكن اعتبار رسالات الأنبياء (عليهم السلام) الذين بُعثوا في فترات مختلفة من التاريخ متصلة ببعضها؟"، هل كان للأنبياء الذين أرسلوا في فترات متعددة أهدافاً مرحلية وخاصة بعصرهم فقط؟".

سنحاول في هذا البحث الإجابة عن السؤال الأول وهو الأهم من بين الأسئلة المطروحة.

الفرضيات المحتملة بشأن دور الأنبياء في حكومة العدل العالمية

هنالك رأيان يمكن الخوض فيهما، وكما يأتي:

الرأي الأول: تأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ هو هدف خاتم الأنبياء (ص).

بالاستناد إلى الرأي أعلاه فإن مسألة ظهور الموعود و مجيئه و تأسيس حكومة العدل العالمية على يده تُعدّ هدف خاتم النبيين (ص) وذلك وفق البرنامج الإلهي الموضوع مسبقاً، وأن الرسول الأعظم (ص) قام بوضع حجر الأساس و تهيئة الظروف بشكل هادف و ببناء. يشير هذا الرأي إلى أنّ الرسول الكريم (ص) سعى بحسب المسؤولية التي أنيطت به منذ البدء إلى العمل على تشكيل حكومة العدل العالمية، لكن، وبما أنه (ص) كان يعلم أنّ تحقق هذا الهدف الكبير لن يحدث في حياته و عصره وأنّ هذا الأمر بحاجة إلى بعض المقدمات و الأسس التي لم تتوفّر حتى ذلك الوقت فقد اكتفى بوضع برامج استعداداً لتحقيق الهدف المذكور في نهاية التاريخ كما سعى من خلال برنامج هادف إلى وضع المقدمات و الأسس و بيانها بحيث يمكن للهدف المذكور أن يتحقق في نهاية الأمر في الوقت المناسب و يكون تأسيس الحكومة على يد المهدي الموعود (عج) تحقّقاً عينياً للهدف الذي كان خاتم الأنبياء (ص) ينشده.

الرأي الثاني: تأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ هدف جميع الأنبياء (عليهم السلام).

وفق هذا الرأي فإنّ مسألة ظهور المهدي الموعود (عج) و تأسيس حكومة العدل العالمية ليست هدفاً متعلقاً بالفترة التاريخية لبعثة الرسول الأعظم (ص) خاصّة بل كانت الحكومة العالمية و على مرّ التاريخ في صلب اهتمامات الشخصيات التاريخية الإلهية كما كانت الهدف الأعظم الذي طالما شغل بال الكثيرين في أعماق القرون و الأعصار فكانت البرامج توضع و المساعي تُبدل على قدم و ساق من أجل تحقيقه. و بعبارات أخرى، كان للأنبياء (عليهم السلام) تصوّراً يشمل طول تاريخ البشرية و عرضه بالإضافة إلى تصوّراتهم التي شملت عصرهم و مسار شريعتهم في حياتهم، فكانوا يشاهدون التاريخ من أوله إلى آخره و يخطون خطوات متسارعة بُغية الوصول إلى ذلك الحدث الكبير. و هكذا، فإنّ جميع الأنبياء

(عليهم السلام) دون استثناء لم يكونوا يحملون سوى هدف واحد فقط على مر التاريخ و كانت حركتهم التاريخية تسير في طريق بلوغ تلك الغاية الوحيدة ألا وهي تأسيس حكومة العدل العالمية، و كان كل منهم يسعى من جانبه للوصول إلى المجتمع الإنساني المطلوب الذي سيتم بناؤه في آخر الزمان.

إذا سلمنا بأن الأنبياء (عليهم السلام) كانت لهم هذه النظرة وأن كلاً منهم كان يحمل التصور المذكور فإن ذلك يعني أن كل واحد منهم قد أسهم في وضع لبنة في ذلك الصرح العظيم وفي مكانه المناسب وأن اللبنة الأخرى من بعد كل واحد منهم كانت توضع فوق اللبنة السابقة، كما أن كل حركة أو سكون أذاها أولئك الأنبياء (عليهم السلام) على مر التاريخ كانت لا ريب متناسبة مع بناء صرح ذلك الهدف العظيم. وهكذا، يمكن أن نذكر عدداً من الشواهد من الكتاب والسنة لكل رأي من ذينك الرأيين المذكورين.

في السطور التالية سنحاول تجميع تلك الشواهد وتحليلها بالترتيب.

القرائن الخاصة بالرأي الأول

يمكن دعم الرأي الأول وتأيينه من خلال بعض القرائن والشواهد، ومنها ما يأتي:

١. الرسول الأعظم (ص) وفكرة المهدوية

أشار الرسول الكريم (ص) في الكثير من الروايات والأحاديث المنقولة عنه إلى مسألة ظهور المهدي الموعود (عج) وقضية تأسيس حكومة العدل العالمية و حتمية وقوع هذا الحدث الكبير وأطنب في شرح ذلك وتفصيله و بيانه، فبالإضافة إلى طرحه موضوع المهدوية عمداً (ص) في العديد من الروايات والأحاديث إلى الكشف عن تفاصيل هذا الحدث المهم مثل تعريف الإمام المهدي (عج) بالاسم والنسب و بيان صفاته الظاهرية و سجايه الأخلاقية ثم الإشارة إلى موضوع غيبته و كذلك علامات الظهور و أماراته و غير ذلك.

فإذا نظرنا إلى هذا الكم الهائل و العدد الكبير من التعاليم و التوصيات الواردة عن النبي الأكرم (ص) من حيث كون الدين الإسلامي هو خاتم الأديان و أنه الدين العالمي الذي جاء

هداية جميع أفراد البشر على وجه البسيطة إلى يوم القيامة، وكذلك من حيث أن العدالة ستتحقق لجميع البشر على مستوى العالم كله في آخر الزمان وذلك من خلال تطبيق جميع تعاليم هذا الدين الحنيف والعمل وفق أحكامه وتوصياته، فإن هذا الاهتمام الكبير والزائد بمسألة المهدوية والتركيز على أهميتها يدل دلالة واضحة على أن ذلك الهدف السامي والتصور العالي كان موجوداً في عمق المنظومة الفكرية للرسول الأعظم (ص) وأن الخطوات التي خطاها (ص) في هذا الطريق تصب في نفس مسار تصوّره وأفقه البعيدين، بل إن ذلك يمثل ضابطة عامة وكلية، فعندما يُقرّر إنسان حكيم القيام بعمل ما وهو يعلم أن تحقق ذلك العمل لن يكون إلا بعد وفاته بسنين طويلة فإن محاولته هذه وإقدامه على القيام بذلك العمل يُعدّ بحدّ ذاته شاهداً قوياً ودليلاً ساطعاً على أنه ينشد غاية سامية في مستقبل التاريخ بنظرته العميقة، وأنه يرى من خلال أفقه البعيد تلك الأزمنة السحيقة بعد وفاته. وهذا مُشبه لما يقوم به الفلاح المسنّ عندما يزرع شجرة جوز وهو يعلم أنها لن تحمل ثمراً إلا بعد مرور سنين طويلة وربما كان ذلك بعد وفاته، ويعرف أن عمره لن يُمهله في الانتفاع بثمر تلك الشجرة؛ فلا ريب أن هدفه من زرع تلك الشجرة هو انتفاع الآخرين بها ممن سيأتون بعده. وهكذا، فإن تأسيس حكومة العدل العالمية كان من ضمن أهداف النبي الكريم (ص) وتطلّعاته في المستقبل، وقد أسهم (ص) بدوره بما يلزم في تحقيق تلك الغاية السامية.

٢. تأسيس نظام الإمامة

يمكن اعتبار طرح فكرة الإمامة من قبل الرسول الأعظم (ص) قرينة أخرى للرأي المذكور فعندما ندرك أن الإمام المهدي (عج) الذي سيقوم بتأسيس حكومة العدل العالمية هو آخر حلقة في سلسلة نظام الإمامة الذي وضعه النبي الكريم (ص) يتبين لنا بوضوح أن خاتم النبيين (ص) كان واضحاً تلك النهاية في حساباته منذ البدء وأنه كان يهدف للوصول إلى تلك الغاية من خلال تشييد البنيان (أو النظام) المذكور.

٣. الشواهد القرآنية

تحدّث القرآن الكريم في الكثير من آياته بشأن الهدف من بعثة خاتم الرسل (ص) ومن

أوضح تلك الآيات وأشهرها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^١، وفيما يتعلق بهذه الآية الشريفة والمقصود بالإظهار فيها و مرجع الضمير في قوله سبحانه: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ فإن هنالك العديد من الآراء؛ لكن مهما يكن من أمر، فإن ما ورد في هذه الآية الكريمة بصراحة هو أن الهدف من وراء إرسال خاتم النبيين (ص) بالدين الحق إظهاره على كل الأديان؛ وبناءً على ذلك فإن هذه الآية تصرّح بما لا يقبل الشك أن هدف إرسال النبي الكريم (ص) وبعثته إظهاره وتغليبه على سائر الأديان الأخرى، وهذا الإظهار والغلبة ليسا محدودين بالتحقق في حياة الرسول الأعظم (ص) أو بعد وفاته حتى وقتنا هذا؛ بل لا بد من توقع تحقق هذا الوعد في الزمن القادم حيث أشار الأئمة المعصومون (عليهم السلام) إلى أن تلك الغلبة وذلك الإظهار سيتحققان في زمان الإمام المهدي الموعود (عج).

وفيما يلي بعض الروايات التي تؤكد هذه الحقيقة:

قال الإمام الحسين (ع): «مِثْنَا اثْنَا عَشَرَ مَهْدِيًّا أَوْلَهُمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَآخِرُهُمُ التَّاسِعُ مِنْ وَلَدِي، وَهُوَ الْإِمَامُ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، يُحْيِي اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَيُظْهِرُ بِهِ دِينَ الْحَقِّ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ...»^٢.

وعن محمد بن الفضيل قال: «سأله [أي، الإمام الكاظم (ع)] عن قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^٣، قال: "يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) بِأَفْوَهِهِمْ". قلت: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾، قال: "وَاللَّهُ مُتِمُّ الْإِمَامَةِ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾^٤، فَالنُّورُ هُوَ الْإِمَامُ". قلت: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾، قال: "هُوَ الَّذِي أَمَرَ رَسُولَهُ بِالْوَلَايَةِ لِوَصِيِّهِ، وَالْوَلَايَةُ هِيَ دِينُ الْحَقِّ". قلت: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، قال: "يُظْهِرُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ...".^٥

١. سورة التوبة (البراءة)، الآية ٣٣.

٢. الشيخ الصدوق، ١٣٦٣: ٣١٧.

٣. سورة الصف، الآية ٨.

٤. سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

٥. الكليني ١٣٦٧: ج ١، ٤٣٢.

نستشف مما مرّ أنه وفق التفسير الذي قدّمه لنا أئمة آل البيت (عليهم السلام) فإن الآية الشريفة المذكورة تشير بوضوح إلى غلبة الدين الإسلامي و ظهوره على سائر الأديان الأخرى في زمان ظهور الإمام المهدي الموعود (عج)، و نتيجة لذلك، و بالاستناد إلى الآية الكريمة فإن الهدف من بعثة الرسول الأعظم (ص) سيتحقّق في زمن الظهور. من الواضح أنّه إذا كان الهدف من بعثة النبيّ الكريم (ص) سيتحقّق في عصر ظهور المهدي (عج) فإن أيّ إنسان حكيم سيّندل قصارى جهده في سبيل الوصول إلى ذلك الهدف و سيضعه نُصب عينيه في كلّ خطوة يخطوها أو عمل يقوم به بما يتناسب و دور تلك الخطوة و ذلك الفعل في تحقّق الهدف المذكور؛ و بناءً على ذلك فقد كان الرسول الأعظم (ص) واضحاً ذلك الهدف السامي في اعتباراته و حساباته في كلّ تصرّف و سلوك قام به خلال حياته الشريفة، و كانت كلّ أفعاله و خطواته (ص) تصبّ في المسار المرسوم لها بدقّة.

القرائن الخاصة بالرأي الثاني

أشرنا آنفاً إلى أنّ الرأي الثاني يؤكّد على كون مسألة تأسيس حكومة العدل العالمية لم تكن هدف خاتم النبيّين (ص) وحده بل كانت هدف جميع الأنبياء و المرسلين (عليهم السلام) من قبله كذلك و أنّ كلّاً منهم قد بذل ما في وسعه على مرّ التاريخ لوضع اللبّات الأولى و المقدمات الخاصّة بتحقيق ذلك الهدف السامي، و أنّ كلّ حركة أو سكّون قام بها الأنبياء (عليهم السلام) من قبل كانت متناسبة مع الهدف المذكور و مواكبة له. و بالاستناد إلى هذه النظرة و بناءً على استعدادات الإنسان و المجتمع و طاقة كلّ منهما فقد تمّ تحديد هدف لكلّ منهما و هو هدف يتجاوز الأجيال، أي أنّه لا يمكن لحيل واحد مُعيّن تحقيق الهدف المذكور بمفرده، و هكذا فقد قام كلّ نبيّ و مرسل بالدور المناط إليه و هو هداية قومه و إرشادهم و ذلك بالاستناد إلى الأفق الذي كان يراه أمامه و الهدف النهائي المنشود، ثمّ استمرّ أوصياؤهم من بعدهم بالتسير على نهجهم و سيرتهم و البرامج التي وضعوها لهم لكي يتمّ تحقيق مقدمات الوصول إلى الهدف المذكور بشكل تدريجيّ.

وفيما يتعلّق بالقرائن التي تؤيّد الحركة التاريخية للأنبياء (عليهم السلام) باتجاه إنشاء حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ فإنّه يمكن النظر إلى هذه المسألة من خلال ثلاث

زوايا، هي: أولاً، التركيز على الموضوع؛ فالموضوع الرئيس ههنا من كل الأهداف والبرامج و الجهود التي قام بها الأنبياء (عليهم السلام) هو الإنسان نفسه، وقد أرسل جميع الأنبياء (عليهم السلام) دون استثناء لهداية الإنسان، وبالتالي فإن تأسيس مجتمع العدل العالمي يُراد به هداية الإنسان و وصوله إلى الفلاح و العبودية. إذن، فالإنسان و موضوع هدايته هما النقطة التي حاول جميع الأنبياء (عليهم السلام) تسليط الضوء عليها في حركتهم وإجراءاتهم على طول التاريخ. و عليه، يمكن تحليل المسألة المذكورة من خلال تحليل الإنسان و بنيته و طبيعته ثم الخوض في هذه المسألة من زاوية ذات الإنسان نفسه و معرفة ما إذا كانت تلك الذات و الطبيعة الإنسانيتين تتطلبان التكامل التدريجي و بالتالي فهما بحاجة إلى وصفة تدريجية و فترة من الزمن، أم أن طبيعة الإنسان و بنيته هما على نحو بحيث يمكنهما الوصول إلى الكمال في مرحلة مُعَيَّنة، و عليه، فهما في غنى عن أية وصفة تدريجية أو مهلة.

وأما الزاوية الثانية لتحليل الهدف، فتتمثل في بيان أن هذا الحدث - الذي سيقع في نهاية التاريخ على شكل حكومة عالمية يسودها العدل و القسط في كل جوانبها - يُعدّ من مسلّمات الدين الإسلامي، وأن الله (عَزَّوَجَلَّ) شاء تحقيق هذا الهدف بل و ضمن تحقيقه بشكل مؤكد.

وأما السبيل الثاني لتحليل هذه المسألة فهو تحليل الهدف المذكور و التركيز على ما إذا كان تحقق الهدف المذكور بحاجة إلى الاستناد إلى النظرة التاريخية و الهدف التاريخي أم إن هذا الهدف يمكن تحقيقه من دون الحاجة أي نظرة تاريخية أو وضع برامج طويلة الأمد.

وأما النظرة الثالثة فهي النظرة النقلية و التركيز على التعاليم الإسلامية و تحليلها و التأمل في إمكانية إيجاد القرائن المطلوبة - بين التعاليم الدينية - التي تؤيد كون حركة الأنبياء (عليهم السلام) جميعاً على طول التاريخ كانت في سبيل تأسيس حكومة العدل العالمية و أنهم قدّموا الخطوات لأجل تحقيق هذا الهدف، أم إن التعاليم الإسلامية تنظر إلى مسألة الظهور بعيداً عن المسار الذي اتبعه الأنبياء (عليهم السلام) و التحرك الذي قاموا به.

١. تحليل الإنسان و طبيعته

يتطلب إثبات هذه الدّعى قبل كل شيء إثبات بعض المقدمات، و كما يلي:

١. الإنسان كائن لا يتسنّى له أن يبلغ الكمال دفعة واحدة بل تزدهر الطاقات و الإمكانيات

الموجودة في داخله تدريجياً ومع مرور الوقت.

إنَّ إثبات هذه المقدمة ليس صعباً كما هو واضح حيث يمكن تأكيد ذلك مع قليل من التركيز على التجارب المعروفة. على سبيل المثال، يُعتبر الجسم بُعداً من أبعاد الوجود الإنساني، فتكامل هذا الجسم الكثيف هو أن يصبح قوياً وجليداً وهو أمر لا يمكن حصوله إلا بشكل تدريجي ومع مرور الزمن. فالإنسان عند ولادته يمتلك جسماً ضعيفاً هزئياً وحساساً يعجز حتى عن أداء أبسط الفعاليات أو النشاطات، لكن مع مرور الوقت يشبّ جسمه ويقوى أكثر فأكثر وبالتدريج من خلال التغذية المناسبة وتوفر جميع الشروط والظروف المطلوبة، ويمكن لهذه العملية أن تستمر وتدوم بواسطة أداء الفعاليات والممارسات الرياضية إلى أن يصبح ذلك الجسم الضعيف والهزيل قوياً وجليداً بالقدر المطلوب.

ويمكن تطبيق هذه القاعدة كذلك على الأبعاد غير المادية للإنسان ومن ذلك أنَّ قوة التفكير ليست مُستثناة من هذه القاعدة؛ فهذا الإنسان الذي يشير إليه القرآن الكريم بأنه لم يكن يملك أي شيء من العلم والدراية: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...﴾^١ يخرج من حالة الجهل شيئاً فشيئاً ثمّ تزداد علومه ومعارفه من خلال محاولاته و جهوده في تحصيل العلم، وتتراكم معلوماته أكثر فأكثر حتى يتحوّل إلى عالم كبير وعارف شهير يستطيع كشف الكثير من مجهولات العالم الذي يحيط به، بل ويدخل عالم الاختراعات والاكتشافات من أوسع أبوابه. وهكذا هي الحال مع تربية الإنسان وازدهار فضائله الأخلاقية في أعماق نفسه فهي كذلك تحتاج إلى بعض الوقت لأنه لا بدّ للإنسان من أن ينشأ ويتعرّع على يد مُربٍّ ومُعلِّم كامل، ومع مرور الزمن نلاحظ أنّه يقوم بترك الرذائل الأخلاقية واجتنابها الواحدة تلو الأخرى ويغرس في أعماقه شجرة الفضيلة ويبدأ بسقيها ومراقبتها حتى تتجذّر في باطنه ووجوده كلّ الفضائل لتتحوّل بعدها هذه الفضائل إلى ملكة راسخة لا تتزعزع.

٢. وكما يمكن للإنسان الحصول على الكمال من الناحية الفردية وبلوغه بالتدريج،

١. سورة النحل، الآية ٧٨.

كذلك يمكن للمجتمع الإنساني بأكمله أن يصل إلى الكمال مع مرور الوقت وبشكل تدريجي أيضاً. ومن خلال نظرة إلى الماضي يمكن أن نعرف أنه عندما كانت المجتمعات الإنسانية تتقدم إلى الأمام من الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها فإن تلك الحركة و ذلك التقدم لم يحصل دفعة واحدة وبشكل مفاجئ بل حصل ذلك مع مرور الزمن و خلال مراحل تاريخية متعددة. على سبيل المثال، فإن الكثير من الدول والحكومات في الماضي السحيق كانت تحكم شعوبها على نحو ديكتاتوري ومستبد، إلا أن المجتمع الإنساني المعاصر بلغ حدّاً من التكامل بحيث لا يمكن إخضاعه أو السيطرة عليه بالأسلوب المذكور. و حتى إذا اعترفنا بوجود أنواع مشابهة من الحكومات الديكتاتورية في الوقت الحاضر تحكم البلدان و تسيطر الشعوب على هواها وتملك رقابها، فإن عدم استخدام الطغاة و الديكتاتوريون القوة أو العنف المفرط لفرض سيطرتهم على تلك الشعوب هو دليل واضح على بلوغ تلك الشعوب نوعاً من التكامل الاجتماعي.

ومهما يكن من أمر فمن الواضح أن وصول المجتمعات الإنسانية إلى هذا الحد من المعرفة والإدراك كان أمراً تدريجياً و مع مرور الوقت و الزمان و لم يكن مفاجئاً أو دفعة واحدة. هذا، و يعتقد العلامة الطباطبائي أن السبب في السير التكاملي للشرائع في الأساس هو هذا السير التكاملي للمجتمعات الإنسانية، و حول هذه المسألة يقول رحمه الله:

«و من جهة أخرى فإن النوع الإنساني يتجه نحو الكمال بصورة تدريجية، و المجتمع البشري يتكامل بمرور الزمان، و أن ظهور هذا النسق من التكامل ضروري في الشرائع السماوية، و يؤيد القرآن الكريم هذا التكامل التدريجي (إذ يمكن الوصول إليه عن طريق العقل)، و مما يُستفاد من آياته، إن الشرائع اللاحقة أكمل من الشرائع السابقة، بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهِمِّنَا عَلَيْهِ﴾^١.

٣. من بين الأصول و المبادئ التربوية التركيز على الطاقات و المواهب الخاصة بالشخص الذي يُراد تربيته؛ فمن الواضح أنه إذا أردنا إنجاح عملية التربية و الهداية و بلوغ الهدف المنشود منها فعلى المُربي أن يضع برامجها بما يتناسب و بنية الفرد المُراد تربيته و إمكانياته و

١. العلامة الطباطبائي، ١٣٨٥: ١٤٣.

استعداداته ثم البدء بتنفيذ تلك البرامج و تطبيقها. إن تجاهل هذه الحقيقة والتغاضي عن هذا الواقع معناه تحميل الآخرين عبئاً يفوق قدراتهم و طاقاتهم و المعروف أن النتيجة الحتمية لهذا العمل ليست سوى سقوط الحمل عن ظهر الحامل و عجزه عن تحمّله. و بناءً على هذا، لا ينبغي التغافل عن هذه النقطة المهمة في مسألة هداية الإنسان كذلك وفق الضابطة المذكورة.

إذا كان ما قلناه حتى الآن صحيحاً و دقيقاً فإن الضابطة نفسها يمكن تطبيقها في أمر هداية الله (عَزَّوَجَلَّ) للمجتمعات الإنسانية، و الله سبحانه الذي تعهد بهداية الإنسان و المجتمعات الإنسانية و قيادتها إلى الكمال سيتصرّف حتماً وفق ما تقتضيه حكمته تعالى في أمر الهداية و ذلك بما يتناسب و بنية الإنسان و طاقاته و إمكانياته و منها السير التدريجي نحو الكمال النهائي المنشود.

و نستنتج مما مرّ بنا أن الله (عَزَّوَجَلَّ) شاء أن يكون تأسيس المجتمع الإنساني في نهاية التاريخ و الزمان منزهاً عن كلّ نقص و أن يبلغ ذلك المجتمع أقصى درجات الكمال اللازمة له. و من ناحية أخرى فإن الله سبحانه يعلم أن وصول المجتمع الإنساني إلى تلك الدرجة من الكمال أمر مستحيل إلا مع مرور الوقت و تجاوز أفراد البشر للحوادث و الوقائع الحلوة و المرة و حصولهم على التجارب الغنيّة من تلك البلايا و المحن التي تمرّ بهم على طول التاريخ البشري؛ فإذا كانت مشيئة الله تعالى قد اقتضت إيجاد مثل ذلك المجتمع الإنساني في آخر الزمان و أن ذلك المجتمع لن يبلغ هدفه الغائي إلا بشكل تدريجيّ و مع مرور الوقت، فلا شك في أنه (عَزَّوَجَلَّ) قد وضع لهذا الإنسان برنامجاً يتطلّب الوقت اللازم و وصفة تتناسب مع تكامله التدريجيّ في آنٍ معاً.

ولعلّ أفضل وصفة تدريجية وضعها الله سبحانه من أجل وصول الإنسان إلى الكمال و التكامل المطلوبين هو برنامج إرسال الرّسل و الأنبياء (عليهم السّلام) ذلك أنه ليس أمام الإنسان أيّ سبيل آخر يوصله إلى الكمال المنشود سوى سبيل الوحي الإلهيّ و أن الأنبياء و أوصيائهم (عليهم السّلام) هم في الحقيقة خلفاء الله تعالى في أمر هداية الإنسان و المجتمعات الإنسانية.

و على هذا الأساس فإن إرسال الرّسل و بعث الأنبياء و الأولياء (عليهم السّلام) على طول

التاريخ هو خطوة في المسار المذكور وكلّ نبيّ ورسول بذل ما يستطيع من الجهد والسعي لهداية مجتمعه ووضع على المسار الصحيح لبلوغ تلك الغاية. وبعبارة أخرى، إذا كان الإنسان كائناً يحتاج إلى اجتياز عدد من الدروس المختلفة على مرّ الزمن من أجل هدايته و أنّه لن ينجح في الامتحان إلا بعد الانتهاء من كلّ تلك المراحل الدراسية ومجموعة الدروس التي تشتمل عليها، فإنّ ذلك يعني أنّ هذه الدنيا - منذ بدئها وحتى آخر لحظة في حياتها - هي عبارة عن مدرسة موضوعة أساساً لتربية الإنسان وأنّ الأنبياء والرسل (عليهم السلام) هم بمنزلة المعلمين المعيّنين من قبل الله (عزّوجلّ) لتحمل مسؤولية هداية طلاب تلك المدرسة وتعليمهم وتربيتهم في مختلف المراحل الدراسية و صفوفها. وبناءً على ذلك فإنّ مدير هذه المدرسة ومسؤولها يعلم منذ البدء بتفاصيل هذه العملية الدراسية وأنها لا بدّ من أن تكون عملية تدريجية، فوضع لكلّ صفّ ومرحلة دراسية ما يتناسب والمستوى العلمي للطلاب واحتياجاتهم في تلك المرحلة الدراسية، ثمّ عيّن الاحتياجات الأعلى والأرقى للتكامل للصفوف الأعلى، لكي يتمكن الطلاب من الوصول إلى غاية التكامل بعد اجتيازهم مراحل كلّ دورة دراسية وبشكل تدريجيّ، وهذا هو ما نسمّيه بالنظرة التاريخية إزاء الظهور وتظافر جهود الأنبياء (عليهم السلام) ومساعدتهم في سبيل تحقيق مجتمع العدل العالمي.

٢. تحليل الهدف

مرّبنا أنّ السبيل الثاني لمعرفة دور الحركة التاريخية للأنبياء (عليهم السلام) في مسألة الظهور يكمن في تحليل الهدف الإلهي لله (عزّوجلّ)، فإذا كانت الإرادة الإلهية قد اقتضت أن تُختم مسيرة المجتمعات الإنسانية بتأسيس حكومة العدل العالمية حيث يصل جميع أفراد البشر إلى الازدهار والتقدّم وأن تشمل العدالة الحقيقية جميع مرافق الحياة الإنسانية، عندئذ يمكننا إدراك الدور الذي قام به الأنبياء (عليهم السلام) من أجل تحقيق هذه الغاية وذلك من خلال تحليل تلك الغاية والخوض في ملزوماتها. ويتطلّب توضيح هذه المسألة عدد من المقدمات:

١. بالاستناد إلى تعاليم القرآن الكريم والروايات المتواترة، فإنّ مسألة قيام حكومة الصالحين في نهاية التاريخ ستتحقق لا محالة، وحينئذ ستصبح العبادة في طول هذه

الأرض و عرضها خالصة و بعيدة عن كل ما يمت إلى الشرك بصلة.

٢. ووفق السنن الإلهية التي تهيمن على عالم الوجود و المجتمعات الإنسانية فإن الله (عَزَّوَجَلَّ) سيفعل غاياته و أهدافه على أساس قانون الأسباب و المسببات و ليس الإعجاز؛ فعن أبي عبد الله (ع) أنه قال: «أبى الله أن يُجْريَ الأشياءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ»^١. و بالاستناد إلى هذه السنن فإن وقوع الأفعال المعجزة لا يكون إلا في الحالات الخاصة و الاضطرارية؛ و عليه، فإنه لا بد لعملية تأسيس حكومة العدل العالمية من أن تحصل بالمسار الطبيعي المرسوم لها.

٣. لا شك في أن تأسيس حكومة العدل العالمية و تغيير أوضاع المجتمع العالمي من حالة الظلم إلى حالة العدل و من الضلال و الجهل إلى الهداية و السعادة و من العصيان إلى الإذعان و العبودية معناه إحداث التغيير في الإنسان نفسه و المجتمع الإنساني ككل، ووفق السنن الإلهية المذكورة فإن تغيير مصير المجتمعات الإنسانية يمر عبر التغيير داخل الإنسان نفسه، و ما لم يحدث الإنسان التغيير المطلوب في داخله و ذاته فإن الله (عَزَّوَجَلَّ) لن يتدخل في تغيير مصيره أو مصير المجتمع؛ قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»^٢.

٤. لا بد للتغيير الذي يحصل داخل أفراد البشر من أن يكون متناسباً مع ذلك الهدف المتعالي و بالقدر الكافي من حيث العمق و السعة.

وبناءً على ما قلناه حتى الآن يمكن تحليل دور الأنبياء (عليهم السلام) و بيانه فيما يتعلق بتأسيس حكومة العدل العالمية، و نستطيع الإشارة إلى هذه المسألة من زاويتين:

الزاوية الأولى: عظمة الهدف

من الواضح أنه إذا كان الهدف الموضوع للمجتمعات الإنسانية و سير الحركة التكاملية لتلك المجتمعات باتجاه ذلك الهدف بسيطاً يمكن بلوغه و تحقيقه بسهولة و كان بالإمكان توفير مقدماته و متطلباته خلال عُمر جيل واحد أو أقل، لما كانت هناك أي حاجة إلى

١. الكليني، ١٣٦٧: ج ١، ١٨٣.

٢. سورة الرعد، الآية ١١.

تطبيق النظرة التاريخية و وضع البرامج الشاملة و المفصلة على طول التاريخ و عرضه؛ لكن، إذا كان ذلك الهدف المنشود هدفاً متعالياً مشحوناً بالقمم العالية الشامخة، فإنه لا ريب في أن بلوغ تلك القمم بحاجة إلى الكثير من المقدمات و المتطلبات الضرورية، و هذه أمور لا يمكن تحصيلها بسهولة و لا الوصول إليها يُيسر، بل هي بحاجة إلى العديد من الشروط و الضوابط الحكيمة و المحكمة بما يتناسب و منزلة الهدف المنشود و عظمته، و لا يمكن لمثل هذا الأمر أن يحدث إلا وفق برنامج مُفصل و تدبير مُحكم طويل الأمد. و من خلال هذه النظرة تتضح لنا ضرورة الدور الفعّال الذي قام به الأنبياء (عليهم السلام) و كذلك الحديث عن الوجود التدبيري الإلهي الذي يقوم بتحضير أفراد البشر و تهيئتهم بشكل تدريجي على مرّ التاريخ من أجل الوصول إلى ذلك الهدف السامي.

وبعبارة أخرى، فإنه عندما يصبح هدف ما عظيماً و شامخاً من جهة و يكون طريق الوصول إلى مثل هذا الهدف السامي من جهة أخرى مرهوناً بالتغيّر الأساسي و الكبير في أفكار أفراد البشر و أهوائهم و عواطفهم و تصرفاتهم، ففي هذه الحالة لا بدّ من وضع برنامج عظيم طويل الأمد يتناسب و مقدار العمق و السعة الذي تتسم به تلك التغيرات حتى تتهيأ هذه التغيرات المطلوبة عبر مسار السنن الإلهية التي تحكم الوجود كلّ، و لا سيّما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الحدث الذي لا بدّ من وقوعه مكنون في داخل الإنسان نفسه، و هذا الإنسان كما نعلم كائن مُعقّد يتمتّع بحرية الاختيار و بذلك يمكنه أن يعصي. و يُعاند و يولي دُبره للحقّ، و التاريخ كلّ يشهد على أن تربية هذا الإنسان و ترويضه أمر صعب للغاية و يتطلب طاقة كبيرة و فترة كافية من الزمن.

ولإثبات العظمة الغائية التي أرادها الله (عزّوجلّ) للمجتمعات الإنسانية فإنّ لدينا العديد من الدلائل الخاصّة بذلك و منها ما يلي:

١. العبودية الخالصة في دولة المهدي (عج)

إنّ من أوضح الآيات القرآنية التي تشير إلى حكومة الإمام المهدي (عج) قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^١ فبالاستناد إلى الآية الشريفة أعلاه فإن المؤمنين الصالحين سيخلفون الماضين من البشر في هذه الأرض في نهاية التاريخ وسيتم تأسيس مجتمع صالح متوافق ومتناسب مع المعايير الدينية، ولن يُعبد في مثل ذلك المجتمع سوى الله تعالى وحده وستكون تلك العبادة خالصة خالية من كل أنواع الشرك والكفر سواء أكان شركاً جلياً ظاهراً أم خفياً مستوراً. وتتضح عظمة هذه العبادة التوحيدية من اعتبار الله (عَزَّوَجَلَّ) إيمان معظم المؤمنين مشوباً بالشرك الخفي كما في قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»^٢. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه من المقرر أن تكون تلك العبادة الخالصة على مستوى المجتمع ككل وليس على مستوى الفرد الواحد، ولا ريب في أن المجتمع مؤلف من عدد من المؤمنين الصالحين الموحدين. من الواضح أن تحقيق مثل هذا الهدف العظيم على مستوى المجتمع وتأسيس أمة يدور أفرادها جميعهم حول محور التوحيد من قدمهم إلى رأسهم ومن جذورهم إلى سوقهم، ويكون تفكير الجميع قائماً على أساس التوحيد وتكون إحساساتهم ومشاعرهم وعواطفهم وتصرفاتهم مبنية على قاعدة التوحيد، من الواضح أن ذلك سيحوّل هذه الدنيا وما فيها إلى جنة عظيمة وفردوس بهي لا يمكن لأيّ منّا تصوّره ولو للحظة واحدة.

٢. مقدار تمحيص المؤمنين على مرّ التاريخ

تحدث الكثير من الروايات عن مسألة تمحيص المؤمنين واختبارهم من أجل تحضيرهم وتهيئتهم لليوم الموعود، بدءاً بوقوع المؤمنين في البلايا والمشاكل والصعوبات الجسيمة و انتهاءً باجتيازهم للعديد من المعضلات والاختبارات حتى يميز الخبيث من الطيب والخالص من الأشابة.

فَعَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «كُونُوا كَالْتَّحْلِ فِي الطَّيْرِ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الطَّيْرِ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَضَعِفُهَا وَلَوْ عَلِمَتِ الطَّيْرُ مَا فِي أَجْوَاهَا مِنَ الْبَرَكَةِ لَمْ تَفْعَلْ بِهَا ذَلِكَ خَالِطُوا النَّاسَ بِالسِّنِّتِكُمْ وَأَبْدَانِكُمْ وَزَايِلُوهُمْ بِقُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا

١. سورة النور، الآية ٥٥.

٢. سورة يوسف (عليه السلام)، الآية ١٠٦.

تُرَوْنَ مَا تُحِبُّونَ حَتَّى يَثْقُلَ بَعْضُكُمْ فِي وَجْهِ بَعْضٍ وَحَتَّى يُسَمِّيَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَذَّابِينَ وَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ» أَوْ قَالَ «مِنْ شِيعَتِي إِلَّا كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ وَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ وَ سَأَضْرِبُ لَكُمْ مَثَلًا وَهُوَ مَثَلُ رَجُلٍ كَانَ لَهُ طَعَامٌ فَتَقَّاهُ وَ طَيَّبَهُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ بَيْتًا وَ تَرَكَهُ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَصَابَهُ السُّوسُ فَأَخْرَجَهُ وَ نَقَّاهُ وَ طَيَّبَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى الْبَيْتِ فَتَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَصَابَتْهُ طَائِفَةٌ مِنَ السُّوسِ فَأَخْرَجَهُ وَ نَقَّاهُ وَ طَيَّبَهُ وَ أَعَادَهُ وَ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى بَقِيَث مِنْهُ رِزْمَةٌ كَرِزْمَةِ الْأَنْدَرِ لَا يَضُرُّهُ السُّوسُ شَيْئًا وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ تُمَيِّزُونَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا عِصَابَةٌ لَا تَضُرُّهَا الْفِئَنَةُ شَيْئًا»^١.

وعن الإمام الرضا (ع) أنه قال: «وَاللَّهِ لَا يَكُونُ مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنَكُمْ حَتَّى تُمَخَّصُوا وَ تُمَيِّزُوا وَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَنْدَرُفَالُ الْأَنْدَرُ»^٢.

من الواضح أن التمحيص المذكور ليس مقصوراً على بعض الأفراد دون غيرهم بل يشمل جميع المؤمنين على مَرَّ التاريخ وهو ما خاطب به أمير المؤمنين (ع) مُعاصريه في الحديث الأول ثم خاطب الإمام الرضا (ع) جماعته بعد ذلك في الحديث الثاني، وكلاهما (عليهما السلام) تحدّثا بمسألة التمحيص وفي أزمان مختلفة.

وبناءً على ذلك فإنه سيتم تمحيص المؤمنين واختبارهم في كل مرحلة تاريخية بما يتناسب والظروف التي يعيشها أولئك المؤمنون وسيُرى ما إذا كانوا قادرين على اجتياز كل تلك البلايا وتجاوز تلك الاختبارات، يُضاف إلى ذلك فإن الروايات المذكورة تشمل كذلك جميع الشيعة على مَرَّ التاريخ دون استثناء.

إن هذا الكم الهائل من الاختبارات العنيفة والبلايا الشديدة التي يشهد لها التاريخ أيضاً، يشير بمجموعه إلى أنه من المتوقع مجيء حدث كبير وعظيم ذو أبعاد مختلفة وشمولية كبيرة؛ حدث جَلَّ بحاجة إلى مقدمات كبيرة لا تقع إلا في ظلّ البلايا والمعضلات العظيمة.

تطاول فترة الغيبة

يمكن استنباط النقطة المذكورة أعلاه كذلك من خلال تطاول عصر الغيبة، فقد مضى.

١. النعماني، ١٤٢٢: ٢١٧.

٢. النعماني، ٢١٦: ١٤٢٢.

على غيبة أماننا المهدي (عج) ما يقرب من أحد عشر قرناً، وخلال هذه الفترة الطويلة تهيأت المقدمات المذكورة الخاصة بالحدث العظيم وكذلك التمهيد لتأسيس حكومة العدل العالمية؛ لكن، ومما يؤسف له، أن العيون ما زالت مترقبة والانتظار قائم في محله. لا شك في أن إطالة تلك الغيبة كل هذه المدة إشارة إلى أن الحدث المنتظر كبير وعظيم إلى درجة لم تتهيأ الظروف والشروط لوقوعه بعد.

الزاوية الثانية: سبيل الوصول إلى الهدف

قلنا قبل هذا أن تحليل الهدف الذي وضعه الله (عز وجل) لمسار المجتمعات الإنسانية يمكننا من تحديد دور الأنبياء (عليهم السلام) وحركتهم التاريخية فيما يخص حكومة العدل العالمية، ونستطيع تحليل الهدف المذكور من خلال رؤيتين اثنتين: الرؤية الأولى تتعلق بعظمة الهدف المنشود، أما الرؤية الثانية فتتناول سبيل الوصول إلى ذلك الهدف والأسلوب الذي يجب اتباعه. ولتوضيح الرؤية الثانية نقول: بالإضافة إلى كون نجاح أي حركة أو فشلها مرهون بوصول تلك الحركة إلى هدفها أو عجزها عن ذلك، فإن هذا مرهون أيضاً بالأسلوب الذي تستخدمه تلك الحركة لتحقيق هدفها وكذلك السعة المطلوبة لذلك الهدف؛ وبناءً على هذا، فلو قدر لذلك الهدف أن يتحقق لكن باستخدام أساليب أخرى غير الأساليب المطلوبة لتحقيقه، فلا ريب في أن فشل الحركة سيكون مؤكداً؛ أو إنه إذا أمكن تحقيق ذلك الهدف ولكن ليس بالسعة والحجم المطلوبين له فإن الحركة لن تُفلح كذلك في بلوغ هدفها. فعندما نقول أن هدف الأنبياء (عليهم السلام) جميعاً يتمثل في تأسيس حكومة العدل العالمية فإن المقصود بذلك ليس وصولهم إلى مثل تلك الحكومة بأي أسلوب كان وإن بالعنف والقوة وفرض السيطرة، وليس مُرادهم من هذا دفع الناس إلى ذلك قسراً وتحميلهم ما لا يطيقونه، بل الهدف هو أن يسير الناس بإرادتهم والوقوف على أرجلهم، فالأنبياء (عليهم السلام) أرادوا أن يبلغ أفراد البشر مرحلة من النضج بحيث لا يقنعوا بحكم غير المعصوم وأن ينبروا للمطالبة بولاية المعصوم وبالتالي يكونوا مُستعدين للتضحية والفداء بأي شيء من أجل تحقيق ذلك. يُضاف إلى هذا، إن هدف الأنبياء (عليهم السلام) كان تأسيس حكومة العدل العالمية على مستوى العالم كله لا على مستوى

الحكم المحلي أو الإقليمي؛ وهكذا، فإنه لا يمكن الحديث عن تحقيق الهدف الذي كان ينشده الأنبياء (عليهم السلام) إلا إذا تم تأسيس حكومة عادلة تشمل كل أرجاء المعمورة على يد رجل من نسل الأنبياء (عليهم السلام)، حكومة لا يتم فرضها على الناس قسراً، بل يعتمد الناس جميعاً إلى الخضوع لها والاعتراف بها رغبة و طوعاً.

ومن خلال النظرة عينها يمكن بيان دور الحركة التاريخية للأنبياء (عليهم السلام) في إنشاء الحكومة العالمية والقول بأنه لما كان مُراد الأنبياء (عليهم السلام) هو الوصول إلى الهدف المذكور وبالأسلوب المُحدّد له، وإن أفراد البشر الذين يُراد منهم تمهيد الأرضية اللازمة لتحقيق ذلك الهدف هم أحرار يمتلكون الإرادة و حرية الاختيار، وأن التاريخ قد بين لنا أن أفراد البشر هؤلاء و في أغلب المراحل التاريخية كانوا عُصاة و متمردين و ضالّين قبل أن يهتدوا إلى الحق و يُذعنوا له، فإنه من الواضح أن بلوغ مثل ذلك الهدف لا يكون من خلال السير بحسب أهواء الناس و رغباتهم و ميولهم بشكل طبيعي و على مدى حياة جيل واحد، و عليه، لا مناص من وضع برنامج طويل الأمد لهذا الأمر يأخذ كفايته من الوقت حتى تنهت الأرضية المطلوبة و بشكل تدريجي و سلس لكي يتمكن أفراد البشر من تحديد الخيار الصحيح و بروز الرغبة الحقيقية في داخلهم لتأسيس الحكومة الإلهية.

إنّ البرنامج طويل الأمد الذي وضعه الله (عَزَّوَجَلَّ) لتربية أفراد البشر وإيصالهم إلى حالة من النضج و العقلية لتقبّل حكومة المعصوم (ع) و الخضوع له و نُصرتة و إعانتة على تأسيس حكومة العدل العالمية، أقول إنّ البرنامج المذكور يتمثل في بعثة الأنبياء (عليهم السلام) نفسها.

رأي السيّد محمّد الصّدر

إنّ كلّ ما ذكرناه حتى الآن كان تحليلاً لدور الحركة التاريخية للأنبياء (عليهم السلام) فيما يخصّ إنشاء حكومة العدل العالمية من الوجهة الغائية التي أرادها الله سبحانه لمسار حركة المجتمعات الإنسانية؛ لكن السيّد محمّد الصّدر ينظر إلى ما قلناه من زاوية أخرى مُغايرة، فهو يرى أنّ مسألة تأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ مرتبطة بمسألة فلسفة الخلقة؛ و بعبارات أوضح، إنّ الغاية التي شاءها الله (عَزَّوَجَلَّ) من خلق الإنسان إنّما تتحقّق

بتأسيس حكومة العدل العالمية في آخر الزمان. وفيما يأتي موجز لرأي السيد الصدر في هذا الشأن:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ مَتَفَضُّلاً وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرَكْهُمْ هَمَلاً، بَلْ خَلَقَهُمْ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، لِأَجْلِ حَصُولِهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمُ الْكُبْرَى وَوَصُولِهِمْ إِلَى كَمَالِهِمُ الْمُنْشُودِ الْمُمَثَّلِ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^١. إذن فالغرض من الخليفة هو الحصول على هذا الكمال العظيم المتمثل بتوجيه العقيدة والمفهوم إلى الله (عَزَّوَجَلَّ) وقصر السلوك عن طاعته وعدله في كل حركة وسكون. وإذا نظرنا إلى حقيقة هذا الكمال من جوانبه المتعددة، واستطعنا تحصيل الفكرة المتكاملة عنه، عرفنا الهدف الإلهي المقصود الذي أصبح هدفاً لإيجاد الخليفة. الجانب الأول: إيجاد الفرد الكامل، من حيث أن قصر الإنسان نفسه على التربية بيد الحكمة الإلهية الكبرى وتحت إشرافها وتدبيرها، يوجد فيه الإنسان العادل الكامل الذي يعيش محض الحرية عن انحرافات العاطفة والمصالح الضيقة والمساق في انطلاقه مع انطلاق الكون الكبرى إلى الله (عَزَّوَجَلَّ). الجانب الثاني: إيجاد المجتمع الكامل والبشرية الكاملة المتمثلة بمجموعة الأفراد الذين يعيشون على مستوى العدل والإخلاص والتجرد من كل شيء سوى عبادة الله تعالى، تلك العبادة التي تتضمن تربية الفرد والمجتمع والارتباط بكل شيء على مستوى العدل الإلهي. الجانب الثالث: إيجاد الدولة العادلة التي تحكم المجتمع بالحق والعدل، بشريعة الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وتكون هي المسؤولة الأساسية عن السير قدماً بالمجتمع والبشرية نحو زيادة في التكامل في الطريق الطويل غير المتناهي الخطوات. فهذا هو معنى العبادة المقصود في الآية، وكل ما كان على خلاف ذلك فهو تقصير في العبادة الحقيقية تجاه الله (عَزَّوَجَلَّ) ولا يمكن أن نفهم من الآية هذا المعنى القاصر بطبيعة الحال. النقطة الثانية: إن الآية واضحة الظهور في أن الغاية الأساسية والغرض الأصلي من إيجاد البشرية هو إيجاد هذه العبادة الكاملة في ربوع البشرية، أو إيصالها إلى هذا المستوى الرفيع... إذن فهذا هو الهدف الوحيد المنحصر الذي لا شيء وراءه من

١. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

خلقة البشرية المُعَبَّر عنه بالإنس وهذا الهدف ملحوظ و مُحَظَّط بشكل خاص منذ بدء الخليقة... وهذا بالضبط هو ما نعينه حين نقول: إِنَّ الله تعالى لم يخلق البشرية لأجل مصلحته فَإِنَّه غني عن العالمين، وإِنَّمَا خلقهم لأجل مصلحتهم، وأي مصلحة يريدُها الله لعباده غير كمالهم ورشدهم وصلاحهم المتمثل بالعبادة المخلصة والتوجه إليه بالخيرات نحوه عزو علا؟ فإذا تم لنا من الآية ذلك، ولاحظنا وجداننا الذي ذكرناه وهو أن هذا الوضع الاجتماعي العالمي الموعود لم يتحقق على مدى التاريخ منذ فجر البشرية إلى عصرنا الحاضر، إذن، فهو تما سيتحقق في مستقبل الدهر يقيناً طبقاً للوعد الإلهي القطعي غير القابل للتخلف أو التميع... إِنَّ تكامل الفرد و بالتالي تكامل المجتمع البشري يتوقف - بعد أن وهبه الله عزو علا العقل والاختيار - على عاملين: عامل خارجي وعامل داخلي، أو قل: عامل موضوعي وعامل ذاتي. أما العامل الخارجي الموضوعي فهو إفهام الفرد - و بالتالي المجتمع - معنى العدل والكمال الذي ينبغي أن يستهدفه والمنهج الذي يجب عليه أن يتبعه في حياته ويقصر عليه سلوكه. وهذا الإفهام لا يمكن صدوره إلا عن الله (عَزَّوَجَلَّ) بعد البرهنة على عدم إمكان توصل البشرية إلى كمالها ومعرفتها بالعدل الحقيقي إذا عُزِلت فكراً عن الحكمة الأزلية الإلهية، كما صَحَّ البرهان عليه في بحوث العقائد الإسلامية، ومن ثَمَّ لا يمكن أن يتحقق الغرض الإلهي المهم في هداية البشرية وإيجاد العبادة الكاملة في ربوعها إذا أُوكِلت البشرية إلى نفسها وفكرها القاصر... فلم يكن في الإمكان إيجاد المجتمع العادل الكامل الموعود في ربوعها لأَوَّل وهلة بل كان لا بد أن تترقى البشرية تدريجياً إلى أن تصل إلى المستوى اللائق الذي يؤهلها لمجرد فهم العدل الكامل الذي يريد الله تعالى تطبيقه في اليوم الموعود. ومن هنا نعرف أن الأنبياء إِنَّمَا تعددوا وتكثروا من أجل إعداد البشرية وتربيتها والوصول إلى هذا المستوى اللائق. وأما العامل الداخلي الذاتي، فهو الشعور بالمسؤولية تجاه الأطروحة العادلة الكاملة، باعتبار أنها إِنَّمَا تضمن العدل فيما إذا أطاعها الأفراد و طُبِّقت في حياتهم... وإِنَّمَا يوجد الشعور بالمسؤولية وينمو نتيجة لأسباب ثلاثة مقترنة: السبب الأول، إدراك العقل لأهمية طاعة الله والخضوع له والانصياع إلى أوامره ونواهيه باعتباره مستحقاً للعبادة مع غَضِّ النظر عن أي اعتبار آخر. السبب الثاني:

الشعور بأهمية طاعة الله تعالى باعتبارها الضامن الحقيقي للعدل المطلق، على المستويين الفردي والاجتماعي... السبب الثالث: العامل الأخروي المتمثل بالطمع بالثواب الذي رصده الله تبارك وتعالى للمطيعين والخوف من العقاب الذي توعد به العاصين والمذنبين. وهناك فرق أساسي في طرق إيجاد هذه الأسباب، فالسببان الأول والأخير يوجدان بالتربية النظرية فقط... وأما السبب الثاني فالبرهنة النظرية عليه غير كافية بطبيعة الحال... بل يحتاج ذلك إلى تمرين طويل الأمد وتجربة وممارسة. ومن هنا تنبثق أهمية هذه التجربة والممارسة في تربية الإخلاص بشكل خاص، والتكامل بشكل عام بصفته إحدى المقدمات الأساسية والأسباب الرئيسية لإيجاد المجتمع العادل... إذن تكتسب تربية الأمة والتجربة التي يجب أن تمر بها الأمة نفس الأهمية الكبرى باعتبارها مقدمة حقيقية للغرض الإلهي الكبير من إيجاد الخليقة... تتوقف التجربة والممارسة التي يجب أن تمر بها الأمة في تربيتها الطويلة على أحد عاملين: العامل الأول، التطبيق الفعلي الحي للمجتمع العادل المطلق حتى يراه الناس ويحبوه ويقدموا مصالحه العامة على مصالحهم الخاصة، فإن شعور الناس بوجود العدل المطلق مطبقاً على وجه الأرض يكفي بمجرده في توجيه عواطف الناس وصهر إخلاصهم إلى حد بعيد. العامل الثاني: مرور الأمة خلال تربيتها بعوامل صعبة وظروف ظالمة عسرة، تجعلها تتوقر شيئاً فشيئاً على التعمق الفكري والعاطفي، وتصوغ منها في نهاية المطاف أمة شاعرة بالمسؤولية قوية الإرادة والعزم على تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة... وبالرغم من صحة العاملين كليهما وأثرهما الأكيد في تربية الأمة، إلا أننا إذا فرضنا كلاً منهما معزولاً عن الآخر، نجد أن العامل الثاني أهم من الأول من جهتين أساسيتين: أولاً، إن محبة الأطروحة العادلة والإخلاص لها عند تطبيقها أمر موافق للهوى والمصالح الشخصية لأنها تضمن للإنسان سعادته ورفاهه الفردي والاجتماعي... ثانياً، نعرف مما تقدم أن العامل الثاني يجب أن يكون متقدماً زماناً على العامل الأول باعتبار توقف التطبيق الحقيقي له فإن العدل لا يكون عميقاً وأساسياً في المجتمع ما لم يكن كل الأفراد أو جلهم - على أقل تقدير - ممن شحذت إخلاصه التجارب ورفعت إيمانه وإرادته التضحيات فإنهم يكونون أقدر على العمل وأسرع إنتاجاً وأكثر تحملاً للصعوبات مما يجعل العدل أعمق أثراً وأضمن للبقاء و

الاستمرار. إذن فالغرض الإلهي في إيجاد البشرية يتوقف وجوده على الإخلاص المنصقل بالتجارب والتضحيات، ومن المعلوم أن هذا الصقل لا يمكن حصوله إلا بالمرور في تيار التجارب والتضحيات نفسه، وهذا التيار ليس إلا الظروف الصعبة والأزمة المظلمة الظالمة التي تمرّ بها البشرية خلال الأجيال... إنه من هذا المنطلق بالذات نعرف أهمية التمهيد والاختبار الذي دلّت عليه الأخبار... باعتبار أن ما تعيشه البشرية من ظروف ظالمة من ناحية وأمر مغرية من ناحية أخرى... ومن هنا تكون هذه الظروف ومحاولة هذا التطبيق محكاً أساسياً لمدى الإخلاص وقوة الإرادة لدى الأفراد، فينهار العدد الأغلب من البشر في أحضان الظلم والإغراء... ويبقى العدد الأقل صامدين مكافحين، تشتد إرادتهم وتقوى عزيمتهم ويشعرون باللذة والفخر في مكافحة تيارات الانحراف والفساد ولا يزالون في تكامل و صمود حتى يبلغوا مستوى المسؤولية الكبرى في مواجهة العالم بالعدل المطلق في اليوم الموعود».

وكما مرّ بنا فإن البرنامج الذي وضعه الله (عَزَّوَجَلَّ) لإنجاز اليوم الموعود كان قد بدأ منذ أوّل الخليقة لأنّ تحقق اليوم الموعود هو هدف تلك الخليقة، ومن هنا فإن البرنامج المذكور كان موجوداً قبل ظهور الدين الإسلامي واستمرّ بعده كذلك وسيستمرّ أيضاً حتى اليوم الموعود. يمكن تفصيل هذا الأمر عبر النقاط التالية:

النقطة الأولى: مشاركة الأنبياء في البرنامج المذكور

لم تكن البشرية في أوّل ظهورها تتوفر على الشرطين المذكورين لإجراء العدالة الكاملة و تطبيقها، فلم يكن أفراد البشر يعرفون معنى العدالة الكاملة ولا كانوا مُدركين ضرورة الاتصاف بالإخلاص والتحضير للإيثار والفداء في سبيل تطبيقها وإجرائها؛ ولذلك، أرسل الأنبياء (عليهم السلام) ليتولّوا تربية أفراد البشر حتى يتمكنوا من فهم معنى العدالة الكاملة وإدراكها، فتهيأت لهم بعد ذلك الظروف المناسبة والمطلوبة في نهاية الأمر وأصبحوا مستعدين لإدراك مشروع العدالة الكاملة الذي تجسّمت معالمه في الدين الإسلامي ولذلك أرسل الله (عَزَّوَجَلَّ) الدين الإسلامي كأخردين للبشرية. لكن، وكما هو واضح، فإن الشرط الثاني المطلوب لتحقيق العدالة الكاملة - وهو الاستعداد للتضحية والفداء في هذا

السبيل - لم يتحقق بعد، وعلى هذا الأساس فإن جميع الأنبياء (عليهم السلام) ومنهم رسولنا الكريم (ص) كانوا يطرحون برنامجهم الفكري التربوي بشكل يمكن بواسطته تحضير البشرية وتهيئتهم لتقبل الشرط الثاني، أي إتهم كانوا يبذلون كل جهدهم لزرع بذور الإخلاص والفداء والتضحية في نفوس الناس في سبيل الله سبحانه، فأينعت ثمار التربية الأولى فيما لم تؤثر التربية الثانية سوى في القليل من الناس فقط ولهذا السبب فإن هذا التآثر وهذه العملية مستمرة وباقية حتى يتم تلقين أفراد البشر تفاصيل الشرط الثاني المطلوب للعدالة الكاملة.

النقطة الثانية: دعوة الأنبياء في سبيل تحقيق حكومة العدل

لم يسكت الأنبياء (عليهم السلام) عن مسألة الهدف من وراء خلق الإنسان وهو تحقيق العدالة الكاملة بل يمكن ملاحظة صدى ذلك في كل الأديان السماوية التي أشارت جميعها إلى موضوع المهدي الموعود، لكن من الواضح أنه لم تكن هناك حاجة لبيان تفاصيل هذه المسألة في ذلك العصر.

النقطة الثالثة: عدم توفر الشروط للأنبياء لتأسيس حكومة العدل العالمية

لم تكن الظروف مناسبة لأي نبي من الأنبياء (عليهم السلام) لكي يتمكن من تأسيس حكومة العدل الإلهي بشكل عملي أو طرح البرنامج الخاص بها في زمانه وذلك لعدم توفر الشروط اللازمة لذلك في تلك الفترة؛ فلا أفراد أمته كانوا يدركون معنى برنامج العدالة الكاملة (وهو الشرط الأول المشار إليه آنفاً) ولا كانت تلك الأمة مستعدة بالشكل والقدر المطلوبين لتطبيق برنامج العدالة الكاملة (وهو الشرط الثاني).

فالشرط الأول لم يكن متوفراً وذلك لأن الأنبياء (عليهم السلام) قبل سيدنا موسى (ع) كانوا يركزون على إفهام الناس العقيدة الدينية وهي الإيمان بالله (عز وجل) ويسعون إلى ترسيخ تلك العقيدة في نفوسهم، حتى بُعث خليل الله إبراهيم (ع) فقام ببيان عقيدة التوحيد لأمته بشكل برهان واضح. وهكذا نرى أنه لم يكن حتى ذلك الوقت أي تشريع مهم فما بالك بإبلاغ الناس آنذاك بمشروع وبرنامج العدالة الكاملة؟ لكن الأنبياء (عليهم السلام)

الذي جاءوا بعد سيدنا موسى (ع) حتى بعثه الرسول الأعظم خاتم النبيين (ص) وعلى الرغم من بيانهم الشرائع بالتفصيل المطلوب إلا أن تلك الأديان كانت في الغالب شرائع تحاول إفهام الأمم وتعريفها بمشروع العدالة الكاملة، ومن أوثق الدلائل وأبلغ الشواهد على هذا الكلام هو نسخ تلك الأديان والشرائع من قبل الدين الإسلامي. من الواضح أنه لو كانت تلك الشرائع تمثل مشروع العدالة الكاملة المشار إليه ما كان ليكون هناك أي سبب أو حاجة لنسخها.

وأما الشرط الثاني فلم يكن موجوداً هو الآخر وذلك لأن القرآن الكريم يُخبرنا بشأن أبينا آدم (ع) قائلاً: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ - وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^١ فلا شك أنه من دون العزم المذكور يكاد يكون تحقق اليوم الموعود أمراً مستحيلاً. وكذلك ما أشار إليه القرآن الكريم فيما يتعلق بزمان النبي نوح (ع) فهذا النبي الكريم لبس في قومه سنوات طوال يدعوهم إلى الحق إلا أنه لم يكن لدعوته كما يبدو أي تأثير يُذكر في أفراد مجتمعه فشكى ما يُعانيه منهم إلى الله سبحانه ثم دعا عليهم. أو ما حصل في حياة سيدنا إبراهيم (ع) حيث كان التأثير الذي ولّده دعوته في الناس أكبر وأعظم، ومع ذلك كله لم يتمكن من إيصالهم إلى المستوى المطلوب لكي يفهموا معنى العدالة المطلقة، الأمر الذي دفعهم إلى إلقائه (ع) في النار من غير أن يعترض أي فرد من أفراد مجتمعه على ذلك. أو ما حدث في زمان سيدنا موسى بن عمران (ع) وتمرد قومه وعصيانهم حتى انتهى بهم المطاف إلى مخاطبته قائلين: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^٢ أو عندما قاموا بعبادة العجل في حياته (ع) ومطالبتهم إياه بأن يروا الله (عزّ وجلّ) جَهْرَةً! وكذلك ما حدث لعيسى - بن مريم (عليهما السلام) حيث كان حواريتوه يشكون حتى ذلك الوقت بقدرة الله تعالى إذ سألوهم قائلين: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾^٣ فإذا كان هذا هو حال خواص النبي و حواريتيه فما بالك بالحال التي كان عليها سائر الناس العاديين في ذلك الوقت؟

١. سورة طه (صلى الله عليه وآله وسلم)، الآية ١١٥.

٢. سورة المائدة، الآية ٢٤.

٣. سورة المائدة، الآية ١١٢.

وهكذا نرى أن الناس على مدى التاريخ لم يكونوا قد وصلوا إلى المستوى المطلوب من الإخلاص لكي يكون بالإمكان محادثتهم بشأن العدالة المطلقة المنشودة في اليوم الموعود. يتضح لنا مما مرّحتى الآن أن أياً من الشروط الخاصّة بإيجاد العدالة المطلقة لم يكن متوقّراً قبل ظهور الدين الإسلامي، لكن، وبعد مجيء الإسلام - على يد خاتم النبيين (ص) الذي أصبح خلاله حلالاً إلى يوم القيامة و حرامه حراماً إلى يوم القيامة - توفّر الشرط الثاني وأصبح هذا الدين بمنزلة الخزانة التي تحتفظ بمشروع العدالة الكاملة الذي يُراد تطبيقه في اليوم الموعود؛ إلّا أنّه وبسبب عدم تحقّق الشرط المذكور بشكل كامل حتى ذلك الوقت أيضاً، فإنّه لم يحن مجيء اليوم الموعود بعد. وفي عصر غيبة الإمام المهديّ (عج) و تكالب العقائد و التيارات التي تسعى إلى حرف الناس عن مسار معتقداتها الإسلامية مثل التيار الاستعماريّ المتتملّ بعملية التبشير المسيحيّ و الدعوة إلى الحضارة المادية الغربية و سائر المدارس و التيارات الغربية الأخرى، تظهر أمامنا الاختبارات و البلايا الإلهية بأشكال مختلفة و متعدّدة لكي تتمّ غربلة الناس بغربال المشاكل و مشخّل العضلات و تمحيصهم فينكشف ما في باطن كلّ فرد و تتمّ تربية الأشخاص المؤمنين المخلصين المهّيّين لإقامة العدالة المطلقة على طول الأرض و عرضها.^١

وبالاستناد إلى ما ذكره يتّضح لنا أن السيد محمّد الصدر يرى أن مسألة حكومة العدل العالمية كانت مطروحة في أولى مراحل ظهور الإنسان و أن جميع الأنبياء (عليهم السّلام) ساروا في نفس الطريق الذي أرادته المشيئة الإلهية و ذلك لتهيئة المقدمات الخاصّة بتحقيق الهدف المذكور، و أن ما سيتمّ حدوثه في النهاية هو حاصل الجهود المتراكمة التي بذلها الأنبياء و الأولياء (عليهم السّلام) على مرّ التاريخ، و هو الأمر الذي حاولنا إثبات صحّته حتى الآن.

الأدلة النقلية

تعتبر الأدلة النقلية النوع الثالث من الشواهد التي يمكن بواسطتها إثبات دور الأنبياء (عليهم السّلام) في حكومة العدل، و لدينا الكثير من الآيات القرآنية و الروايات التي نستطيع بها إثبات الأمر المذكور.

١. السيد محمّد الصدر، ١٤٢٥: ٢٠١-٢٣٢ بتصرّف.

١. العلاقة بين الهدف من بعثة الأنبياء و مسألة الظهور

ثمة مجموعة من الأدلة النقلية المتمثلة في الآيات القرآنية التي تشير إلى الانسجام و التوافق بين أهداف بعثة الأنبياء (عليهم السلام) من جهة و أهداف حكومة العدل العالمية من جهة أخرى؛ فإذا كان بإمكان هذه الأدلة النقلية أن تقودنا إلى الحقيقة المتمثلة في كون الهدف الذي ينشده الإمام المهدي (عج) هو نفس الهدف الذي كان الأنبياء (عليهم السلام) من قبله يأملون في تحقيقه و أنّ عصر الظهور هو عصر تحقق أهداف الأنبياء (عليهم السلام)، فإنّه يمكن القول بأنّ حركة الإمام المهدي (عج) و حركة الأنبياء (عليهم السلام) تسير في مسار واحد، بل إنّ حركة الإمام المهدي (عج) تُعتبر استمراراً لحركة الأنبياء (عليهم السلام) فعندما يكون المدبر لعملية الهداية بأكملها هو الله (عَزَّوَجَلَّ) و هو الذي بعث كلّ الأنبياء و الأوصياء (عليهم السلام) ليكونوا قادة القافلة البشرية و أئمتّها و هو الذي وضع غاية واحدة لهذه المسيرة منذ شروعيها حتى انتهائها و هو الذي أناط بالإمام المهدي الموعود (عج) قيادة تلك المسيرة في آخر الزمان و ضَمِنَ تحقيق الغاية المذكورة في نهاية التاريخ على يده (عج)؛ فإنّ ذلك كلّه يشير إلى أنّ جبهة الحقّ لم تكن سوى جبهة واحدة على مرّ التاريخ و أنّ تلك الجبهة لم يكن نُصب عينها سوى هدف واحد و غاية واحدة و أنّ كلّ واحد من قادة تلك الجبهة و أئمتّها قد قام بمسؤوليته و واجبه في قيادة تلك الجبهة و هدايتها باتجاه تلك الغاية و الهدف على طول التاريخ و خلال فترة مُعيّنة من الزمن، و في نهاية الأمر ستثمر كلّ تلك الجهود التي بُذلت على مدى الزمن كلّها، و ليس ما سيحدث في عصر الظهور إلّا نتيجة تلك الجهود و المساعي المتراكمة التي كانت موجودة بالفعل في قلب جبهة الحقّ منذ البدء.

ربّما طرح أحدهم هذا السؤال فيما يتعلّق بكلّ ما قيل حتى الآن، و هو: "لا شكّ في أنّ لكلّ نبيّ مسؤولية مُحدّدة تتعلّق بتربية الأفراد الذين أوكّلوا إليه و هدايتهم و ذلك بحسب إمكانيّاته و طاقاته التي يمتلكها و كذلك وفق الشروط و الظروف التي كان عصره يقتضيها. و من الواضح أنّه لم تكن الظروف مهتّاة للأنبياء (عليهم السلام) لهداية جميع أفراد عصرهم، على سبيل المثال، فإنّ أبسط لوازم هذه المسؤولية الكبيرة هي إقامة العلاقات و الروابط، و نحن نعلم أنّه لم تكن هناك أيّ إمكانية في الأساس لأيّ نبيّ في إقامة العلاقات و الروابط مع جميع أفراد زمانه بالشكل الكامل في الأقلّ، و لهذا السبب لم توكل إلى جميع الأنبياء

(عليهم السلام) في الأساس أي مسؤولية عالمية بل كانت مسؤولية كل نبي بشكل أساس مقصورة على هداية و تربية الأفراد الذين كانوا حوله وفي عهده، وفي أقصى الاحتمالات يمكن القول أن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا موكلين بهداية جميع أفراد البشر الذين كانوا في زمانهم وتأسيس مجتمع قائم على التعاليم الإلهية. لكن مع هذا كله، ثمة تفاوت واضح بين الغاية المذكورة وتأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ، وبالتالي، لا يمكن القول بأن هدف جميع الأنبياء (عليهم السلام) كان تأسيس حكومة العدل العالمية في نهاية التاريخ وأن جهودهم ومساعدتهم جميعاً كانت تصب في تحقيق تلك الغاية.

الإجابة عن السؤال أعلاه هي ما يلي: أولاً، القول بأن جميع الأنبياء (عليهم السلام) لم يكونوا يحملون مسؤولية عالمية لا يعني أنهم لم يكونوا يسعون إلى الهدف المذكور، فعلى الرغم من كون الإنسان عاجز عن أن يخطو خطوة واحدة في المجال العملي إلا بمقدار طاقته وبحسب الظروف المهيأة له، لكن وفيما يتعلق بمسألة تعيين الأهداف وتحديد التصورات فإنه لا ضرورة تحتم عليه التقليل من أهدافه تلك أو التنازل عن أهداف سامية وغايات عالية أخرى، إن على كل إنسان أن يمتلك أهدافاً سامية وغايات عُلِّيا ثم العمل وفق إمكانياته وطاقاته. وتوضيح ذلك هو أنه قد تكون لدى الفرد أهدافاً متعالية ويكون بلوغ تلك الأهداف بحاجة إلى الظروف والإمكانيات اللازمة التي قد لا تكون متاحة له، ففي هذه الحالة يمكن التغاضي عن ذلك الهدف السامي والاكتفاء بالوصول إلى سفحه بدلاً من قتته الشائخة، أو يمكنه عدم التخلي عن هدفه فيضع البرامج الطويلة الأمد لبلوغ ذلك الهدف السامي وتقديم الخطوات في الوقت الحاضر باتجاه الهدف المنشود بحيث تكون خطواته الحالية وعمله الحاضر جزءاً مُكملاً في اللوحة المرسومة لذلك الهدف في المستقبل.

من الواضح أن الفرض الثاني أكثر حكمة وأقرب إلى المنطق، وعليه، فإنه لو قُدِّرَ للأنبياء (عليهم السلام) أن يخطوا بقدر إمكانياتهم وبحسب الظروف المتاحة لهم فإنه لا يمكن الاستنباط من ذلك أنه لم تكن لديهم أهدافاً سامية أو إنهم لم يخطوا باتجاه تلك الأهداف. إن مشيئة الله (عَزَّوَجَلَّ) في عدم إناطة مسؤولية عالمية لجميع الأنبياء (عليهم السلام) وقيامه سبحانه بتحديد مسؤولية كل منهم ضمن البيئة التي كانوا يعيشون فيها، هذا التدبير الإلهي منسجم ومتوافق تماماً مع القاعدة الكلية القائلة بضرورة أن تكون

المسؤولية على مستوى الإمكانيات، وليس معنى ذلك أن الله تعالى قد تغاضى عن بعض جزئيات الهدف الأسمى أو التنازل عن بعضها الآخر.

وبناءً على ذلك فإن مسؤولية الأنبياء (عليهم السلام) كانت تتمثل في هداية جميع البشر إلى عبودية الله، بما فيهم الأفراد الذين كانوا معاصرين لهم و موجودين معهم وكذلك الأفراد الذين لم يكونوا ضمن بيئتهم؛ فلم يكن هدف الأنبياء (عليهم السلام) مجرد تربية أفراد البشر بل كانوا يسعون إلى إيجاد مجتمع عالمي صالح يكون وصل إلى التكامل في جميع أبعاده.

لكن وبالنظر إلى الظروف التي كانت متاحة فإن تحقق مثل ذلك الهدف لم يكن يسيراً، ومع ذلك فإنه يمكن وضع برنامج طويل الأمد، ويمكن تنشئة أفراد مؤمنين وتربيتهم بالشكل المطلوب فيقوم هؤلاء بنقل مذكراتهم وما تعلموه إلى الجيل التالي والسير في طريق التكامل وتهيئة جميع المستلزمات وعوامل القوة التي تتطلبها جبهة الحق شيئاً فشيئاً، وهكذا يمكن دفع عجلة جبهة الحق إلى الأمام حتى يتم في النهاية تأسيس مجتمع العدل العالمي على النحو المطلوب.

وعليه، إذا كان هذا الهدف صعب المنال في عصر الأنبياء (عليهم السلام) وأن تحقيقه لا يكون إلا على المدى البعيد فإن ذلك يكفينا للقول بأن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا قد وضعوا البرنامج الخاص بتحقيق ذلك الهدف على المدى البعيد وأن مساعيهم وجهودهم كانت تصب في هذا المسار كذلك، وأن الخطوات التي خطوها كانت لا محالة باتجاه تحقيق هذا الهدف التاريخي، وهذا بالضبط ما نسميه بدور الحركة التاريخية للأنبياء (عليهم السلام) في الحكومة العالمية ما يعني وجود هدف واحد بالنسبة لجميع الأنبياء (عليهم السلام) وأن جهودهم جميعاً كانت تصب في سبيل تحقيق الهدف المذكور في نهاية التاريخ.

وأما القول بأن هدف الإمام المهدي (عج) هو نفس الهدف الذي كان لدى الأنبياء (عليهم السلام) وأنه (ع) سيكون المؤسس والمحقق لرغبة الأنبياء (عليهم السلام) على مر التاريخ، فيمكن توضيح هذا الكلام بالشكل التالي:

هنالك الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الهدف من بعثة الأنبياء (عليهم السلام) إلا أن أهم النقاط الواردة في القرآن الكريم التي تشير إلى الهدف من تلك

البعثة هي ما يلي:

أ، عبادة الله الواحد و تجنب الطاغوت

من بين الأهداف الأساسية لبعثة الأنبياء (عليهم السلام) دعوة الناس جميعاً إلى عبادة الله الواحد و اجتناب الطاغوت و كل المظاهر الخاصة به؛ قال تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ...»^١ وقد أشار القرآن الكريم مراراً و تكراراً إلى هذا الهدف و من جملتها الآيتين الشريفتين التاليتين:

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»^٢

«وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»^٣

ونفس العبارات القرآنية وردت كذلك فيما يتعلق بأنبياء آخرين مثل صالح و شعيب (عليهما السلام)، و جاء في عدد آخر من الآيات القرآنية التي تحدث عن سائر أنبياء الله تعالى أن الهدف الرئيس من بعثتهم هو عبادة الله تعالى الواحد، و منها الآيات التالية: الآية (٢١) من سورة البقرة، الآية (٣٦) من سورة النساء، الآيتان (٧١) و (٧٢) من سورة المائدة، الآيات (٥٠) و (٦١) و (٨٤) من سورة هود (ع)، و الآية (٣٦) من سورة النحل، و الآية (٧٧) من سورة الحج، و الآيتان (٢٣) و (٣٢) من سورة المؤمنون، و الآية (٤٥) من سورة النمل، و الآيتان (١٦) و (٣٦) من سورة العنكبوت.

وإمعان النظر في الآيات القرآنية يتضح لنا أن الهدف المذكور سيتحقق بشكل كامل في عصر الظهور حيث سيتم سحب البساط تماماً من تحت أقدام المشركين على وجه البسيطة. يقول الله سبحانه في الآية (٥٥) سورة (النور) بشأن هذه الواقعة: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»؛ يُستفاد من استخدام كلمة «شَيْئًا» بصيغة

١. سورة النحل، الآية ٣٦.

٢. سورة الأعراف، الآية ٥٩.

٣. سورة الأعراف، الآية ٦٥.

النكرة و صيغة التني في قوله سبحانه «لَا يُشْرِكُونَ» أَنَّ المؤمنين الصالحين في ذلك المجتمع الموعود سيعبدون الله (عَزَّوَجَلَّ) بإخلاص ولن يُشركوا به شيئاً إطلاقاً، لا شركاً جلياً ولا شركاً خفياً، وأنه لن يُعبد في ذلك المجتمع سوى الله تعالى. وعندما نقوم بمقارنة الآية الشريفة أعلاه وقول الله سبحانه: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»^١ نفهم أن الإيمان المقصود في الآية الشريفة المذكورة هو نهاية الإخلاص والشفافية.

هذا وقد أيدت الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) هذا المعنى كذلك، فعلى سبيل المثال، ورد عن الإمام الصادق (ع) قوله في تفسير الآية الشريفة أعلاه: «لم يجيء تأويل هذه الآية، ولو قام قائمنا بعد، سيرى مَنْ يُدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، و ليلغن دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل، حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض، كما قال الله تعالى: «يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً»^٢.

وقال تعالى في الآية (٣٩) من سورة (الأنفال): «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»، فعن الإمام الباقر (ع) أنه قال في تفسير الآية الشريفة أعلاه: «لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ بَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَحَّصَ لَهُمْ لِحَاجَتِهِ وَحَاجَةِ أَصْحَابِهِ، فَلَوْ قَدْ جَاءَ تَأْوِيلُهَا لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ يُقْتَلُونَ حَتَّى يُؤَخِّدَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ»^٣.

ب) إقامة القسط

تشير بعض الآيات القرآنية إلى أن الهدف من بعثة الأنبياء وإرسال الرسل (عليهم السلام) وإنزال الكتب السماوية هو تحقيق القسط والعدل بين الناس، وفي ذلك يقول الله تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...»^٤، من الواضح أن الهدف المذكور لم يتحقق على المستوى العالمي وبشكله الكامل في عصر أي نبي من أنبياء الله سبحانه، لكن، وبالاستناد إلى نبوءات الأئمة

١. سورة يوسف (عليه السلام)، الآية ١٠٦.

٢. العياشي، بدون تاريخ: ج ٢، ٥٦.

٣. الكليني، ١٣٦٧: ج ٨، ٢٠١.

٤. سورة الحديد، الآية ٢٥.

المعصومين (عليهم السلام) فإن هذا الهدف سيتحقق في عصر الظهور، وفي الأساس فإن مسألة تعميم العدالة واستئصال الظلم في عصر الظهور وردت في الكثير من الروايات حتى أضحت واحدة من أهم مظاهر الحكومة العالمية للإمام المهدي (عج).

ينقل لنا الإمام الحسين (ع) عن جده الرسول الأعظم (ص) قوله: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي، فَيَمْلَأُهَا عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، كَذَلِكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ»^١.

لا شك أن ما مضى قائم على تفسير هذه الآية الشريفة في قوله تعالى «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...»، فإذا كان هذا هو معنى الآية وتفسيرها فإنه بالإمكان اتخاذها شاهد على ما قلناه إلى جانب الروايات الواردة و التوضيح الذي مرّ بنا؛ لكن الآية الشريفة المذكورة تتضمن احتمالاً آخر ومعنى غير الذي ذكرناه وهو: إنا أرسلنا الأنبياء والرسل بالبينات والكتب والميزان لإقامة القسط في نهاية الأمر؛ أي أن الهدف واحد من بعثة كل أولئك الأنبياء (عليهم السلام) وهو إقامة القسط و العدل بين الناس في نهاية التاريخ. فهذا التفسير يبين لنا أن إقامة القسط هو الهدف الذي سيتحقق في النهاية وما بعثة الأنبياء والرسل (عليهم السلام) إلا لتحقيق الهدف المذكور. فإذا كان هذا هو المعنى المقصود فإن دلالة على القول المذكور ستوضح أكثر وعندئذ لا حاجة بنا إلى الاستعانة بالروايات المتعلقة بهذا الأمر.

ج، الإشارة إلى اليوم الموعود في الأديان السابقة

يُستفاد من آيات القرآن الكريم أن الكتب السماوية التي سبقته أشارت كذلك إلى مسألة المهدي الموعود وتطّرت إلى هذا الموضوع من جوانب متعددة؛ قال تعالى: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»^٢ وقال سبحانه أيضاً: «قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^٣. وروي عن الإمام الباقر (ع) في تفسيره للآية الثانية قوله: «وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيٍّ

١. الشيخ الصدوق، ١٣٦٣: ٣١٨.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٣. سورة الأعراف، الآية ١٢٨.

(ع): «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»، أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي الَّذِينَ أَوْزَنَّا اللَّهُ الْأَرْضَ، وَنَحْنُ الْمُتَّقُونَ، وَالْأَرْضُ كُلُّهَا لَنَا»^١.

لاحظ أنه لا يمكن اعتبار هذه الآيات بمنزلة وعد لأولئك الذين عاشوا قبل تحقق اليوم الموعود بآلاف السنين، ومن الواضح أيضاً أنه لا يمكن أن يكون لتحقيق اليوم الموعود الزاهر في نهاية التاريخ بالنسبة للأمم التي عاشت قبل الإسلام، لا يمكن اعتبار ذلك لوحده بمنزلة وجه معقول إلا إذا كان ذلك الوعد مصحوباً بنظرة تاريخية طويلة الأمد، فإذا كان تصوّرنا عن ذلك الوعد هو أن البشرية تمثل سلسلة متصلة ببعضها وأن الأنبياء (عليهم السلام) كذلك كان لهم التصوّر نفسه عبر التاريخ وكان تحقق حكومة العدل العالمية حاضراً على رأس أهدافهم وأمنياتهم وكانوا جميعاً يخطون باتجاه الهدف المذكور ويسعون إلى تحضير أممهم من أجل بلوغ ذلك الهدف السامي، إذا كان الأمر كذلك، فإن وعد الأمم السابقة باليوم الموعود سيبدو منطقياً أكثر من ذي قبل.

د) آخر الحكومات

رُوي عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: «دَوْلُنَا آخِرُ الدَّوَلِ، وَلَنْ يَبْقَى أَهْلُ بَيْتِ لَهْمَ دَوْلَةٍ إِلَّا مَلَكُوا قَبْلَنَا لِسَلَا يَقُولُوا إِذَا رَأَوْا سِيرَتَنَا: إِذَا مَلَكْنَا سَرْنَا مِثْلَ سِيرَةِ هَؤُلَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»»^٢. وبالأستناد إلى كلام الإمام الباقر (ع) فإن السّر في تأخير دولة آل البيت (عليهم السلام) حتى نهاية التاريخ والدول هو بيان عجز تلك الدول وضعفها وعدم قدرتها على استخدام أسلوب حكم يشبه ذلك الذي اعتمده وسيعتمده آل البيت (عليهم السلام) في آخر الأمر وهذا يعني أن هذه النهاية كانت موضع اهتمام الله (عَزَّوَجَلَّ) منذ البدء وجزءاً مهماً من برنامجه في اليوم الأول للخلق وقيادة التاريخ من خلال سُنَّته تعالى إلى حيث تنكشف عندها حقيقة جميع التيارات وتُضح بواطنها وأسرارها، وعندئذ ستقوم دولة آل البيت (عليهم السلام) التي ستأخذ العدالة والفضيلة محوراً رئيساً لها لكي يتم على أيديهم تحقيق أمان البشرية على أفضل وجه.

هذا، ويمكن للرواية المذكورة أعلاه أيضاً أن تكون ترجماناً للآية الشريفة من قوله تعالى:

١. الكليني، ١٣٦٧: ج ١، ٤٠٧.

٢. الشيخ الطوسي، ١٤١١: ٤٧٢-٤٧٣.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾^١ وأن تيار اختلاف الدول هذا له مَنْ يُديره وأنه باختصار تدبير إلهي محض، تدبير سينتهي في آخر المطاف بإذن الله (عَزَّوَجَلَّ) وإرادته نهاية طيبة وسعيدة متوج بتأسيس حكومة إلهية كاملة لا نقص فيها. وبناءً على ذلك فإنَّ كلَّ الدول التي كانت تتأسس وتلك التي تهوي وتسقط على مَرَّ التاريخ إنما كان ذلك بتدبير إلهي يُراد به هداية ذلك التيار بشكل تدريجي وقيادته نحو الغاية الإلهية.

ثمرة الإيمان بالدور الفعال للأنبياء في حكومة العدل العالمية

إذا استطعنا أن نثبت دور الحركة التاريخية للأنبياء (عليهم السلام) في تشكيل حكومة العدل العالمية عندئذ سيكون بإمكاننا إيجاد الحلول والإجابات الجديدة المطلوبة و الأقرب إلى المنطق عن الأسئلة والمسائل المتراكمة منذ القدم المتعلقة بالمعارف المهدوية، و بإمكان هذا كله أن يكون قرينة بحد ذاته يؤيد ما ذكرناه آنفاً. ومن المسائل والاستفسارات المذكورة ما يلي:

١. مسألة اليأس والقنوط

لا ريب في أنَّ ظمأ المنتظر لن يرويه إلا لقاء المنتظر كما لا يمكن معالجة آلام الانتظار إلا بالوصال؛ وعلى هذا، فإنَّ نتيجة الانتظار من دون لقاء ووصال لن تكون سوى التعب و القنوط، وفيما يخص مسألة انتظار المهدي الموعود (عج) فإنَّها ليست مُستثناة من هذه القاعدة أيضاً؛ فعندما أجلس أنا المنتظر وأتأمل عشرات الأجيال التي سبقتني وعاشت قبلي فأرى ليلها الطويل لم ينجلي بالفجر الموعود والهجران الذي عاشته لم ينتهي بالوصال المنشود، عندئذ سيعتريني إحساس غريب و ينتابني شعور رهيب وهو أنَّ حظي لن يكون أفضل من أولئك وأنَّ ما حدث لهم ربَّما يحدث لي كذلك، وأتني سأودَّع هذه الدنيا و أغادرها حاملاً معي عالماً من الأمنيات وقدرًا عظيماً من الانتظار والتأمل قبل أن تكتحل عيناى برؤية ذلك اليوم العظيم؛ لا شك في أنَّ ذلك سيعصر قلب كلِّ واحد من المنتظرين و ستظل هذه المأساة تشغل أذهانهم وتُحزن قلوبهم وتؤلم أفئدتهم، فيروا طريق الانتظار وعراً

١. سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

مملوءاً بالأشواك لا يمكن اجتيازه بأي شكل من الأشكال؛ لكن، هنالك العديد من الطرق و الأساليب لحل هذه المشكلة:

١. يمكن أن نقول بآثنا - نحن العابدين - في حال الانتظار وهذا أمر حسن فقد أشار الأئمة المعصومون (عليهم السلام) في الكثير من أحاديثهم إلى فضائل الانتظار وثواب المنتظرين، وعليه، فإنه حتى لو مرّت مئات الأجيال وانقضت الدهور ولم نشهد شيئاً عن اليوم الموعود، فإنّ المنتظرين لن يُبخسوا ثوابهم بسبب انتظارهم، ويمكن لذلك أن يكون سبباً لتخليصهم من اليأس الذي أصابهم لطول الانتظار وتطاول الغيبة. إنّ هذا المقدار من الجواب وإن كان صحيحاً إلا أنه لا يمثل الجواب كاملاً إذ ما زلنا نطرح السؤال التالي على أنفسنا: "هل يوجد بالفعل أيّ واقع أو حقيقة وراء هذا التعبّد بالانتظار أم لا؟"، "أليس ثمة تحليل أو تفسير وراء ذلك كلّ ولذلك لا يمكن الإشارة إلى أيّ أصول أو مقاصد حكيمة له؟"

٢. يمكن القول أيضاً أنّ الانتظار لا يقود إلى اليأس وذلك لوجود هذا الأمل دائماً وهو إمكانية وقوع الظهور في أيّ وقت أو زمن، وهذا - كما هو واضح - كاف للتخلّص من اليأس والقنوط. وعلى الرّغم من أنّ هذا الجواب كذلك صحيح، لكن، أتى للمؤمنين الضعفاء والمتوسطين أن يقاوموا ويشبّثوا وهم يرون بأنّ أعينهم سلسلة الأجيال البشرية و قد انقرضت واتّحت آخذة أمنية الانتظار ورؤية اليوم الموعود معها إلى القبر فلم ترأمة تدلّ على الفرج ولا علامة تشير إلى النهاية؛ أتى لمثل أولئك الصّمود بوجه كلّ هذا الكمّ الهائل من اليأس بمجرّد إقناعهم بالتحلّي بالصّبر على أمل أن يشهدوا الحدث الذي لا يبدو تحقّقه التاريخيّ في الظاهر قريباً على أقلّ تقدير؟

٣. يمكن حلّ المشكلة أعلاه أيضاً بالشكل التالي: إتني باختصار مُنتظر للظهور لأنني أنا المُستفيد من ذلك و بحاجة إلى الوصول إلى شاطئ الأمان - كما يُقال - وكذلك لكي تُحلّ جميع مشاكلي، ولهذا أحاول إقناع نفسي بأنّ الظهور سيكون في حياتي وأنه إذا لم يحصل ذلك بالفعل فقد أخسر كلّ شيء و سأصاب باليأس والقنوط إذا ما طال أمد الغيبة لأنني اعتبر نفسي محوراً في هذه المسألة لذلك أقوم بمقارنة كلّ شيء بي أنا، وما لم أحصل على ما أريد وأصل إلى بُغيتي من ذلك فإنّي لا أرى أيّ فائدة تُذكر من الإيمان بوجود ذلك الانتظار

و تأمله و توقعه أو عدمه .

وإذا نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى، سنرى أن هدفنا منذ البدء كان هدفاً طويلاً الأمد يتطلب انقضاء عدد كبير من الأجيال، وليس هناك ما يُقلقنا أكثر من هذا الأمر وهو انتصار الحق في نهاية الأمر وقيام عشاق النور في نهاية التاريخ بتأسيس حكومة وسعها الأرض و ما فيها فيملأوا نفوس عباد الله تعالى و أعماقهم بالعبودية الحقّة، إذن، علينا أن نفهم و نعي أن هدفاً عظيماً و سامياً كهذا لا يمكن أن يتحقق بسهولة بل لا بدّ من أن تتهيأ جميع مستلزماته بالمستوى الذي يليق به، و عليه، سأجلس و أنتظر على أساس هذا المنطق و التصوّر و أسعى إلى القيام بالعمل الذي يتناسب و هذا الحدث العظيم.

لا بدّ لكلّ مثلاً أن يعتبر نفسه - وفق المنطق و التصوّر المذكورين - عضواً في هذه الجبهة الإلهية، و هي الجبهة التي ضمت في أحضانها كلّ مؤمني العالم و صلحائه منذ بدء الخليقة و كان الأنبياء و الأولياء (عليهم السلام) قادتها و أئمتّها، و أنّ لتلك الجبهة هدفاً تاريخياً بالتأكيد و قد وضعت البرامج و المشاريع اللازمة لها من أجل الوصول إلى ذلك الهدف، لذلك نراها تتحرّك باستمرار دون توقّف و تبذل قصارى جهدها و هي في كلّ يوم تخطو باتجاه الهدف المذكور و تقترب منه أكثر فأكثر.

إنني و من خلال انتمائي إلى تلك الجبهة و أفرادها أعتزم اقتفاء نفس الهدف الذي تقتفيه الجبهة و أفني ذاتي و إرادتي في صلب تلك الجبهة، فالمهمّ بالنسبة لي هو تحقيق ذلك الهدف النهائي التي تنشده جبهتي. إنني أطلّع إلى أن يقع ذلك الحدث و قد تحقق ذلك الهدف التاريخي على أفضل نحو و إن أصابني الضرر في الظاهر، رغم أنّه لا وجود لأيّ ضرر على الإطلاق فعندما تكون خطواتي كلّها في مسار الهدف التاريخي فإنّ كلّ جهد أبذله في يومي يُبيّن لي النتيجة الإيجابية لذلك الجهد.

إنني - و من خلال هذه النظرة - أراني أتدرّج في سلّم المجد و الفلاح بمقدار الجهد الذي أبذله في هذه الحركة التاريخية و أحصل على التوفيق و السؤدد بحسب ما أقدمه من السعي و المثابرة؛ و في هذه النظرة لا وجود لأيّ يأس أو قنوط، فاليأس لا يعترني أحداً إلّا إذا شعر أنّ جهوده و مساعيه تذهب سدى، أو كان يتوقّع الفشل في الوصول إلى هدفه، فإذا لم يضحَ بعد ذلك المحور الذي تصوّره و لم يكن هدفه هو تحقيق الظهور في حياته و الاستفادة

من ذلك، فلماذا يصل إلى اليأس مع أن هدفه منذ البدء كان هدفاً سامياً طويلاً الأمد لا يتحقق إلا بعد انقضاء التاريخ، ولم يكن منذ البدء يركّز على نفسه وحدها بل كان ينتظر تأسيس حكومة العدل في نهاية التاريخ، وكان يبذل جهوده من أجل ذلك الهدف التاريخي ويحاول تهيئة الظروف وتحضير المستلزمات الخاصة بتأسيس تلك الحكومة وكان كلّ يوم يقترب خطوة نحو تحقيق تلك الأمنية؟

إذن، فعندما يكون الجهد الذي نبذله اليوم مؤثراً في عملية تحقيق الهدف النهائي - وإن لم يحدث ذلك في زماننا - وكان ذلك الجهد جزءاً من القاعدة التي سيقف عليها ذلك الهدف في وقته المُعَيّن له، فإنّ ذلك يعني أنّ جميع جهودنا كانت مفيدة وأننا سنصل إلى هدفنا المتمثل في المشاركة في هذه الحركة التاريخية وقيام كلّ واحد منّا بمسؤوليته؛ وهكذا، فإنّه ما من سبب يدعونا إلى الركون إلى اليأس والتشبّث بالقنوط.

عندما يقوم كلّ منّا بالدعاء لتعجيل الفرج والظهور وينظر بعين الشوق والأمل إلى تحقّق ذلك اليوم الموعود فإنّ هذا لا يعني أن ينتفع هو من ذلك بل لأجل تحقّق الهدف طويل الأمد والحصول على النتيجة المطلوبة في أسرع وقت ممكن، وليس الهدف من ذلك الدعاء والاشتياق هو الاستعجال في وقوع الحدث فالمطلوب ليس تحقّق الظهور بأيّ ثمن كان، بل إنّ ما يسعدنا ويجلب لنا الخير هو تحقّق تلك الأمنية في زمان يكون قد بلغ فيه ذلك الهدف السامي أعلى درجاته وأسمى مواصفاته وأن تستفيد جبهة الحق من هذا الحدث إلى أقصى الحدود؛ وعليه، فإذا كانت المصلحة تقتضي أن تمرّ قرون أخرى وتنقضي أزمان عديدة حتى تصبح الظروف الخاصة بظهور الحقيقة وتحقّق العبودية الحقّة في أروع صورها وحالاتها، فلا بدّ لنا من قبول هذا الأمر والإذعان لهذه الحقيقة بكلّ جوارحنا.

من الواضح أنّ هذه النظرة تتجاوز كلّ الحدود الزمنية والجغرافية وترى أنّ كلّ المؤمنين والمنتظرين لليوم الموعود يقفون جنباً إلى جنب في جبهة واحدة يحدوهم هدف واحد، فهذا الذي يعيش في الوقت الحاضر يشبه تماماً ذلك الذي عاش في عصر البعثة لأنّ كليهما يسير تحت راية وقيادة الأنبياء والأوصياء (عليهم السّلام) ويحمل هدفاً واحداً ولكلّ منهما أمل واحد يقوده في الخطو في طريق تحقيق الهدف، فكّل جهد يبذلانه في هذه الجبهة سيهيئ قسماً من المقدمات الخاصة بذلك الهدف النهائي ويكون حجراً مرصوفاً إلى جانب الأحجار

الأخرى في صرح الهدف الغائي. و عليه، لا فرق بين مؤمن كان يعيش في عصر البعثة و الجهاد الذي قدّمه في سبيل إكمال تعبيد الطريق، و بين مؤمن آخر سيعيش في آخر الزمان و يُكمل بناء جزء آخر من ذلك الطريق فكلّ تلك الأجزاء ستُجمع في النهاية إلى بعضها و ستشكّل بمجموعها البناء الذي يتطلّبه الهدف المنشود، و لعلّ هذا هو السبب في تشبيه بعض الروايات المنتظرين لهذا الأمر بالمجاهدين مع الرسول الأعظم (ص).

٢. شبهة عجز الأنبياء (عليهم السلام)

وأما الثمرة الأخرى التي يمكن الحصول عليها من خلال النظرة التاريخية إلى فكرة المهدويّة فهي الإجابة عن الشبهة القائلة بعجز أنبياء الله (عليهم السلام) في إدارة المجتمع البشريّ، فقد ادّعى بعضهم - بالاستناد إلى رسالة الأنبياء وإقرار العدل و عدم نجاحهم في القيام بمهامّ تلك الرسالة على النحو المطلوب - عجز الأنبياء (عليهم السلام) عن إدارة المجتمع الإنسانيّ؛ يمكن الإجابة عن هذه الشبهة بأساليب متعدّدة، إلّا أنّنا سنركّز هنا على الإجابة من الزاوية التاريخية إلى الظهور.

إذا اعتبرنا هدف الأنبياء (عليهم السلام) هدفاً مرحلياً و مؤقتاً فربّما تصوّرنا أنّهم عجزوا بالفعل عن الوصول إلى هدفهم، لكن إذا كان تصوّرنا مبنياً، من جهة، على أنّ الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يسعون إلى إقامة حكومة العدل العالمية التي تمكّن جميع أفراد البشر من الوصول إلى الفلاح و النُضج المطلوبين و أن تزدهر طاقات البشريّ في جميع المراتب و الجوانب، و من جهة أخرى، أنّ الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يعلمون بأنّ تحقيق هذا الهدف يتطلّب خطوات كبيرة و متطاولة و تحضيراً و استعداداً لتهيئة الأسس اللازمة له، و كان لا بدّ للعديد من الأنبياء و الأوصياء (عليهم السلام) و المؤمنين من بذل الجهود الحثيثة و أنّه سيتمّ جني ثمرّة تلك الجهود و المساعي في نهاية الأمر، إذا كان هذا هو تصوّرنا لرسالة الأنبياء و مساعيهم فإنّه لا مجال حينئذٍ للحديث عن فشلهم أو ضعفهم في الإدارة لأنّ هذا التصرّو يبيّن لنا أنّ حكومة العدل العالمية الموعودة التي سيتمّ تشكيلها في آخر الزمان هي الهدف الذي سعى جميع الأنبياء (عليهم السلام) إلى إيجاد أسسه بمجاهداتهم و مشاربهم، و أنّ ما سيحدث في نهاية التاريخ إنّما هو حاصل تلك الجهود و المساعي التي بذلها الأنبياء و الأولياء (عليهم السلام) على مرّ التاريخ، و عليه، فجميع الأنبياء (عليهم السلام) كانوا موقّقين في

أداء مهام رسالاتهم وأن كل جهودهم ومساعدتهم تكلفت بالنجاح لا محالة.

٣. إيقاظ شعور المؤمنين بالمسؤولية

وأما الثمرة الثالثة التي تمنحنا إياها هذه الرؤية هي بيان المكانة التاريخية الحساسة والمهمة التي يحتلها المؤمنون وتعترفهم على المسؤوليات الكبيرة التي أوكلت إليهم في كل مرحلة من المراحل بشكل واضح. فمن خلال هذه النظرة يدرك كل مؤمن أن هذه المائدة المعدة له ليست بفضل جهود آبائه وأجداده فحسب، بل هي ثمرة الجهود والمساعدات التي بذلها جميع الأنبياء (عليهم السلام) منذ أبينا آدم (ع) إلى الرسول الخاتم (ص) وكذلك جميع المؤمنين والمؤمنات على مدى التاريخ؛ وأنه مجرد عضو في جبهة يشارك فيها جميع الأنبياء وأولياء الله (عليهم السلام) في تحقيق انتصاراتها ونجاحاتها، وأن أي ضعف أو تقاعس يصدر عنه في أداء المسؤوليات المخولة إليه من شأنه أن يتسبب في دحر تلك الجبهة وإخفاق جيوشها التي قادها الأنبياء وأوصيائهم.

ومن خلال هذه النظرة إزاء الحركة التاريخية للأنبياء فإنه ليس باستطاعتي أن أدعي امتلاك ما حصلت عليه حتى الآن أو اعتبر نفسي - حُرّاً في التصرف بذلك كيف أشاء، أو أستي نفسي مالكاً ومختاراً مطلقاً وأسهم في هذه العملية بالطريقة التي تحلولي لأن ما وصل إلي - بدءاً بمكانة الإسلام العزيز ومنزلته السامية وقدرته العالية وانتهاءً بالمعارف والتعاليم التي وصلتني عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) والكيان الشيعي بأكمله القائم على قواعد الإيمان بمعارف آل البيت (عليهم السلام) وكذلك القدرة والعظمة اللتين اتّصف بهما هذا الكيان الشامخ على مرّ التاريخ بما في ذلك مجموعة التراث الثقافي والمعنوي الذي خلفه لنا الماضون - هو حاصل الجهود العظيمة التي بذلها أعضاء جبهة الحق طيلة المراحل التاريخية، وأتينا نغترف من مائدة بذل من أجل إعدادها القديسون والصالحون دماءهم الزكية، وعليه، لا يحق لي التصرف بهذا التراث العظيم كيفما يحلولي من دون مراعاة هذه العقبة بأي شكل من الأشكال، فالاهتمام بهذا الواقع والاعتراف به ومراعاته يحتملني مسؤولية الحفاظ على ذلك التراث القيم والمحافظة عليه كما يحتم عليّ نقله بتمامه وكمالته إلى الأجيال الأخرى. إني من خلال هذه النظرة لسْتُ سوى حلقة وسيطة يتوجب عليّ تحمّل مسؤولية المحافظة على هذه الأمانة الكبيرة كما أنني أمثل حلقة الوصل بين الماضين

من قبلي والآتين من بعدي والتي تحمل على عاتقها مسؤولية خطيرة تتمثل في نقل تلك الأمانة إلى الأجيال الأخرى بالشكل الصحيح ومن دون أي تقصير.

بعبارة أخرى، وبعدها اتخذ تيار الهداية الذي قاده الأنبياء (عليهم السلام) قراره بالسير في طريق واحد للوصول إلى الهدف المنشود وأصبح جميع المؤمنين صفّاً واحداً يسير في تلك الجبهة باتجاه ذلك الهدف وكان كلّ منهم يسير إلى جانب رفيقه ويخطو معه، وبدأت الجبهة تسير نحو هدفها بشكل تدريجي، كان لزاماً على كلّ جيل من المؤمنين أن يؤدي دوره في هذه الحركة التاريخية بعد حصوله على الثمرات والنتائج التي خلّفتها له جبهته و المحافظة عليها، وأن يبذل ما يستطيع من الجهود لوضع أحجار الصرح العظيم في أماكنها. و في حال حدوث أي خلل أو عيب في أي مرحلة أو مقطع زمني خلال مسيرة تلك الحركة إلى الأمام أو استنكف أحد الأجيال عن المشاركة في تلك العملية أو تخلّى عن تحمّل مسؤولياته والإسهام في دفع عجلة الجبهة إلى الأمام، فإنّ ذلك الجيل لن يتسبّب بالإضرار بنفسه هو وحده بل سيكون كذلك سبباً في فشل حركة جبهة الحق وإخفاقها في الوصول إلى هدفها، وبالتالي فإنّ على الجيل القادم أن يفعل ما بوسعه ويبذل جهوداً مضاعفة للتعويض عن تلك الخسارة، وقيامه بدوره على نحو أفضل. هذا هو السبيل الوحيد الذي سيمكّن تلك الحركة التاريخية من مواصلة سيرها ومتابعة طريقها بالشكل الطبيعي و الوصول إلى غايتها بنجاح.

ومن ناحية أخرى فإذا قام جيل من المؤمنين بحركة عظيمة وبذل جهوداً جبّارة فإنّه سيعمل على تسريع تلك الحركة ومضاعفة سرعتها والتعجيل في إيجاد الأسباب التي ستعمل على تحقيق أسس ومتطلبات مجيء اليوم الموعود بشكل أسرع.

وبناءً على ذلك فإنّ هذه النظرة تبين لنا أنّ هذه الحركة التي تسير بكامل قدرتها و طاقتها إلى الأمام يمكن أن تُصاب في مرحلة تاريخية ما بالعطل والتوقف بل والرجوع إلى الوراء كذلك، وفي الوقت نفسه يمكنها أن تحظى بالقوة المطلوبة وتبلغ ذروة طاقتها وتسير بشكل متسارع إلى الأمام.

من الواضح أنّ هذه النظرة إزاء الظهور من شأنها أن تُضاعف المسؤولية الملقاة على كاهل المؤمنين إلى حدّ كبير فضلاً عن تعزيز معنوياتهم وتقوية إرادتهم في أداء مسؤولياتهم

التاريخية المناطة بهم على النحو المطلوب.

إنّ ما ذكرناه حتى الآن لا يبلغ المرتبة التي أشار إليها قائد الثورة في كلامه الذي صرح به في سنة (١٩٨٠م) بقوله:

«إنّ المجتمع المهدويّ هو ذلك العالم الذي يأتي فيه إمام الزمان ليصلحه، وهو المجتمع نفسه الذي ظهر من أجله جميع الأنبياء. أي إنّ كلّ الأنبياء كانوا مقدّمة لذلك المجتمع الإنسانيّ المثاليّ، والذي سيتحقّق في نهاية الأمر بواسطة وليّ العصر المهدويّ الموعود. مثل بناءٍ شامخٍ، يأتي شخصٌ فيسطّح الأرض ويزيل عنها الأشواك والعوائق ثمّ يأتي شخصٌ آخر من بعده و يصنع فيها الأسس، ثمّ يأتي شخصٌ آخر ليضع فيها الأعمدة والأركان، وهكذا شخصٌ بعد آخر، يأتون لعمارة الجدران حتّى يصل هذا القصر المرتفع، وهذا البنيان الرفيع إلى شكله النهائيّ. لقد جاء الأنبياء الإلهيون، ومنذ بداية تاريخ البشرية، واحداً بعد آخر، من أجل أن يقربوا المجتمع والبشريّة خطوةً أخرى نحو ذلك المجتمع المثاليّ وذاك الهدف النهائيّ. لقد نجح جميع الأنبياء ولم يفشل أيّ واحدٍ من رسل الله على هذا الطريق، وفي هذا المسير، لقد كان حملاً على عاتق هؤلاء المبعوثين الشامخين، وكلّ واحدٍ منهم تقدّم به خطوةً نحو المقصد والهدف النهائيّ وسعوا بكلّ جهدهم من أجل القيام بهذا العمل. وعندما كانوا يصلون إلى آخر حياتهم كان هناك من يأتي من بعدهم ليضع هذا الحمل على عاتقه ويتقدّم به مسافةً أخرى، مقترباً بذلك من ذلك الهدف. ووليّ العصر صلوات الله عليه، هو وارث جميع الأنبياء الإلهيين، فعندما يأتي ستكون الخطوة الأخيرة على طريق إيجاد ذلك المجتمع الإلهي»^١.

خلاصة البحث

بالاستناد إلى ما مرّ بنا يتّضح أنّ هنالك نظرتان حول الدور التاريخيّ للأنبياء (عليهم السّلام) فيما يتعلّق بتحقيق حكومة العدل العالمية: النظرة الأولى تحاول إثبات هذا الدور الفعّال للأنبياء (عليهم السّلام)، أمّا أصحاب النظرة الثانية فيدّعون أنّ الأنبياء (عليهم السّلام) جميعاً كانوا يسعون على مرّ التاريخ لتحقيق الهدف النهائيّ. من الواضح أنّ

١. الإمام الخامنّي، ١٣٩٢: ص ٣٣٨-٣٣٧.

القراءة التي تؤيد النظرة الأولى لا تنفي النظرة الثانية في الوقت نفسه، يُضاف إلى ذلك أنه يمكن على أساس النظرة الثانية وضع إجابات أقرب إلى المنطق عن بعض الأسئلة والاستفسارات المطروحة بشأن فكرة المهدوية.

المصادر

- ابن أبي زينب، محمد بن إبراهيم، كتاب الغيبة، قم، منشورات (أنوار الهدى)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الخامنئي، السيد علي، انسان ٢٥٠ ساله، طهران، منشورات (مؤسسة إيمان جهادي)، الطبعة الحادية والعشرون، ٢٠١٤م.
- الصدر، السيد محمد، تاريخ الغيبة الكبرى، قم، منشورات (ذوي القربى)، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (شيخ صدوق)، كمال الدين وتمام النعمة، قم، منشورات (مؤسسة النشر الإسلامي)، ١٩٨٤م.
- الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، قم، منشورات (مؤسسة المعارف الإسلامية)، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- العلامة الطباطبائي، السيد محمد حسين، شيعه در اسلام، قم، منشورات (دفتر انتشارات اسلامي)، الطبعة العشرون ٢٠٠٦م.
- العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، طهران، منشورات (مكتبة العلمية الإسلامية).
- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران، منشورات (دارالكتب الإسلامية)، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

دور الانتظار في تحقيق الأمة الواحدة

الدكتور محمد مهدي حائري بور^١

ملخص

يُعتبر موضوع الانتظار في البحث الخاص بالمهدوية من أهم الموضوعات، كما أن التحرك نحو تشكيل الأمة الإسلامية الواحدة يمثل أكبر هاجس لأئمة الإسلام ومفكره؛ ويمكن لهذا الهدف العظيم أن يتحقق في ظلّ المشتركات العقائدية والاهتمام بالتركيز على كلّ واحدة منها.

في هذه المقالة، يحاول كاتبها بيان العلاقة بين انتظار دولة المهدي (عج) - موعود المسلمين - والأمة الإسلامية الواحدة، ودراسة كيفية تأثير هذا العامل الاجتماعي المهم للغاية في مجتمع المسلمين الكبير.

الكلمات المفتاحية:

الانتظار؛ الإمام المهدي (عج)، الأمة الواحدة؛ الانسجام الإسلامي.

مفهوم الانتظار

(الانتظار) في اللغة بمعنى التأمل والترقب؛^٢ يقول الموسوي الأصفهاني: «وهو كيفية نفسانية ينبعث منها التهيؤ لما تنتظره، وضده اليأس، فكلما كان الانتظار

١. عضواً الهيئة العلمية في مؤسسة (المستقبل المضيء) قم (mm.haeri313@gmail.com).

٢. دهخدا، ١٣٧٣: مادة «انتظار».

أشدّ كان التهيؤ آكد. ألا ترى أنّه إذا كان لك مُسافر تتوقع قدومه ازداد تهيؤك لقدمه كلّما قُرب حينه، بل ربّما تبدّل رقادك بالشّهاد لشدّة الانتظار. وكما يتفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهة، كذلك يتفاوت مراتبه من حيث حبّك لمن تنتظره، فكّلما اشتدّ الحبّ ازداد التهيؤ للحبيب، وأوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلّق بحفظ نفسه، ولا يشعر بما يُصيبه من الآلام الموجهة والشّدائد المفطعة»^١.

هذا، ويُعدّ انتظار المهديّ الموعود (عج) في الفكر الشيعيّ - بالمواصفات والتعاريف المبيّنة بشأنه - من الأصول والمبادئ العقائديّة المسلّمة بل وقد أكّدت الروايات المنقولة عن الأئمّة المعصومين (عليهم السّلام) على ضرورة ذلك وصرّحت به.

فَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) أَنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِهِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى! فَقَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَالْإِقْرَارُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ وَالْوَلَايَةُ لَنَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْ أَعْدَائِنَا يَعْنِي أئِمَّةَ [الْأئِمَّة] خَاصَّةً وَالتَّسْلِيمُ لَهُمْ وَالْوَرَعُ وَالْاجْتِهَادُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالْإِنْتِظَارُ لِلْقَائِمِ...»^٢.

وعن عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (عليهما السّلام) وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْقَائِمِ (ع) أَهْوَا الْمُهْدِيِّ أَوْ غَيْرُهُ، فَأَبْتَدَأَنِي فَقَالَ: «يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ الْقَائِمَ مِنَّا هُوَ الْمُهْدِيُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُنْتَظَرَ فِي غَيْبَتِهِ وَيُطَاعَ فِي ظُهُورِهِ وَهُوَ الثَّالِثُ مِنْ وَلَدِي...»^٣.

وقال الصادق (ع): «طُوبَى لِشِيعَةِ قَائِمِنَا الْمُنتَظِرِينَ لظُهُورِهِ فِي غَيْبَتِهِ وَالْمُطِيعِينَ لَهُ فِي ظُهُورِهِ أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ...»^٤.

وقال (ع) أيضاً: «مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَهُوَ مُنْتَظِرٌ لِهَذَا الْأَمْرِ كَمَنْ هُوَ مَعَ الْقَائِمِ فِي قُسْطَاطِهِ». قال: ثُمَّ مَكَثَ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ: «لَا بَلْ كَمَنْ قَارَعَ مَعَهُ بِسَيْفِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «لَا وَاللَّهِ إِلَّا كَمَنْ اسْتَشْهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ص)...»^٥.

١. موسوي أصفهاني، ١٣٧٩: ٣٣٢.

٢. النعماني، ١٣٩٧: ٢٠٠.

٣. الشيخ الصدوق، ١٣٩٥: ج ٢، ٣٧٧.

٤. المجلسي، ١٤٠٣: ج ٥٢، ١٥٠.

٥. المصدر نفسه: ١٢٦.

آثار الانتظار ومتطلباته

يظنّ بعض الجاهلين أنّ انتظار الإمام المهدي (عج) ربّما تسبّب في القعود وكان عاملاً للرجوع إلى الوراء أو التهرب من المسؤوليات والواجبات والاستسلام مقابل الظلم والجور، لأنّ مفهوم الإيمان بمثل هذا الظهور العظيم - بزعمهم - يعني قطع الأمل واليأس من إمكانية إصلاح العالم قبل ظهوره (عج)، وأتّه سيؤدّي أيضاً إلى اشتداد الظلم وتعاظم الفساد أملاً في تهيئة الأسباب الخاصة بظهور الحجة (عج)؛ إلا أنّ هؤلاء غفلوا عمّا يحمله انتظار ذلك الظهور الكبير من آثار بقاء و نتائج إيجابية. وفي الحقيقة، إنّ مسألة تأسيس حكومة الحق والعدالة على يد المهدي (عج) و مجيء المصلح العالميّ تتضمّن عنصرين اثنين، هما: العنصر السلبيّ و العنصر الإيجابي. فأما العنصر السلبيّ فيُراد به الغربة عن الوضع القائم، و أما العنصر الإيجابي فيتمثّل في إيجاد الوضع الأفضل و الأحسن.

فإذا تجذّر ذينك العنصرين في روح الإنسان بشكل عميق فإنّ ذلك سيكون مصدراً لإيجاد نوعين من العمل: أوّلها تجنّب كلّ نوع من أنواع التعامل و المواقبة مع أئمة الظلم و الفساد و محاربتهم و التصديّ لهم من جهة، ثمّ الشروع ببناء الذات و الاعتماد عليها و التهيؤ من الناحية الجسمية و الروحية و المادية و المعنوية من أجل تأسيس الحكومة العالمية الشعبية الواحدة من جهة أخرى.

فإذا أمعنا النظر جيداً سنلاحظ أنّ كلا النوعين بقاء و حافز على التحرك و التهيؤ و العلم و الصحة. و في الواقع، إنّ أولئك الذين ينتظرون قيام المصلح العالمي العظيم إنّما ينتظرون قيام ثورة هي من أعظم الثورات الإنسانية التي قامت في العالم على مدى التاريخ و أوسعها و أهمّها كذلك في تاريخ البشرية؛ إنّها ثورة مختلفة تماماً عن كلّ الثورات التي سبقتها التي لم تكن تمتلك أيّ جانب منطقيّ، فهذه الثورة ثورة عالمية جامحة تشتمل على كلّ جوانب الحياة الإنسانية، ثورة سياسية و ثقافية و اقتصادية و أخلاقية كاملة المعايير.

لا شكّ في أنّ مثل هذا التغيير بحاجة إلى كلّ العناصر الإنسانية القيّمة اللازمة لتحقيقه بحيث يمكنه تحمّل أعباء تلك الإصلاحات الكبيرة على المستوى العالميّ، و في الدرجة الأولى فإنّ هذا التغيير بحاجة إلى رفع المستوى الفكريّ و العلميّ و الإدراكيّ و التحضير الروحيّ و الفكريّ و المساهمة في تطبيق بنود و فقرات هذا البرنامج العظيم.

إنّ انتظار المصلح العالمي يعني الاستعداد الكامل من الناحية الفكرية والأخلاقية و المادية والمعنوية بهدف إصلاح العالم بأكمله. لكننا نتساءل: "ما فائدة مثل ذلك الاستعداد والتهيؤ؟"

وأما النقطة المهمّة الأخرى فهي أنّه تقع على عاتق المنتظرين المخلصين والحقيقيين مسؤولية إصلاح الآخرين فضلاً عن إصلاح ذواتهم، ذلك أنّ البرنامج العظيم والعبء الثقيل الذي ينتظرونه ليس برنامجاً فردياً أو عبئاً خاصّة بشخص دون آخر، بل هو عمل لا مناص من أدائه بشكل جماعيّ؛ فلا بدّ من التنسيق بين الجهود ولا بدّ لعمق ذلك التنسيق وشموليّته أن يكون بمستوى عظمة البرنامج الثوريّ العالميّ المذكور الذي ينتظرونه. إنّ عدم الرضوخ للملوثات البيئية والاستسلام لأدرانها له أثره المهمّ والواضح في عملية الانتظار، فالشيء الوحيد الذي يمكنه منح الأمل للمتظرين وإكسابهم الثبات وضبط النفس والحيلولة بينهم وبين انصهارهم في تلك البيئة الفاسدة هو الرجاء في الإصلاح النهائي الكامل.

وهنا لا بأس من البحث في دور الانتظار في تحقيق إنشاء (الأمة الواحدة)، لكن، وقبل البدء في ذلك، يجدر بنا التعرّف على تركيبة (الأمة الواحدة) ومعناها في المعاجم الدينية.

مفهوم الأمة الواحدة

تستخدم المعاجم الإنسانية المختلفة الكثير من العبارات لبيان مفهوم (المجتمع community) مثل (الشعب) و (الناس) و (الجماعة) و (القبيلة) و (الطائفة) و (العشيرة) و (القوم) و (الناسيون) و (الطبقة) و (العنصر) و (الفئة) و (المجتمع)؛ وأما الدين الإسلامي فقد استعاض عن كلّ تلك المفردات وأطلق كلمة (الأمة Ummah) على المجتمع الإنسانيّ الذي يقصده وينشده، فهو لا ريب يريد بهذه الكلمة معنى خاصّاً ومُعَيّناً.

و(الأمة) اصطلاح قرآنيّ و دينيّ معاً شاع استعماله بالتزامن مع ظهور الدين الإسلاميّ وانتشاره، فلم يسبق للاصطلاح المذكور أن ظهر في الثقافة الغربية من قبل على الإطلاق. فالأمة وفق التعبير والاصطلاح القرآنيّ تعني الجماعة التي تعتنق ديناً واحداً وتحمل عقيدة واحدة وفي زمان واحد ومكان واحد إلى جانب اتّصافها بالمشاركات الإنسانية الأخرى،

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَارِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^١. وئمة شبه كبيرين اصطلاح (الأمة) و (المجتمع) في الوقت الحاضر، وفي نفس الوقت هنالك فروق كذلك بينهما لا يمكن تجاهلها. فد (المجتمع) في اصطلاح علم الاجتماع يعني الجماعة المنظمة المكونة من أشخاص وأفراد من البشر الذين يعيشون على أرض مشتركة واحدة، ومن خلال تعاون أولئك الأفراد وتأزرهم داخل تلك المجموعة تتم تلبية احتياجاتهم الاجتماعية الابتدائية والأساسية، وكذلك من خلال تفاعلهم عبر ثقافة مشتركة واحدة تصبح تلك المجموعة متميزة عن سائر المجموعات أو المجتمعات الأخرى.^٢ وأما (الأمة) فهي مجموعة خاصة من أتباع دين واحد أو عصر واحد بسبب التشابه في نوع العمل أو الاتجاه الفكري.^٣

و(الأمة) من الزاوية القرآنية تمتلك روحاً وحياة يمكن أن تنتهيا في أي لحظة من اللحظات تماماً كحياة الفرد نفسه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^٤ وكحقيقة ماثلة تمتلك الأمة أيضاً كتاباً خاصاً بها حيث سيتم تلاوته عليها يوم القيامة ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٥ و الأمة بالمنظار القرآني تعي وتفهم وتشعر ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٦ ولأفراد كل أمة عذاب مشترك وعام مقابل أفعالهم وما يجترحون ﴿وَهُمْ كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٧ ويبين لنا القرآن الكريم أيضاً أن لكل أمة سنة مثل سنة إرسال الرسل والأنبياء (عليهم السلام) وهلاك الأمة بعد إتمام الحجة عليها وتغيير مصائر الأمم بسبب الأعمال التي يمارسها مجتمعها وما شابه ذلك.

ويرى (لوي غاردة) - الباحث الفرنسي في العلوم الإسلامية - أن (الأمة) مشتقة من جذر

١. سورة البقرة، الآية ١٢٨.

٢. مساواتي، ١٣٧٢: ١٤٢.

٣. العلامة الطباطبائي، ١٣٧٦: ج ٦، ٣٩.

٤. سورة الأعراف، الآية ٣٤.

٥. سورة الجاثية، الآية ٢٨.

٦. سورة الأنعام، الآية ١٠٨.

٧. سورة غافر، الآية ٥.

عربي خاص وأنه لا يمكن العثور على مرادف لها في اللغات الأوروبية ولا سيما (أمة النبي) التي يُحتمل أنها مأخوذة من الجذر الأصلي (أم) بمعنى (الوالدة).^١

وأما العلامة الطباطبائي فيقول: «وقد اعتنى القرآن بأمر المجتمع وعده حقيقة ذات خواص و آثار كما اعتنى بأمر الفرد من الإنسان وعده حقيقة ذات خواص و آثار تستمد من الوجود»^٢، ثم يستطرد العلامة في موضع آخر من تفسيره قائلاً: «كان الناس أمة واحدة، الناس معروف و هو الأفراد المجتمعون من الإنسان، والأمة هي الجماعة من الناس، وربما يطلق على الواحد... وربما يطلق على زمان معتد به... وربما يطلق على الملة والدين كما قال بعضهم... وأصل الكلمة من أم يأم إذا قصد فأطلق لذلك على الجماعة لكن لا على كل جماعة، بل على جماعة كانت ذات مقصد واحد و بغية واحدة هي رابطة الوحدة بينها، وهو المصحح لإطلاقها على الواحد و على سائر معانيها إذا أطلقت»^٣.

فالأمة وفق التعاريف المذكورة أعلاه تُعد أساس النظام الاجتماعي الذي يشمل مجالات أوسع؛ و بعبارة أخرى، فقد خصت الشريعة جزءاً كبيراً من جهودها للنظام الاجتماعي فيما تناول الجزء القليل منها المراسم العبادية والأخلاق الفردية. وقد ورد التأكيد المتكرر في السنة الإسلامية بشأن موضوع (الأمة) حتى اعتُبر الانتساب إليها والعضوية فيها شرطاً للإسلام، فالمرحلة الإسلامية لم تبدأ بولادة النبي الأعظم (ص) ولا بنزول الوحي في أول الأمر بل بهجرة الرسول الكريم (ص) وأصحابه إلى المدينة، ولم تحدث الهجرة إلا بعد أن رجح المسلمون الوفاء والإيمان بالله (عز وجل) على كل الروابط النسبية والقبيلية و شرعوا في إنشاء صرح الأمة الإسلامية.^٤

الأمة في القرآن الكريم

وردت كلمة (أمة) في أربع وستين آية من آيات القرآن الكريم، منها ما أشار إلى معنى المدة و الفترة الزمنية المعيّنة «وَلَئِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا

١. غاردة، ١٣٥٢: ٢٨٦.

٢. العلامة الطباطبائي، ١٣٧٦: ج ٤، ٢٣٦.

٣. المصدر نفسه: ١٧٢ - ١٧٣.

٤. مؤتني، ١٣٨٠: ٩٠.

يَحْبِسُهُ^١ و «وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ»^٢ أو القائد و الإمام و القدوة «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^٣ أو الدين و المذهب و المسلك «بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ»^٤ و كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ^٥ أو مجموعة أو طائفة من الحيوانات «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ»^٦ لكن معنى (الأمة) في أغلب الآيات هو جماعة من الناس أو أفراد البشر^٧ و في الموارد التي تشير فيها (الأمة) إلى معنى الجماعة من الناس فالمقصود بذلك تلك الجماعة التي نزلت عليها إحدى الرسالات أو الأديان السماوية مما يعني وجود أصول مذهبية و دينية في الاصطلاح المذكور^٨ و بالاستناد إلى التعاريف المذكورة يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها أن المراد من (الأمة الإسلامية) هو الجماعة الكبيرة من المسلمين التي تخضع لقيادة و هداية مشتركتين و تسير باتجاه هدف واحد و قبلة واحدة، و هذا المجتمع الإسلامي المثالي يتصف ببعض الخصائص التي تميزه عن المجتمعات الأخرى.

خصائص الأمة الإسلامية وصفاتها

يعتبر القرآن الكريم أن من بين الأهداف الموكلة إلى الرسول الأعظم (ص) تأسيس الأمة الإسلامية كما يبين لنا كيفية قيام النبي (ص) بهذا الأمر و الأسلوب الذي استخدمه حتى استطاع إيجاد النموذج الحي لتلك الأمة في المدينة المنورة، الأمة التي يمكنها أن تكون قدوة و مثالاً لسائر الأمم و المجتمعات الإنسانية الأخرى.

لا شك في أن الخصائص الدينية التي شكّلت الأمة الإسلامية هي خصائص أصيلة، و بعبارات أخرى، فإن تحقق الرسالة الإسلامية و واجباتها و وظائفها لا يكون إلا في ظل

١. سورة هود (عليه السلام)، الآية ٨.

٢. سورة يوسف (عليه السلام)، الآية ٤٥.

٣. سورة النحل، الآية ١٢٠.

٤. سورة الزخرف، الآيتان ٢٢ و ٢٣.

٥. سورة الأنعام، الآية ٣٨.

٦. سورة البقرة، الآيات ١٢٨، ١٣٤ و ٢١٣؛ سورة آل عمران، الآيات ١٠٤، ١١٠ و ١١٣.

٧. بندريكي، ١٣٦٠: ١٠.

مجموعة من الأفراد الذين يشكّلون الأمة. وفي الحقيقة فإن اصطلاح الأمة الإسلامية لا يشير إلى إطار جغرافي مُحدّد بل يشمل مجموعة عالمية موحّدة خاضعة لرسالة و دستور إلهيّين مُعيّنين و جميعهم يؤمنون برسالة نبيّ واحد. وفي مثل هذا المجتمع تذوب كلّ الفروق العنصرية و القومية بين أفراد البشر ولا يملك أيّ منها أيّ أصالة بالمرّة، بل المعيار الأفضل الذي يميّز الأفراد في هذا المجتمع هو الإيمان بحقانية الرسالة الإلهية.^١

الأمة الإسلامية ووجوه الاشتراك

بالنظر إلى ما ذكرناه حتى الآن فإنّ القرآن الكريم يسمّي جميع الأفراد الذين يؤمنون بالأنبياء (عليهم السّلام) من حيث أصول العقائد و أوجه الاشتراك و الهدف الذي كان الأنبياء (عليهم السّلام) يحملونه، يسمّيهم (الأمة الواحدة)، ولعلّ مقصود القرآن الكريم هو تقليص الاختلافات بين أفراد هذه الأمة إلى أقلّ حدّ ممكن و توحيدهم على أساس النقاط العقائدية المشتركة بينهم من أجل أن يقتربوا من الأهداف الإلهية و الإنسانية تحت راية تلك الوحدة.

والآن، لا بأس من الإشارة إلى أوجه الاشتراك الأخرى الموجودة في الأمم و التي تؤدّي إلى اتّحادها و تضامنها أكثر فأكثر و لا سيّما في الأمة الإسلامية، و بيان نقطة الاشتراك المهمّة التي تقرّبهم - من النظرة القرآنية - إلى الأمة الواحدة.

بيان العلاقة بين الانتظار و الأمة الواحدة

لا ريب في أنّ الإيمان بقضية ظهور المنجي الموعود الذي وعد به القرآن الكريم جميع أفراد البشر و خصوصاً المسلمين، لا ريب في أنّ ذلك الإيمان يقتضي انتظار ذلك الموعود، و لا شكّ أيضاً في أنّ هذا الأمل في المستقبل (الانتظار) سيخلق قوّة مضاعفة في أعماقهم و سيوحّدهم من أجل الوصول إلى أهدافهم.

ومن البديهيّ أنّه و من أجل الوصول إلى تحقيق الأمة الواحدة لا بدّ من أخذ أوجه الاشتراك في الأمة الإسلامية بعين الاعتبار و العمل على تعزيزها و تقويتها؛ فالمهدوية و

الانتظار هما من المشتركات العقائدية الإسلامية التي تتفاوت مع أوجه الاشتراك الأخرى في عدد من الجوانب وعلى رأسها:

١. النظرة إلى المستقبل الكامنة في العقيدة بظهور المهدي الموعود (عج)، وهو توحيد نظرة المسلمين ورؤيتهم إزاء مستقبل الإسلام.

٢. يُعدّ المستقبل المذكور بمنزلة الهدف والمطلوب بالنسبة للمسلمين كافة.

٣. ولما كان ذلك هدف المسلمين ومطلوبهم لا بدّ لهم من أن يقوموا بالعمل والالتزام والتصرّف بما يليق بالهدف المذكور.

وبناءً على ذلك ينبغي السّعي إلى جعل هذه النظرية استراتيجية محورية لتوحيد الأمة الإسلامية، لكن يجب في البدء البحث في موضوع الانتظار بالتفصيل وبيان كيفية استثمار طاقاته في سبيل تشكيل الأمة الواحدة.

الخوض في فكرة انتظار الموعود

تشتمل فلسفة انتظار الموعود على بعض العناصر والمكونات التي يمكن الاستعانة بها في تأسيس الأمة الواحدة، فانتظار الموعود يعني انتظار المستقبل المشرق الذي وعد القرآن الكريم المسلمين به، وهكذا، فباستطاعة المسلمين في كلّ أنحاء العالم توحيد صفوفهم والوقوف جنباً إلى جنب لتحقيق ذلك المستقبل المشرق وعلى أساس محور تحقيق ذلك الهدف العظيم وتشكيل أمة كبيرة بالاستناد إلى الهدف الواحد. ومن أهمّ الوعود التي قطعها الله (عزّوجلّ) فيما يتعلّق بمستقبل الإسلام والمسلمين، ما يلي:

أ) جعل الإسلام ديناً عالمياً

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^١، فبالاستناد إلى تفاسير علماء الشيعة وأبناء العامة فإنّ هذا الهدف العظيم لن يتحقّق إلّا في ظلّ دولة المهدي (عج) وهذا ما أيّدته أيضاً الروايات الواردة في مصادر الحديث لدى الفريقين:

١. سورة التوبة، الآية ٣٣.

فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقُضَيْلِ: عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَاضِي (ع)، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ»؟ قَالَ: «هُوَ الَّذِي أَمَرَ رَسُولَهُ بِالْوَلَايَةِ لَوْصِيَّتِهِ، وَالْوَلَايَةُ هِيَ دِينُ الْحَقِّ». قُلْتُ: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»؟ قَالَ: «يُظْهِرُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ»^١.

وعن أبي هريرة قال: هذا وعد من الله بآته تعالى يجعل الإسلام عاليًا على جميع الأديان، وتام هذا إنما يحصل عند خروج عيسى - وقال السدي: ذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الخراج^٢.

من الواضح أن هذه الرؤية المشرقة والمتفائلة يمكنها أن تغدو عاملاً للإسلام والمسلمين على حدّ سواء لاتّحادهم وجمع شملهم فضلاً عن إسهامها في تعزيز الهوية الإسلامية الجماعية.

ب) استخلاف المؤمنين و منحهم الأمان الشامل

قال عزّو جلّ: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^٣. نلاحظ في هذه الآية الشريفة أن الله سبحانه وعده المسلمين بشكل صريح باستخلافهم في الأرض وتثبيت أركان الدين الإسلامي بشكل كامل وأنه تعالى سيهبهم الأمن والأمان في جميع أبعاد حياتهم، وبالاستناد إلى التفاسير والروايات فإن حكومة الإمام المهدي (عج) هي المصدق أو في الأقلّ المصدق الكامل لذلك الوعد.

وعن علي بن الحسين (عليهما السلام) أنه قرأ الآية وقال: «هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا، وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله ﷺ (ص): "لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ عَتَرَتِي، اسْمُهُ اسْمِي، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مِلَّيْتُ

١. الكليني، ١٤٠٧: ج ١، ٤٣٢.

٢. الفخر الرازي، ١٤١١: ج ١٦، ٣٣.

٣. سورة النور، الآية ٥٥.

ظُلماً و جَوْرًا»^١.

ج) العباد الصالحون يرثون الله تعالى

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^٢ وبالاستناد إلى البشارات الواردة في القرآن الكريم في العديد من آياته و منها هذه الآية الشريفة، فإن عباد الله الصالحين سيرثون الأرض في نهاية المطاف و سينتفعون بخيراتها، وهذا الأمر سيحدث في زمان الإمام المهدي (عج) وفق التفاسيرو الأحاديث الكثيرة.

وعن أبي جعفر (ع) عليه السلام، قال: «قوله عز وجل: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ هم أصحاب المهدي في آخر الزمان»^٣.

د) إمامة المستضعفين وميراثهم

قال (عز وجل): ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^٤ تم تفسير هذه الآية الشريفة كذلك بظهور الإمام المهدي (عج). وعن علي (ع) في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ قال: «هم آل محمد (ص) يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزّهم و يذلّ عدوهم»^٥.

وعن أبي جعفر (ع)، وأبي عبد الله (ع): «أن هذه الآية مخصوصة بصاحب الأمر الذي يظهر في آخر الزمان، ويبيد الجبابرة والفراعنة، ويملك الأرض شرقاً وغرباً، فيملأها عدلاً، كما ملئت جوراً»^٦.

١. الطبرسي، ١٣٧٢: ج ٧، ٢٤٠.

٢. بعد نقله للرواية أعلاه علق الطبرسي على ذلك قائلاً: «وروي مثل ذلك عن أبي جعفر (عليه السلام) وأبي عبد الله (عليه السلام)». (أنظر: مجمع البيان، ذيل الآية الشريفة).

٣. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٤. البحراني، ١٤١٦: ج ٣، ٨٤٨.

٥. سورة القصص، الآية ٥.

٦. العروسي الحويزي، ١٤١٥: ج ٤، ١١٠.

٧. البحراني، ١٤١٦: ج ٤، ٢٥٤.

لاحظ أن جميع أشكال الانتظار هذه تُمثل رؤية واضحة إزاء المستقبل الذي هو مُراد جميع المسلمين ومطلوبهم ولهذا يمكنه أن يكون محور الوحدة والاتحاد بينهم.

وبالتحليل العقلي يمكن اعتبار تلك الوعود القرآنية آمنيات وأهداف بالنسبة للأمة الإسلامية، بل وجميع الموحدين في مشارق الأرض ومغاربها لأن الفطرة الإنسانية الطاهرة تسعى إلى تحقيق جميع أشكال الخير وسيادة القيم وإنشاء حكومة الصالحين وارتفاعهم بها إلى جانب المستضعفين في الأرض. فالجميع يتوق إلى شيوع الطهارة في أرجاء الأرض وإيجاد العلاقات الإنسانية الطيبة وقيام المعاملات العادلة بين أفراد البشر وتأسيس حكومة الصالحين. كل ذلك موضوع على لائحة الوعود القرآنية الصريحة وهي وعود لا يمكن لها أن ترى النور أو تتحقق إلا تحت راية المحجة الإلهية وقيادتها، ولا ريب في أن الوصول إلى كل ذلك يُعد من آمنيات الناس جميعاً. وبعبارة أخرى، فإن تحقيق ذلك المقصود الإلهي والإنساني مرهون بأن تتحول الرغبة الفطرية الكامنة في أعماق الإنسان نحو ذلك الهدف السامي إلى رغبة حقيقية حاضرة لكي تتم تعبئة جميع قواه الفكرية وكذلك الجسدية في السير باتجاه ذلك الهدف السامي، وتتوفر كذلك جميع المستلزمات والمقتضيات الخاصة بتحقيقه وبذلك تتم إزالة جميع العوائق والموانع التي تحول دون تحقيقه.

وفي الدعاء الشريف المسمى بـ (دعاء الافتتاح) نطالع العبارات النورانية التالية: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ وَتُذِلُّ بِهَا التِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»؛ وهكذا فإن الأمل في تحقيق دولة إسلامية كريمة تتضمن جميع تلك القيم والأمانى الإنسانية المذكورة لا بد من أن يكون أملاً جماعياً واجتماعياً بامتياز لا أملاً فردياً، ولا شك في أن ما يتطلبه مثل هذا الأمر المبارك الغاية في الأهمية هو ارتفاع مستوى الإدراك والمعرفة عند المجتمع الإنساني، أي الوصول إلى نقطة يعرف عندها الجميع أن كل الخير والمكارم مكنون في الحكومة العالمية للإسلام والمسلمين وذل المنافقين وأتباعهم من أجل أن يتم تعبيد طريق العبودية لجميع الناس وبالتالي بلوغ المؤمنين مرتبة القيادة ودعوة الآخرين إلى سبيل الله وطاعته والإخلاص له. هذه هي المرتبة الأهم من المعرفة التي سيتمكن المجتمع بواسطتها من التعرف إلى الكمال الحقيقي فتزرع فيه بذور الحب والشوق إلى ذلك الكمال.

من المعلوم أنّ السبيل الذي يوصلنا إلى تلك النقطة المهمة يمرّ عبر بذل الجهود المجتّابة، إلّا أنّ هداية المسلمين إلى هذا المطلوب على مختلف اتّجاهاتهم ومسالكهم أسهل وأيسر كثيراً من الناحية العملية لأنّ الإسلام في هذا المشروع الإلهي هو الدين الحاكم، ومن هنا، فإنّ بإمكان المسلمين الاتّحاد وتوفير مستلزمات ذلك الاتّحاد ومقتضياته من خلال تحوّل الإسلام إلى محور عالمي وشامل.

الانتظار عامل لاتّحاد الأمة الإسلامية

ورد في الكثير من الروايات في مصادر الفريقين أنّ: «أفضل العبادة انتظار الفرج»؛^١ و (الفرج) معناه انفراج الأمور والتخلّص من المعضلات والمشاكل، وقد يكون الفرج جزئياً أو كلياً شاملاً، فانتظار الفرج بالنسبة للأمة كلّها يعني نجاة كلّ أفرادها من تلك المشاكل والمعضلات والوصول إلى كلّ أمانهم و رغباتهم، ولهذا قيل أنّ الانتظار أفضل من العبادة. ولعلّ من الدلائل الواضحة على أفضلية الانتظار، كون الانتظار يُعدّ الإطار المناسب لاجتماع الأمة الإسلامية واتّحادها وانسجامها، فإذا كان المسلمون مؤمنين بهذا الفرج و يعتبروه نعمة من الله (عَزَّوَجَلَّ) فسيدركون أنّ عليهم سؤال الله تعالى وحده عن تحقيق ذلك الفرج، وسيعلمون كذلك أنّ مثل هذا الفرج العظيم لا بدّ وأن يحصل على يد وليّ من أولياء الله سبحانه فقط. ومن المعروف أنّ بشارة ذلك الوليّ الإلهي وردت في أحاديث الرسول الأعظم (ص) بل و ذكرت كلّ تفاصيله وأوصافه فيها أيضاً، وهكذا فإنّ انتظار الفرج في الأمة الإسلامية ليس انتظاراً مبهماً أو غامضاً أو مجهول المعالم، بل هو انتظار واضح جليّ ذو معنى عميق.

وليس الانتظار في الدين سوى انتظار قيام الإمام المهديّ (عج) من أحفاد النبيّ الكريم (ص) الذي أخبر عن خلافته وإنشاء حكومته في آخر الزمان، ولا شكّ في أنّ هذه العقيدة تُمثّل أكبر عامل لتحقيق الأمة الإسلامية الواحدة، في إمكان المسلمين الاقتراب من بعضهم على أساس محورية انتظار الإمام المهديّ (عج) وأن يقفوا صفّاً واحداً وفي خندق واحد ضدّ أعدائهم ويقاوموا الظلم والاستبداد في داخل مجتمعاتهم ومساندة المظلومين و

١. الشيخ الصدوق، ١٣٩٥: ج ١، ٢٨٧؛ الترمذي، ١٣٧٩: ج ٥، ٥٦٥.

الوقوف إلى جانب المستضعفين؛ وبعبارات أوضح، باستطاعة المسلمين اتخاذ أهداف موحدة لهم و بالتالي العمل متحدين فيما يتعلق باتخاذ المواقف ضدّ غيرهم. وفي ظلّ الانتظار ينبغي للمسلمين ألا يداهنوا مع الظلم الصارخ الذي يعاني منه أيّ شعب مظلوم و مشرّد ولا يسمحوا لأنفسهم بالتسامح مع ذلك الظلم و السكوت عنه، لا أن يتعاونوا مع إسرائيل سياسياً و اقتصادياً. إذا كان الانتظار يعني رفض الظلم و الجور و تأمل تحقّق العدالة الكاملة فإنّه يجب على المنتظرين أن يكونوا جبهة واحدة في الأقلّ و الوقوف بوجه الظالمين في كلّ أنحاء العالم و مساندة المظلومين و المضطهدين و لا سيّما إذا كان أولئك المظلومين و المضطهدين يمثلون شعباً بأكمله. أليس بإمكان المسلمين استمداد القوّة و الشجاعة من الطاقة التي يمنحها إياهم ذلك الانتظار و أن يصبحوا يداً واحدة على عدوّهم المشترك؟

الانتظار عامل للنشاط و التجدّد للأمة الإسلامية

يبدل أعداء الإسلام في كلّ لحظة جهوداً كبيرة و حثيثة لزرع بذور اليأس و القنوط داخل المجتمعات الإسلامية بهدف إيقاف عجلة التقدّم و التطوّر فيها، و هنا يبرز انتظار دولة المهديّ الموعود (عج) - من آل بيت النبيّ الأعظم (ص) - كعامل مهمّ في سبيل منح المسلمين الأمل و الفرج بمستقبل الإسلام و المسلمين و ذلك لأنّ جميع البشارات صرّحت بظهور تلك الدولة و أكّدت على أنّ الدين الإسلامي سيصبح ديناً عالمياً و أنّ المسلمين هم الذين سيحكمون هذا العالم. و ممّا لا ريب فيه أنّ هذه العقيدة الخطيرة النابعة من أعماق آيات القرآن الكريم و الروايات الإسلامية ستضعف نشاط أفراد الأمة الإسلامية و تعمل على تجدّدّها، لكن بشرط أن يتمّ تعريف المسلمين جميعاً بمُنْجِي الإسلام و القرآن العظيم و بيان البركات و الخيرات التي سيتمنحها لهم ذلك الظهور و تلك الحكومة الإلهية من أجل أن تتّضح لهم صورة ذلك الظهور و حقائقه بشكل لا لبس فيه، فيشعروا في أعماقهم بعظمة الانتظار الحقيقي و شوق الحضور إلى جانب الموعود و تعزيز هذه الفكرة لديهم.

وفي هذا الشأن يقول القرآن الكريم: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ ولا شكّ في أنّ انعقاد الأمل بالمستقبل المشرق من شأنه أن يحثّ الفرد و المجتمع على حدّ سواء

على بذل الجهود الإيجابية والعمل البتاء، ومن هنا، فإن انتظار المهدي الموعود (عج) يُثقل عاملاً إيجابياً وعظيماً بالنسبة لمستقبل الإسلام والمسلمين.

الانتظار سبب لصياغة العواطف القلبية والاجتماعية

إذا كان لدى مُنتظري مُنجلي الإسلام تصوّراً واضحاً ورؤية متكاملة عن المنتظر الموعود والخيرات والبركات التي سيأتي لهم بها ظهوره العظيم فإنهم سيحبّونه ويعشقونه من أعماق قلوبهم، وستتحول هذه المحبة وذلك العشق إلى إحساس وشعور جماعيّ عامّ إزاء الإمام المنتظر (عج) وهو ما كان يحدث منذ أقدم الأزمان داخل المجتمع الشيعي حيث أضحت المحبة الفردية عند كلّ شيعي إلى شوق واشتياق جماعيّ لظهور المهدي الموعود (عج) وقد تجلّت هذه الحالة خاصة في الاحتفالات التي تُقام خلال شهر شعبان (ولا سيّما في النصف منه) حيث نشاهد تجمّعات منتظري الإمام (عج) العظيمة على مدى أسابيع في مسجد (جمكران) ومراسم إقامة دعاء (التدبة) المشهور والأذكار الطيبة الخاصة بالإمام المهدي (عج) في جميع المحافل والمناسبات ومجالس الأدعية الجماعية الخاصة بتعجيل الفرج للإمام المهدي (عج). ولا شك في أنّ اقتراب القلوب من بعضها والشعور بالأنس والألفة من قبل الجميع هو من الآثار الإيجابية لذلك الاجتماع وأنّ هذا الشوق الإلهي الطاهر يُعدّ من ضرورات المجتمع الإسلامي التي ينبغي تعزيزها وتثبيتها.

الانتظار حافز على خلق المسؤولية والالتزام الاجتماعي

إذا وقّف المؤمنون إلى الاجتماع والاتحاد فيما بينهم حول محور انتظار الإمام المهدي (عج) فإنّ كلّاً منهم سيشعر بمسؤوليته تجاه الآخر ذلك أنّ الإنسان الذي ينظر إلى مستقبله و مستقبل مجتمعه المشرق إنّما يقوم بتحرير نفسه من قيود الحصرية والفردية فيقوى شعوره ويتعزّز إحساسه إزاء الآخرين من إخوة الدين، ولا ريب في أنّ هذا الأمر يُثقل بداية مباركة لخروج المجتمع من حالة السكون والركود والتحرّك نحو التحوّل الاجتماعي والتطوّر الفكريّ والنضج الثقافي.

كان تحذيره يهدف إلى المحافظة على هذه الصفة والعمل على تعزيز هذه الميزة داخل الأمة الإسلامية؛ يقول تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ»^١؛ فالأمة الإسلامية تنتظر مستقبلاً يحكمه الإمام المهدي الموعود (عج) الذي سيحيي قيم القرآن الكريم والسنة الطاهرة؛ ولذلك فهذه الأمة ترى في نفسها القدرة والاستحقاق للتحرك والتغيير باتجاه ذلك الهدف العظيم وأن تخطو خطوات حثيثة في سبيل صلاح الأمة وإصلاحها مما سيدعم عملية اقتراب المسلمين من بعضهم والعمل على اتحادهم.

الانتظار عامل لتعزيز المقاومة الاجتماعية

من المعلوم أن قوام المجتمع إنما يكون في المقاومة والاستقامة والثبات في مقابل المشاكل والمعضلات وهذا ما نلاحظه أيضاً في مختلف أبعاد الحياة الفردية بشكل واضح، ولهذا فإن التحمل والصبر منزلة رفيعة ومكانة خطيرة في الثقافة الدينية الإسلامية. والقرآن الكريم من جانبه يؤكد على عامل الصبر والثبات عند بيانه سعادة الإنسان وكيفية تحقيقها حيث قال تعالى: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»^٢؛ فانتظار المنجي - ولا سيما انتظار المهدي الموعود (عج) من آل محمد (ص) الذي يحمل معه برامج واضحة وأهدافاً بيّنة لظهوره - يُعدّ قاعدة مناسبة لتشكيل صرح المقاومة الاجتماعية، فإذا ازداد اهتمام المسلمين في العالم الإسلامي بمسألة ظهور المهدي (عج) بالشكل الذي يليق به وأصبح موضوع انتظار دولته وحكومته على رأس جدول أعمال الأمة الإسلامية فإن من شأن ذلك أن يصبح محوراً أساسياً للمقاومة الإسلامية في مواجهة الجبهة المتعاضمة لأعداء الإسلام، ولا شك في أن الجبهة المتحدة التي تنشأ على أساس مبدأ (الانتظار الإسلامي) هي أعظم شأناً وأقوى شوكة من الوحدة التي تقوم على أساس العوامل الأخرى مثل القومية العربية و

١. سورة آل عمران، الآية ١١٠.

٢. سورة العصر، الآيات من ١ إلى ٣.

المصالح المادية المشتركة والإقليمية المحدودة وما شابه ذلك.

يقول الله (عَزَّوَجَلَّ) في محكم كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^١ وهكذا فإن التحمل والصبر ورباطة الجأش كلها تمثل دستور ديني للمحافظة على المجتمع الإسلامي، لكن، وفي الوقت نفسه، إذا لم تكن تلك المقاومة تمتلك محوراً وقاعدة إيجابية ثابتة ومؤملة فقد تتعرض للخلل والضعف في أي لحظة خلال مسارها. عندما يشكّل المسلمون جبهة إسلامية متحدة ومقاومة بناءً على العقيدة الإسلامية المتمثلة بانتظار الموعود، فإن ذلك يعني تعاظم الحوافز والأهداف الدينية والإلهية لديهم من أجل الحفاظ على تلك الوحدة الاجتماعية وحمايتها أكثر من ذي قبل، وعندئذ لن يكون بمقدور الخلافات القومية والإقليمية واللغوية إضعاف هذا الاتحاد أو الإضرار بتلك الوحدة.

الانتظار عامل الاتحاد في تطبيق العدالة

بما أن الانتظار الذي نتكلم عنه هو انتظار لدولة العدل وحكومة القسط فلا ريب في أنه سيسهم في تأسيس الأمة الإسلامية الواحدة، فعندما تضع الأمة الإسلامية نصب عينها هدفاً مشتركاً واحداً للتحرك الاجتماعي وتشجع باستثمار كل طاقاتها وإمكاناتها الاجتماعية لذلك الهدف المشترك فإن ذلك يعني بكل ما في الكلمة من معنى وصولها إلى الانسجام والوحدة العملية وعندها ستتحقق الأمة الإسلامية بشكل عملي وليس باستخدام الشعارات الجوفاء. فالإمام المهدي (عج) سيأتي ليطبّق العدالة في جميع أبعادها ويعرض على أفراد الأمة الإسلامية هدفاً مشتركاً يتمثل في حثهم على الاجتهاد والمثابرة في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية فيما وراء الحدود والبلدان وليس على مستوى المكونات الجغرافية المحدودة. وبعبارة أخرى، على جميع المسلمين أن يفكروا - بالاستناد إلى مسألة انتظار دولة العدل - في إزالة معالم كل أنواع الظلم الاجتماعي في كل بقعة من بقاع الأرض وذلك من خلال اجتماعهم معاً وقوفهم إلى جانب بعضهم البعض وأن يضعوا الحلول المناسبة لذلك، ومن ثمّ تطبيق ذلك بشكل عملي. لا شك في أن ذلك يُعدّ إنجازاً كبيراً و

١. سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

ثمرة يانعة للحركة الاجتماعية القائمة على أساس الانتظار الإسلامي والقرآني.

الانتظار عامل تشكيل التعبئة الإسلامية للحماية الدينية

يُمثل الوقوف إلى جانب دين الله (عَزَّوَجَلَّ) والعمل على حمايته والدفاع عنه جزءاً من القيم السامية في القرآن الكريم وفي الثقافة الإسلامية على حدٍّ سواء، بل وربما كان من أسمى القيم الإسلامية المعروفة حتى الآن. يقول سبحانه: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾؛ فالله تعالى يعتبر نصرة دينه وحمايته والدفاع عنه نصرة له سبحانه، ولهذا يؤكد على تعزيز الحوافز باتجاه هذا الأمر، ومن الواضح أن ما يعمل على تقوية تأسيس الأمة الإسلامية الواحدة تعزيز الحوافز لدى جموع المسلمين من أجل حماية دينهم الحنيف على مختلف الأصعدة والمجالات.

إن امتلاك الإحساس المشترك والحافز الواحد للدفاع عن حياض الدين والمحافظة عليه يلزمه وجه جذاب مشترك غاية في الأهمية. ويبدو أن انتظار المهدي الموعود (عج) الذي يُمثل صورة بهيئة ومؤملة يُعدّ إطاراً دقيقاً للغاية لولادة حالة التعبئة داخل الأمة الإسلامية من أجل حماية الدين وصيانتها في مقابل الأخطار التي قد يتعرض لها، وذلك لما يتّصف به ذلك الإطار من الناحية الدينية والمثالية مما يؤدي إلى اتحاد المسلمين وانسجامهم وتوافقهم وتشكيلهم للأمة الواحدة.

الانتظار عامل للتعاون الجماعي

من الضروري تعزيز شعور التعاون بين المسلمين مع بعضهم ولا سيما التعاون الاجتماعي من أجل الوصول إلى الأمة الإسلامية الواحدة، وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾؛ فالجماعة التي يفتقد أفرادها لأي شعور أو إحساس بالتعاون لا ريب في أنها ستتلاشى وتصبح شيعاً. ومن المعروف أن تعزيز الإحساس بالتعاون وتقويته مرهون بوجود بعض العوامل المشتركة، وكلما كُثرت تلك العوامل وازداد عددها ازدادت

١. سورة محمد، الآية ٧.

٢. سورة المائدة، الآية ٢.

إمكانية الاتحاد الاجتماعي وأصبح التعاون والتعاقد مبدأً ثابتاً ومقبولاً. ولحسن الحظ فإن الأمة الإسلامية تمتلك الكثير من العوامل المشتركة إلا أن العديد من تلك العوامل ما زال مجهولاً ومُهملًا وقد أدى هذا الأمر بالذات إلى إضاعة الفُرص وإهمال الطاقات والإمكانات.

إن انتظار المهدي الموعود (عج) الذي يمثل مرحلة ازدهار الإسلام وإحياء القيم الإسلامية يُعدّ عاملاً مشتركاً مهماً وخطيراً للغاية يمكنه توفير الفرصة الثمينة للانسجام الديني والإسلامي، وكذلك عاملاً رئيساً لتعزيز الحوافز إزاء مسألة التعاون الاجتماعي في سبيل تحقيق الأهداف الإيجابية والمصالح العامة للمسلمين، وسبباً قوياً نحو تأسيس الأمة الإسلامية الواحدة.

خلاصة البحث

يُعتبر تشكيل الأمة الواحدة من الضرورات الاجتماعية بالنسبة للمسلمين، كما وتُعدّ مسألة انتظار قيام دولة العدل على يد الإمام المهدي (عج) - باعتبارها أحد أوجه الاشتراك بين المذاهب الإسلامية - إطاراً مناسباً وفرصة ثمينة لتحقيق الانسجام الديني والإسلامي بين المسلمين كافة، فإذا تمت هداية تلك العوامل والتعامل معها وإدارتها من قبل علماء المذاهب بشكل صحيح فسيكون لذلك آثار وبركات لا تُحصى للمجتمع الإسلامي، وأما ما ورد في هذه المقالة فلم يكن سوى بيان جانب بسيط من تلك الآثار والبركات.

المصادر

- بابائي زارج، علي محمد (٢٠٠٤م)، امت وملت در اندیشه امام خميني (رحمه الله)، طهران، منشورات (مركز اسناد انقلاب اسلامي).
- البحراني، السيد هاشم (١٤١٦هـ)، البرهان في تفسير القرآن، طهران، منشورات (بنياد بعثت).
- بندر ريگي، محمد (١٩٨١م)، فرهنگ عربي به فارسي، ترجمة (منجد الطلاب)، طهران، منشورات (انتشارات اسلامي).
- الترمذي، محمد بن عيسى - (٢٠٠٠م)، سنن الترمذي، بيروت، منشورات (دار الكتب العلميّة)، الطبعة الأولى.
- دهخدا، علي أكبر (١٩٥٥م)، لغت نامه دهخدا، طهران، منشورات (جامعة طهران).
- الرازي، فخر الدين (١٤١١هـ)، مفاتيح الغيب، قم، منشورات (مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي).
- الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (١٣٩٥هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، طهران، منشورات (اسلاميه)، الطبعة الثانية.
- الطباطبائي، السيد محمد حسين (١٩٩٧م)، الميزان في تفسير القرآن، ترجمه إلى الفارسية: محمد جواد كرماني و محمد علي گرامي قمي، طهران، منشورات (مؤسسة العلامة الطباطبائي العلمية والفكرية).
- الطبرسي، الفضل بن الحسن (١٩٩٣م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران، منشورات (ناصر خسرو)، الطبعة الثالثة.
- العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة (١٤١٥هـ)، تفسير نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم رسولي محلاتي، قم، منشورات (إسماعيليان)، الطبعة الرابعة.
- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (١٤٠٧هـ)، أصول الكافي، طهران، منشورات (دار الكتب الإسلامية)، الطبعة الرابعة.
- غارده، لوي (١٩٧٣م)، اسلام دين راست، ترجمه إلى الفارسية: رضا مشايخي، طهران،

- منشورات (شركة انتشار المساهمة).
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (١٤٠٣هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، منشورات (دار إحياء التراث العربي)، الطبعة الثانية.
- مساواتي، مجيد (١٩٩٣م)، مباني جامعه شناسي، تبريز، منشورات (احرار).
- مؤتن، عبد الرشيد (٢٠٠١م)، «نظم اجتماعي ومردم»، ترجمة: محمد شجاعيان، مجلة (كتاب نقد)، السنة الخامسة، العددان ٢٠ و ٢١.
- موسوي أصفهاني، السيد محمد تقي (٢٠٠٠م)، مكيال المكارم، ترجمة: السيد مهدي الحائري القزويني، طهران، منشورات (مكتب بدر للتحقيق والنشر)، الطبعة الخامسة.
- النعماني، محمد بن إبراهيم (١٣٩٧هـ)، الغيبة، طهران، منشورات (صدوق)، الطبعة الأولى.

علاقة التعاليم المهدويّة بالتربية و التعليم الإسلاميّة

الدكتور مجتبي گودرزي^١

الخلاصة

يبحث هذا المقال في مدى تأثير تعاليم المهدويّة على عمليّة التربية و التعليم. يبتدئ المقال بمقدمة ثمّ يبيّن مفهوم التربية و التعليم و العلاقة بينهما، ثمّ ينتقل لبيان مكانتهما في تعاليم المهدويّة التي تمثّل جانباً من التعاليم الإسلاميّة، مكتفياً بالبحث في مقولتين أساسيتين من هذه التعاليم، وهما معرفة إمام العصر (عج)، و انتظار الظهور، و بيان مدى تأثيرهما على التربية و التعليم.

تساعد مقولة معرفة الإمام (ع) في معرفة الله و صيانة الدين و الخلافة الإلهيّة، أمّا مقولة انتظار الظهور فمن ثمراتها إشاعة روح التفاؤل و بناء الذات و بناء الآخر، و كلتا المقولتين لهما تأثيرهما البالغ على عمليّة التربية و التعليم.

و إذا تأملنا في هذه الموارد في إطار باقي الأساليب التربويّة كالإقتداء و النماذج العمليّة و النصّح و الإرشاد التي تؤطر هذه التعاليم و ترسم مساراتها، نرى أنّها تضمن وصول الإنسانيّة إلى مبتغاهما المتمثّل بالكمال و السعادة، و تسمو بها إلى آفاق القرب و العبوديّة التي هي الهدف من خلق الإنسان.

إنّ بيان الأساليب الناجعة للتربية و التعليم في التعاليم الدينيّة و الإسلاميّة . و التي يندرج قسمٌ منها في تعاليم المهدويّة . يساهم في إشباع الحاجات الفطريّة و الحقيقيّة للإنسانيّة.

١. عضو الهيئة العلمية في مؤسسة (دفتر التبليغات) قم.

ولا شك في أن معرفة تعاليم المهدوية والعمل وفقاً لها تصل بالإنسان إلى هدفه المقصود، بينما تدفع الطرق والسبل الأخرى به إلى مهاوي السقوط والضياع.

الكلمات المفتاحية:

التعليم، التربية، المعرفة، الانتظار.

المقدمة

دفعت الحداثة - بزخارفها وإغوائاتها الخادعة في الكثير من ميادين الحياة، وخصوصاً ميدان الأخلاق والتربية والتعليم - بالمجتمع البشري إلى مهاوي السقوط والعدم. وبدلاً من أن تسير به نحو التكامل والتطور في القيم والتعاليم السماوية والإنسانية، قادت به إلى التراجع والسير القهقرائي، فصار هذا المجتمع يحث الخطى نحو العلم، غافلاً أو متغافلاً عن ما يوجهه ويلجم هذا العلم، ألا وهو التربية.

وفي غضون ذلك نرى تعاليم الإسلام المشرقة - وخصوصاً تعاليم المهدوية - تلقي بأشعتها الكاشفة على القلوب المستعدة والمنفتحة على تقبل الحق.

إلا أن الحالة المؤسفة في بعض البلدان الإسلامية، وجهل البعض من المسلمين بهذه التعاليم، هي حالة مؤلمة تثير القلق لدى كل الناس الأحرار والمنتظرين الواقعيين لإمام الزمان (عج).

إننا نشهد اليوم - ليس في الدول والمجتمعات الغربية والشرقية فقط، بل في المجتمعات الإسلامية أيضاً - أنه رغم وجود التعاليم الغنية إلا أن تعاليم المهدوية - كالانتظار، ومعرفة إمام العصر (عج)، والدعاء لتعجيل الفرج، وأساس الإمامة والمهدوية، وأوصاف المنتظرين واجباتهم، وأمثال ذلك من أسس التربية والتعليم الإسلامية - صارت باهتة اللون ولم يبق منها سوى شكلها الظاهري، وذلك لعدة أسباب منها الغفلة، وفقدان المعرفة والبصيرة، والتساهل في مرحلة العمل، وغيرها.

ولا شك في أن البحث في موضوع المهدوية - من أي زاوية من زواياها - هو في حقيقته بحثٌ عن الأمل، والسعادة، والمعنوية، والأخلاق، والعدالة والتقوى، وهي الأمور التي تبعث الآمال في النفوس بالمستقبل المشرق، مضافاً إلى ما تمثله من انسجام مع الأوامر

الإلهية وحاجات الإنسانية.

وعلى هذا الأساس، فإن دراسة التعاليم المهدوية وتأثيراتها في ميدان التربية والتعليم يعدّ من أوجب واجبات الباحثين الدينيين في موضوع المهدوية. والذي نراه أنّ من البرامج الأصلية للمهدي (عج) في حكومته العالمية الموعودة هو ترسيخ ثقافة التربية والتعليم الديني والإسلامي والعقلي في المجتمع، وذلك بطريقة تصل فيها قابليّات الإنسان العلميّة و معرفته إلى حدّ الكمال.

يقول الإمام الباقر (ع) في هذا المجال:

«إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد، فجمع به عقولهم، وأكمل به أخلاقهم»^١. وفي ظلّ حكومة الإمام المهدي تنعدم المشاكل الفكرية والمعرفية، حيث ينهل كافة الناس من منابع العلميّة الغنيّة التي لا تنضب، وسيعمّ ذلك حتّى النساء من ربّات البيوت.

وجاء في إحدى الروايات المنقولة عن الإمام الباقر (ع) أنّه قال:

إنّ المهدي (عج) في دولته يعلم جميع الناس الحكمة والعلم، حتّى لتجد النساء في بيوتهنّ يقضين بكتاب الله وسنة رسوله (ص)^٢.

وقد شبه القرآن الكريم ذلك الإمام بالماء العذب، فقال:

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ»^٣.

وقد أوّل الإمام الباقر (ع) ماء الحياة هذا بوجود ذلك الإمام وانتشار العلم والمعرفة في صفوف عباد الله.

وتعدّ التربية والتعليم ركناً من أركان تعاليم الدين الإسلامي السماوية، حتّى أنّ الله تعالى قد أقسم في القرآن الكريم بـ (القلم) باعتباره رمزاً للتربية والتعليم، وكرّم الإنسان بأن اختصّه به^٤.

كما أنّ الرسول الأكرم (ص) أوجب على كلّ مسلم أن يطلب العلم. وكما كان عليه الحال

١. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٣٦، نشر دار التعارف، بيروت، بلا تاريخ.

٢. الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٣٢٥، منشورات مسجد جعفران المقدس، قم.

٣. سورة الملك، الآية ٣٠.

٤. «اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». سورة العلق، الآيات ٣-٥.

في عصر صدر الإسلام، حيث اتسمت هوية المجتمع الإسلامي بسمات التربية والتعليم نتيجة جهود النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام، فكذلك الحال في عصرنا هذا. إن المصادر الإسلامية الغنية في مجال التربية والتعليم، وخصوصاً تلك العناصر والحواضر المهمة كتعاليم المهدوية التي تؤصل وتدعم هذه الهوية، هي اليوم أكثر مما كانت عليه في الفترات السابقة. من هنا فإن سهولة الوصول إلى مثل هذه المصادر الدينية العظيمة تزيد من مسؤولياتنا في نشر تلك التعاليم من الناحيتين العلمية والعملية.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن تعاليم الإسلام تندرج ضمن ثلاثة أقسام، هي الأحكام والعقائد والأخلاق، وأن مسائل التربية والتعليم هي من فروع تعاليمه الأخلاقية، فحينئذ ينكشف لنا بوضوح ما يترتب علينا من واجب.

إن التساهل في الالتزام بالقوانين والغفلة عن تعاليم المهدوية الثمينة، اللذان يعبران في الواقع عن تخریب الركن الأخلاقي والتوقف - أو التراجع - في المسيرة التكاملية، إنما يطلقان ناقوس الخطر للمجتمعات الإسلامية، وخصوصاً المجتمعات الشيعية والمنتظرين الواقعيين لظهور إمام الزمان (عج).

والمقال الحالي مخصص للبحث في سياق معرفة وبيان تعاليم المهدوية وتأثيرها على عملية التربية والتعليم، وقد تم تنظيم مطالبه ضمن ثلاثة أقسام، هي:

الأول: مفاهيم التربية والتعليم ومعانيهما، وعلاقتهما ببعضهما، وأهميتهما.

الثاني: مكانة التربية والتعليم في الإسلام، ونظرة الإسلام إلى هذه المفردة، والتكامل في ظلال التربية والتعليم.

الثالث: وقد اكتفي فيه - بسبب كثرة تعاليم المهدوية - بدراسة بعض النماذج فقط، مثل: معرفة إمام العصر (عج)، انتظار ظهور إمام العصر (عج) وتأثير ذلك على عملية التربية والتعليم.

(أ) تعاليم المهدوية، التربية والتعليم

١. التعليم

كلمة التعليم هي مصدر على وزن (تفعيل)، مشتقة من مادة (علم). والتعليم في اللغة

بمعنى إعطاء العلم،^١ وفي الاصطلاح بمعنى انتقال المعلومات من المعلم إلى المتعلم.^٢ وقال الراغب في مفرداته: «والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم».^٣

ويرى البعض أن التعليم الاصطلاحي هو عبارة عن تهيئة مستلزمات تنمية وازدهار القابليات الذهنية للإنسان.^٤ وقال بعض آخر: إن التعليم هو تربية قوة الفكر والبعد العقلي للإنسان، وذلك من خلال إيجاد الإبداع والابتكار في القوة الفكرية.^٥ وعلى أي حال، فإن التعليم يتضمن قسماً يختص بالمسائل الفكرية، ولا علاقة مباشرة له بالعمل، كالرياضيات والفلسفة.

ومن جانب آخر، فإن التعليم يشمل الإنسان والحيوان؛ إذ كما أن الإرادة والذاكرة وقوة التفكير موجودة في الإنسان، فإنها - إلى حد ما - موجودة بشكل غريزي في الحيوان أيضاً، وإن كان بشكل أضعف.

ويمكن القول - بصورة عامة - أن التعليم بمعنى انتقال المعرفة إلى الآخر، والذي يتم بوسائل مختلفة كالعين والأذن وغيرها، ربما كان سبباً وعاملاً للسمو،^٦ أو سبباً للفساد والظلم،^٧ سواء كان المتعلم إنساناً،^٨ أو حيواناً،^٩ ولا فرق في ذلك إن تم عن طريق الكلام،^{١٠} أم عن طريق الوحي والإلهام.^{١١}

والتعليم الذي تبحث هذه المقالة فيه هو التعليم المختص بالإنسان، ويكون سبباً في تعاليه، ومصدره كلام الوحي وأحاديث المعصومين وتعاليم المهدوية.

١. راجع: ابن منظور، لسان العرب، منشورات دار صادر، بيروت.

٢. السيد مهدي صانعي، پژوهشی در تعلیم و تربیت اسلامی (= بحث في التعليم والتربية الإسلامية)، ص ١٤، منشورات سناباد، مشهد.

٣. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة علم، منشورات المكتبة المرتضوية.

٤. محمد علي سعاد، اخلاق اسلامی (= الأخلاق الإسلامية)، ص ٩، مكتب ممثلية القائد في الجامعات.

٥. محمد حسن رحيميان، اخلاق و تربيت اسلامی (= الأخلاق والتربية الإسلامية)، ص ١٧، منشورات سمت.

٦. «هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا». سورة الكهف، الآية ٦٦.

٧. «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرُؤُسِهِ». سورة البقرة، الآية ١٠٢.

٨. «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». سورة العلق، الآية ٥.

٩. «وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ». سورة المائدة، الآية ٤.

١٠. «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ». سورة الجمعة، الآية ٢.

١١. «وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ». سورة المائدة، الآية ١١٠.

٢. التربية

ومفردة التربية هي مفردة عربيّة، وهي مصدر على وزن (تفعيل). وتأتي هذه المفردة أحياناً بمعنى التغذية، وأحياناً بمعنى التهذيب و تطهير أخلاق الفرد من السيئات، أو بمعنى النمو والتّمية. وقد ذكر الراغب الأصفهاني في المفردات معنى كلمة الرب فقال: «الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحلاً إلى حدّ التمام»^١.

أما دهخدا في معجمه لغت نامه فذكر التربية بمعنى التّمية و النمو والتعليم. أما التربية في الاصطلاح فهي عبارة عن تمتين أو تمهيد السبيل أمام تنامي أو ازدهار القابليّات وإظهار القدرات الكامنة لأحد الموجودات على أرض الواقع.^٢

وقال آخرون: إنّ التربية هي إزالة الموانع وتهيئة مستلزمات تفتح إمكانات الإنسان في مسيرته التكامليّة، أو بعبارة أخرى إنّ التربية هي استخراج قوى وقابليّات الإنسان الداخليّة.^٣

والتعريف الأوّل أكثر شموليّة من التعريف الثاني، فهو يشمل كلّ الموجودات، بما فيها بذرة التفاح التي تحمل في داخلها قابليّة التحوّل إلى التفاحة، وانتقال هذه القابليّة إلى الفعلية عند توفر الشروط المطلوبة. ولهذا السبب فإنّ بذرة التفاح هي تفاحة بالقوّة. وهكذا الأمر بالنسبة للإنسان أيضاً، فإنّ تهيئة المستلزمات المطلوبة لإظهار قابليّاته الداخليّة في سعيه للوصول إلى المستوى المطلوب يسمّى تربية، وهي التي تغطّي كافّة أبعاده الوجوديّة.

والتربية في المعارف الإسلاميّة هي نموّ القابليّات الروحيّة والأخلاقيّة في المسيرة الطبيعيّة لتطوّر الإنسان من حالته الجنينيّة إلى البلوغ بعد تشكيل هيكله الجسمي و الحيواني. و ماهيّة الإنسان في مسيرة التربية تقوم على أساس الاختيار والإرادة. ومن هنا قالوا في علم الأخلاق: إنّ الإنسان لما كان يمتلك حرّيّة الاختيار فإنّه مستعدّ لتقبّل

١. مفردات غريب القرآن، ص ١٨٤.

٢. أميرحسين بانكي بور، و أحمد قاشجي، تعليم و تربيت از دیدگاه مقام معظم رهبری (= التعليم و التربية من منظور سماحة القائد)، ج ١، ص ٥٣، منشورات مركز دراسات التربية الإسلاميّة.

٣. مجيد رشيد بور، آشنایي با تعليم و تربيت اسلامي (= أضاء على التعليم و التربية الإسلاميّة)، ج ٧، ص ١١، منشورات جمعيّة الآباء و المعلمين.

الماهيات المختلفة، في حين أن الموجودات الأخرى كالحيوان والنبات ليس أمامها سوى ماهية واحدة لا تستطيع تبديلها، كالتفاحة التي ليس لها سوى ماهية التفاح، أو الفروج الذي لا يمكنه إلا أن يصير دجاجة. ومن هنا ما نراه في عالم الإنسانية من وجود أفراد يختلفون اختلافاً كاملاً في ماهياتهم الداخلية وشخصياتهم، بل قد يتناقضون أحياناً.

إنّ إنسانية الإنسان تتوقف على ماهيته الإنسانية التي تتشكّل عبر النمو المتوازن و الانتعاش المنسجم للقابليات الداخلية والأبعاد الروحية والفطرية. والإنسان يمتلك قابليات عجيبة و ثمينة، وهي التي عبّر عنها الرسول الأكرم (ص) وسلّم بقوله: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة»^١.

و هذا الكلام يضع على عاتق الإنسان مسؤولية السعي في مسيرته التربوية كي يتغلّب على موانع انتعاش قابلياته و تهيئة مستلزمات انتقال هذه القابليات إلى مرحلة الفعلية و التحلّي بالصفات والكمالات الإلهية.

وهنا يمكن لأحد أن يتساءل: هل التربية الدينية . التي يبحث المقال الحالي فيها - إيجاد شيء في الإنسان لم يكن موجوداً فيه من قبل، أم إنّ أساس التربية الدينية مرتكز في الإنسان منذ اللحظات الأولى لوجوده؟

والذي نستشفّه ممّا ورد في التعريف الثاني للتربية هو أنّ أسس التربية هي أمور فطرية. ولا شكّ في أنّ الإنسان هو هدف التربية والتعليم، وأنّه يمتاز بخصائصه الفطرية، وهي التي تستند إليها التعاليم الدينية. و من هنا قيل: إنّ منشأ التربية هو الوحي والكلام الإلهي الذي هو السبب في ازدهار قابليات الإنسان وتربيته الكاملة.^٢

و على هذا فالمراد من التربية في هذا البحث هو التربية الإسلامية التي يعدّ الوحي الإلهي و تعاليم الأنبياء والأئمة المعصومين (عليهم السلام) مصدرها الأساس.

٣. علاقة التربية بالتعليم، والفرق بينهما

يمكن من خلال تعاريف التربية والتعليم استنتاج أنّ التعليم هو جزء من أجزاء التربية؛

١. سفينة البحار، ج ٢، ص ١٦٨، مادة عدن.

٢. راجع: غلامرضا غياثي، تعليم و تربيت در اسلام (= التعليم و التربية في الإسلام)، ج ١، ص ٢٧، منشورات بيان الحق.

لأن التعليم يستهدف البعد الفكري للإنسان، أما التربية فهي ثمرة تنمية وازدهار القابليات الوجودية للإنسان. أضف إلى ذلك أن التربية في كل ميادينها تحتاج إلى التعليم؛ لأن المربي لكي يربي المترقي ملزم بأن يُطلعه على الحقائق والمطالب كي يتمكن من خلال علمه و عمله وفقاً للموازين التي تعلّمها أن يصل إلى تنمية وتكامل أبعاده الروحية والمعنوية.

و على هذا، فالتعليم هو الشرط اللازم للتربية، والتربية تحتاج إلى التعليم احتياجاً مائلاً. ولوقارنا التعليم بالتربية فلن نجد فيه تلك العمومية الموجودة فيها، وهو من وسائل تنفيذ قوانينها. بل إنه يعدّ - في الواقع - جزءاً من الوسائل العملية؛ حيث تحتاج تنمية القابليات إلى بعض الوسائل التي يعدّ التعليم واحداً منها، ومع ذلك فإن أحدهما يعتمد على الآخر.

والنسبة المنطقية بين هذين الأمرين هي نسبة العام والخاص المطلق، بمعنى أن كلّ تعليم هو مصداق للتربية، إلا أن كلّ تربية ليست مصداقاً للتعليم.^١

إن مفهوم التعليم أضيق من مفهوم التربية، فوظيفة التعليم هي تجهيز ذهن المتعلّم، و وظيفة التربية هي الاهتمام بتلبية الميول الفطرية والقابليات المختلفة للمترقي. ومن هنا نجد مضامين الآيات والأحاديث قد وضعت التربية في المرتبة الأولى،^٢ أي إنّ التربية الروحية والمعنوية أكثر أهميّة من التعاليم الفكرية؛ حيث إنّ التعليم من دون تربية تكون ثماره سلبية، ويستفاد منه للوصول إلى أهدافٍ منحرفة.

و على هذا فنحن نعتقد إنّنا باتّباع تعاليم المهدوية - مضافاً إلى ما يضمنه ذلك من تحقيق البلوغ الفكري وتعميق الوعي بسبيل السعادة - يمكن أن نخطو خطوات واسعة في مسيرة تربيتنا حتّى نصل إلى الهدف النهائي، ألا وهو القرب الإلهي.

٤. المراد من تعاليم المهدوية

من هنا يمكن القول إنّ المراد من تعاليم المهدوية هي التعاليم والعناوين ذات الصلة بالمهدوية، كالاعتقاد بالإمام المهدي (عج)، وظهوره وقيامه. كما تشتمل - مضافاً إلى ذلك -

١. پژوهشی در تعلیم و تربیت اسلامی (= بحث في التعليم والتربية الإسلامية)، ج ١، ص ١٦.

٢. راجع: سورة الجمعة، الآية ٢؛ سورة البقرة، الآية ١٥١؛ و سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

على الفرضيات والمسائل الكلامية كمبدأ الإمامة والمهدوية، وتشخيص الإمام ومعرفته، وأدلة إثبات وجود إمام العصر (عج)، وإمكانية مقابله ووقوع ذلك، والانتظار، والدعاء لتقريب الفرج، واجبات المنتظرين، وغير ذلك من المسائل التي تمثل مواضيع البحث في هذا المقال.

وقد سعينا في هذا التحقيق إلى البحث في موضوعين من المواضيع المختلفة في تعاليم المهدوية، وهما مسألة معرفة إمام العصر (عج) ومسألة الانتظار. باعتبارهما من التعاليم المهمة والأساسية للمهدوية. وأثرهما على الجوانب المختلفة من عمليتي التربية والتعليم، ومن ثمّ نحاول من خلال خلاصة البحث ونتيجته تقديم نظرية موثقة ومعقولة.

لقد كانت التربية والتعليم - ومنذ أزمان طويلة - مورداً لبحث علماء الأخلاق، وقد تناولها بالبحث أمثال الشيخ نصير الدين الطوسي في كتابه اخلاق ناصري (= الأخلاق الناصرية)، والغزالي في كيمياء سعادته (= كيمياء السعادة)، كما تدل آثار هؤلاء العلماء على أهمية هذا الموضوع. وقد بحث علماء النفس والمتخصصون في التربية والتعليم أيضاً هذا الموضوع وناقشوا في العوامل المؤثرة في التربية. ويضاف إلى ذلك أن الأمم المتحضرة اليوم تعطي أهمية فائقة للتربية والتعليم وتضعهما في صدر برامجها للحياة الفردية والاجتماعية؛ وذلك لأنها أدركت أن رفاه الإنسان واستقراره ومهارته وتخصّصه - وسعادته وكمالته وحركته بالاتجاه الصحيح في النظرة المتعالية - كلّها تتوقف على كيفية التربية والتعليم. إنّ التربية هي من أصعب الأعمال في الحياة الإنسانية؛ لأن الإنسان يمتاز بصفات معقدة ومجهولة من الرغبات والإحساسات والحاجات والمتطلبات والميول، وأنه مع امتلاكه للقوى المعنوية والعقل والمنطق والفطرة يمكن التأثير عليه وتكوينه وتوجيهه تربوياً. كما أنه مع ذلك يمتلك قابليات واسعة وقدرات محيرة أيضاً. وكل ذلك يجعل من موضوع التربية واحداً من أعقد المسائل الإنسانية، ومن أوجبها أيضاً. وهذه الأهمية ليست منحصرة في البلاد الشرقية والإسلامية فقط، بل إنّ هذا الأمر لم يعد خافياً حتى على علماء الغرب.

يقول الفيلسوف كانط عن هذا الأمر:

إنّ التربية والتعليم من أهم وأعقد المسائل التي تجابه الإنسان... إنّ ابتكارين من

ابتكارات البشر يمكن أن نعتبرهما من أعقد المسائل التي تجابه الإنسان: نهى الحكومة للناس، و سرّ تعليمهم وتربيتهم...^١

ويمكن إدراك خطورة التربية والتعليم إذا تصوّرنا زماناً لا تتوفّر فيه للإنسان أي إمكانية للتأثير في الآخرين بالتربية والتعليم. ومن البديهي أن الحال في مثل هذه الظروف سيؤول بعد مدّة إلى أن يصير الإنسان كامل الشبه بالحيوانات، و يبتعد عن التربية والتعليم و ثمارهما المتمثلة بالفنون والآداب والمعنويّات والفضائل والتقاليد الاجتماعيّة والإنسانيّة.

هذا من ناحية، و من ناحية أخرى فإنّ الإنسان المحروم من التربية والتعليم سوف لن يعثر على شخصيّة الواقعيّة، و يبقى جاهلاً بحقيقته وهويّته المستقلّة.

من هنا، يمكن للتربية والتعليم أن تسموا بروح الإنسان الملكوتيّة إلى قّة الكمال وتكشفنا عن وجهه الواقعي. إذن، فالتربية والتعليم بمفهومهما الديني والإلهي هما اللذان يمكنهما أن يبعثا شخصيّة الإنسان وهويّته الواقعيّة الإنسانيّة، و يوصلانه إلى ذروة الكمالات المعنويّة، و هنا تكمن ضرورتهما.

٥. مكانة التربية والتعليم في الإسلام

مع ظهور الإسلام بلّغ الرسول الأكرم (ص) و سلّم آخر البرامج الهادفة إلى كمال البشر وسعادتهم. و في الوقت الذي كانت البشريّة فيه غارقة في ظلمات الجهل والهمجيّة، انبرى ليحثهم على تحصيل العلم والتحليّ بالفضائل الأخلاقيّة، و أوجب طلب العلم على كلّ مسلم.^٢

وقد شبّه الإسلام ذلك الشخص الذي لم يحظّ بحظّ من التربية والتعليم بالشخص التائه في الصحراء القاحلة، و الذي تكون عاقبته الهلاك والخسران.^٣

وقال الله تعالى في قرآنه الكريم: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

١. له تان خوي، آموزش و پرورش، فرهنگها و جوامع (= التعليم و التربية، الثقافات و المجتمعات)، ترجمة محمّد يميني

دوزي سرخايجي، ج ١، ص ١١، منشورات جامعة الشهيد بهشتي.

٢. راجع: محمّد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، باب فرض العلم، منشورات گل گشت.

٣. «وَنُرِذُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسَّهَوُتُ بِهِ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا». سورة الأنعام، الآية ٧١.

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»^١.

و طلب الإمام السجّاد (ع) من الله سبحانه أن يعينه على تأديب أبنائه وتربيتهم و الإحسان إليهم، فقال: «وَأَعِنِّي عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ وَبَرِّهِمْ»^٢.

فمن جهة يكون دور التربية والتعليم هو تعيين الأهداف، ومن جهة ثانية تكون أصول التربية الإسلامية ومبادئها وحيانيّة. وعلى هذا تكون الأهداف أهداف سامية أيضاً، وهي مشتقة من نفس هذه المعارف والمبادئ. وهذه الأهداف تتسم بالشموليّة والترابط، و يمكن البحث فيها من زوايا المحاور العقائديّة والأخلاقيّة والعلميّة والثقافيّة والاجتماعيّة. وهي بالتالي تتمحور حول المحور المشترك المتمثل في عبادة الله الواحد، أي في الهدف الأصلي لخلق الجنّ والإنس^٣.

وهكذا يمكن القول إنّ عبوديّة الإنسان تصير سبباً في أن تكون جميع أبعاد حياته الفرديّة والاجتماعيّة في إطار منسجم مع الفطرة. ويمكن القول بعبارة أخرى إنّ الهدف النهائي للتربية والتعليم في الإسلام هو الرقي في المراتب والدرجات القلبيّة في ظلال المعرفة الإلهيّة، وذلك كي ينال الإنسان لياقة القرب الإلهي.

ولما كان الهدف الأصلي في الإسلام هو القرب الإلهي، فإنّ تعاليم المهدويّة المستقاة من المعين القرآني والروائي، تستهدف نفس هذا الهدف، وتكون نسبتها إلى تعاليم الإسلام و قوانينه هي نسبة العامّ والخاصّ المطلق.

إنّ تعاليم المهدويّة. في الواقع، وكما سنشير إلى نموذج منها. هي جزء من تعاليم الإسلام و ممارساته التربويّة، وإثما يشتركان في الهدف المتمثل في القرب الإلهي.

و الوجه الآخر المشترك بين تعاليم المهدويّة وبين التربية والتعليم هو مصادرها المشتركة؛ لأنّ مصدر كلا الأمرين هو القرآن الكريم وسنة الرسول الأعظم (ص) وسلّم والعقل^٤، و موضوعهما هو الإنسان.

١. سورة الجمعة، الآية ٢.

٢. الصحيفة السجّاديّة، الدعاء ٢٥.

٣. «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ». سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٤. راجع: العلامة محمّد تقي الجعفري، تعليم وتربيت إسلامي (= التعليم والتربية الإسلامية)، ج ١، ص ١٣، منشورات پیام آزادي (= نداء الحرّيّة).

ويمكن الفرق الوحيد بينهما في تسمية الساعي إليهما، فطالب تعاليم المهدوية هو المنتظر، و طالب التربية والتعليم هو المترقي. ولا شك في إمكانية أن يتحد المنتظر والمترقي في العمل بالتعاليم الإسلامية وتعاليم المهدوية.

(ب) تأثير تعاليم المهدوية على عملية التربية والتعليم

تنحوتعاليم المهدوية في مسارها نفس منحى عملية التربية والتعليم، بل هي جزء منها، وهي تأخذ بيد الإنسان لتسيره في اتجاه الرفعة والتعالى والوصول إلى الكمال، حتى ينال القرب الإلهي.

و واسطة هذه التعاليم الإلهية هم القادة السماويون الذين صاروا بفضل تألقهم الفكري و الذهني والتربوي مظاهراً لأسماء الله وصفاته، ومشاعل هداية لعباده. وفي هذا المقال - وبسبب كثرة تعاليم المهدوية - نكتفي بالبحث في نموذجين فقط من هذه التعاليم، وهما معرفة إمام العصر (عج)، والانتظار، واللذان هما من أهم هذه التعاليم وأكثرها نفعا.

١- معرفة إمام العصر (عج)

قلنا سابقاً أن الهدف من خلق الناس والجن هو لغرض عبادتهم لله تعالى. والقرب الإلهي يحصل من خلال العبودية، وهذه العبودية لها الأفضلية بين أعمال الإنسان الاختيارية، وفي الآخرة تكون سبباً في استحقاق الإنسان للثواب أو للعقاب. إن الإنسان يدرك من خلال عقله أنه يجب أن يكون عبداً لخالقه والمُنعم عليه. وهذا العقل نفسه يقضي - بأن على الإنسان أن يتعلم سبيل العبودية وكيفيةها من الله نفسه، خصوصاً إذا علمنا أن الله لم يتركنا وحيدين حائرين بل أرسل الرسل كي يعلمونا الطريقة الصحيحة لعبادته.

إن النقطة الأهم في فلسفة النبوة والإمامة هي قيام الأنبياء والأئمة بتعليم الناس طريق عبودية الله بصورة صحيحة. ويمتاز الرسول الأكرم (ص) وسلم وأهل بيته على باقي رسل الله وأوليائه بميزة خاصة في هذا المجال.^١

١. راجع: بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٧٣ و ٣١٠؛ كمال الدين وتمام النعمة، ج ٤، الباب ٢٣.

وقد جاء في الروايات أنَّ كلَّ مَنْ نال شيئاً من الكرامات إنما نالها بسبب هذه الميزة الخاصة، أي ميزة معرفة فضيلة أهل البيت (عليهم السلام) والإقرار بها. وبهذا المعنى قال الإمام الصادق (ع): «ما نُتِيَ نبيٌّ قطَّ إلا بمعرفة حقنا، وبفضلنا على مَنْ سوانا»^١. ولما كانت أعلى المراتب الإلهية - وهي النبوة - تحصل بسبب المعرفة، فمن باب أولى أن تتوقف باقي المراتب عليها أيضاً.^٢

و من هنا نفهم ما ورد في الخبر التالي عن الحارث بن المغيرة، قال: قلت لأبي عبد الله (ع): قال رسول الله (ص) وسلم: «مَنْ مات [و] لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية». قال: «نعم». قلت: جاهلية جهلاء، أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال: «جاهلية كفر ونفاق و ضلال»^٣. وقال رسول الله (ص) وسلم أيضاً: «مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^٤.

وهذا النوع من المعرفة ليس شكلياً ولا مظهرياً، بل هي معرفة صحيحة وعميقة لجميع الأبعاد الوجودية للإمام والقائد السماوي، إنها معرفة بجميع شؤون الإمام بما فيها زعامته السياسية ومكانته القضائية، ومرجعياته الدينية، وولايته المعنوية والتكوينية و التشريعية. وهي معرفة يتبعها محبة الإمام وقبول ولايته، ولها آثارها الواسعة في التكامل الفردي والاجتماعي.

ويمكن تعيين وتشخيص مصاديق معرفة الإمام من خلال الرجوع إلى الأدلة النقلية في أحاديث رسول الله (ص)، وقد صرّحت حتّى بغيبي الإمام الثاني عشر. والذي يظهر من أدلتها القطعية أنَّ المراد من معرفة الإمام في عصر الغيبة هو معرفة إمام العصر (عج)، تلك المعرفة التي لها دورها المهم في تعليم الإنسان وتربيته.

٢- تأثير معرفة إمام العصر (عج) على التربية والتعليم

قلنا أنَّ التعليم يختصُّ بالبُعد الذهني والفكري للإنسان، وأنَّ التربية هي تفتح

١. بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٨١.

٢. راجع: المصدر نفسه، ج ٤٠، ص ٩٦؛ وج ٢٤، ص ٢٠١.

٣. أصول الكافي، ج ٢، باب مَنْ مات وليس له إمام، ح ٣.

٤. القندوزي الحنفي، ينباع المودة، الباب ٢٩، ص ١٣٧، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

القابليات الداخلية للإنسان، والعلاقة بينهما في مقام التعريف هي علاقة العام و الخاص المطلق.

و الواقع أنَّ التعليم يُعدّ جزءاً من التربية، ولكن هذه التعاريف إنما تكون مستقلة و منفصلة في مقام التحليل الذهني والعلمي، بينما هي في مجال الأخلاق الإسلامية كلّ لا يتجزأ، ولا معنى لها إلا حينما تكون معاً. والتعليم له قيمة و آثار إيجابية هي نفسها التي تخلفها التربية وراءها أيضاً.

وما نجده في المعارف الإسلامية أنَّ التعليم إذا لم يكن مرفقاً بالتربية يكون ضاراً وله آثار سلبية و غير تربوية. و بناءً على ذلك يكون أثر التعليم متوقفاً على اقترانه بالتربية، بينما تمتاز التربية بالفضيلة إذا استندت إلى العلم والمعرفة والبصيرة. و من هنا استعملت مفردتي التربية والتعليم بمعنى واحد في المعارف الإسلامية.

و هذا المقال هو تحقيق يسعى إلى التنظير من خلال بيان التأثير، و يبحث تأثير معرفة الإمام (ع) - التي هي إحدى تعاليم المهدوية - على التربية والتعليم، مرّة من زاوية النظرية و العلم، و أخرى في مقام العمل والتطبيق.

إنّ معرفة الإمام تؤثر على التربية والتعليم من عدّة مناهج، نكتفي نحن بالبحث عن ثلاث منها، أي: معرفة الله، صيانة الدين والخلافة الإلهية.

الأول: معرفة الله

طبقاً لما تقرّره الروايات والأحاديث فإنّ معرفة الله بالمعنى الصحيح للمعرفة، تحظى بأهمية خاصة؛ لأنّ كلّ الأشياء هي بمثابة المقدمة للوصول إلى هذه المرحلة. وهذه المعرفة إمّا أن تكون حضورية أو حصولية. والحضورية - أو الشهودية - هي تلك التي يصل لها الإنسان دون واسطة، وذلك بأن يجد الإنسان رضا الله في فطرته و يتعرّف عليه. كما أنّ صفات الله أيضاً يمكن معرفتها عن طريق الشهود أيضاً.

أمّا المعرفة الحسولية فلا يمكن الوصول إليها إلا بالواسطة. وهذه الواسطة إمّا أن تكون من خلال صفات الله كالعلم والقدرة والحكمة، أو من موارد أخرى كالنظام و الطبيعة، أو من خلال خلفائه الذين هم محلّ تجلّي الصفات الإلهية كالرسل والأئمة بما فيهم إمام العصر (عج).

وعلى هذا فإن معرفة إمام العصر (عج) في بعدها النظري تتضمن التعليم والمعرفة الصحيحة لله، الأمر الذي يعدّ من أركان ومبادئ النظرة الكونية للإنسان؛ لما يترتب على هذه المعرفة من الآثار التربوية العديدة.

وورد في دعاء طلب المعرفة الشهير: «اللهم عرّفني نفسك، فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك. اللهم عرّفني رسولك، فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك. اللهم عرّفني حجّتك، فإنك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني».^١

وهذا الدعاء يدلّ على معرفة الله الحضورية، مثلما يدلّ على معرفته الحسوليّة؛ لأنّ المرء إذا عرف الله بأسماء وصفاته كمال وجمال وجلال الحقّ باعتبارها الطريق الوحيد لمعرفة، فإنّه سيدرك بحكمته وجوب وجود وسائط كالأنبياء والأئمّة في صفوف عباد الله لهداية البشر وتوجيههم نحو صراط السعادة، وإلاّ فإنّه سوف لا يُعرف.

وبعبارة أخرى فإنّ طريق معرفة الله - بمقتضى ذاته وصفاته - يتوقّف على معرفة المصطّفين من خلقه.

أضف إلى ذلك، إنّ الإنسان إذا لم يعرف حجّة الله فإنّه سوف لن يتمكّن من حفظ دينه. والآن حيث الإمام المهدي (عج) هو حجّة الله وخليفته في أرضه، فإنّ الإنسان إذا لم يعرف هذا الإمام سوف لن يتمكّن من معرفة الله.

وعلى هذا، تكون معرفة الله معرفة حضورية عن طريق معرفة الإمام؛ لأنّ الأئمّة المعصومين يأخذون بأيدي الآخرين ويقودونهم على الطريق الصحيح حتّى يوصلونهم إلى الهدف المقصود.

يقول الإمام الباقر (ع) بهذا الصدد: «بنا عبيد الله، وبنا عُرف الله، وبنا وحّد الله تبارك وتعالى، ومحمّد حجاب الله تبارك وتعالى».^٢

كما ورد عن الإمام الصادق (ع) أيضاً: «الأوصياء هم أبواب الله عزّ وجلّ التي يسوّى منها، ولولاهم ما عُرف الله عزّ وجلّ، وبهم احتجّ الله تبارك وتعالى

١. أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب في الغيبة، ح ٥. وقد ورد هذا الدعاء عن الإمام الصادق عليه السلام ضمن إجابته على سؤال زرارة الذي كان قد سأله: جُعِلَ فداك، إن أدركت ذلك الزمان [أي زمان الغيبة] أي شيء أعمل؟

٢. أصول الكافي، كتاب التوحيد، باب النوادر، ح ٥. والحجاب في هذا الحديث بمعنى الوساطة.

على خلقه».^١

وعلى هذا، وكما ذكرنا، فإن معرفة الإمام هي من الأمور الواجبة، وهي جزء من تعاليم المهدوية، وواحدة من طرق معرفة الله. إن الإمام هو خليفة الله ومظهر أسمائه وصفاته، وهو قادر على أن يرسم الصورة الصحيحة لمعرفة الله أمام أنظار الآخرين كي لا يضلوا ويسلكوا الطريق الخاطئ إلى هذا الركن العقائدي. وعلى هذا تكون معرفة الإمام واحدة من ثمرات التعليم.

ويمكن القول من الناحية العلمية والتربوية أن مثل هذا النوع من المعرفة الصحيحة لإمام العصر (عج) تصير سبباً في نجاة الإنسان من الانحراف وسوء الظن في زمن غيبة الإمام، ويواصل مسيرته الولائية راسخ القدم في قبوله العملي للإمام، وتكون أعماله مستندة إلى الوعي النابع من العلم والمعرفة التي لديه.

يقول الإمام السجاد (ع) لأبي خالد الكابلي: «إنَّ للقاء مئتا غيبتين، إحداهما أطول من الأخرى... وأما الأخرى فيطول أمدها حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر من يقول به، فلا يثبت عليه إلا مَنْ قَوَّى يقينه، وصَحَّت معرفته، ولم يجد في نفسه حرجاً مما قضينا، وسَلَّمَ لنا أهل البيت».^٢

وهذا يعني أنَّ المعرفة الصحيحة بالإمام وحديثه - بعد اقترانها بالتعليم وإراءة الطريق الصحيح - تجعل الإنسان راسخ القدم وصامداً في ميدان العمل بحيث لا يمل ولا يتعب من تطبيق أحكام الإسلام النورانية، بل يضاعف من إصراره ومواصلته بفضل ما لديه من العلم والمعرفة.

الثاني: حفظ الدين

إنَّ الدين هو مجموعة القوانين والأوامر التي أنزلها الله على أنبيائه لهداية عباده، وجعل أوصياء هؤلاء الأنبياء حراساً وحماة لهذا الدين. وهكذا دين الإسلام الذي أنزله الله تعالى على رسوله الأكرم (ص) وسَلَّمَ

١. الكافي، ج ١، ص ١٩٣، باب أن الأئمة هم خلفاء الله في أرضه، ح ٢.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، الباب ٣١، ح ٨.

أيضاً، حيث تقع مهمة صيانة هذا الدين على أوصياء الرسول، وهم الأئمة الاثني عشر.

وهكذا فمعرفة الإمام (ع) هي في الحقيقة معرفة الحافظين الذين هم معلّمي الدين و مترجميه. بل يمكن القول إنّ الدين يساق معرفة حافظ الدين (الإمام) الذي تكون نتيجة عدم معرفته هي الضياع والانحراف. الأمر الذي يؤتده دعاء طلب المعرفة الذي علّمه الإمام الصادق (ع) لزارة، و طلب منه أن يقول: «اللهم... إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني»^١.

إنّ علّة هذا الضياع ليست مجرد أنّ عدم معرفة الإمام تكون سبباً في الجهل بالدين و عدم معرفة أحكامه، لأنّ من المسلّمات أنّ أحكام الدين وفروعه لا يمكن الوصول إلى معرفتها إلّا عن طريق أهل البيت (عليهم السلام)؛ ولكن الأهمّ من ذلك هي أصول الدين و الركائز العقائدية، و معرفة الإمام هي محور العقائد و خلاصتها جميعاً، لأنّ وجود الإمام يعني توفير كلّ العقائد الصحيحة في متناول الإنسان.

يقول عبدالله بن سنان إنّ الصادق (ع) قد تحدّث عن فترة غياب الإمام المهدي (عج) و قال: «ستصيبكم شبهة، فتبقون بلا علّم يُرى، ولا إمام هُدى؛ لا ينجو منها إلّا مَنْ دعا بدعاء الغريق»، و الدعاء هو أن تقول: «يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك»^٢.

و هنا يجب الالتفات إلى اسم هذا الدعاء (الغريق)، فالغريق هنا يعني ذلك الشخص الذي غرق في فتن و شبهات مآزق عصر الغيبة، و قد يئس من نجاته من حبائل هذه الفتن و أسرها، إلّا إذا جاء من ينجيه و يخلصه من هذه المآزق. و هذا الدعاء يشير إلى الشخص الذي يجب طلب مساعدته، و ما هي الموارد التي يطلب الإنسان فيها مساعدة المنقذ.

و في عصر الغيبة، و بسبب غياب إمام العصر (عج)، و بُعده الظاهري، و انعدام إمكانية زيارته أو مقابله، فإنّ الإنسان يجابه العديد من المشكلات التي تجعله حائراً و لا يبقى أمامه سوى طلب العون من الله. و قد قضت السنّة الإلهية أنّ مثل هذا النوع من المساعدة إنّما

١. أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب في الغيبة، ح ٥.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٤٩.

يأتي من مجراه الطبيعي، ألا وهو النبوة والإمامة التي هي مظهر التعاليم الإلهية. مضافاً إلى أن الواجب في هذا العصر هو اللجوء إلى القوانين الدينية لنيل الاطمئنان القلبي من خلال العمل بهذه القوانين، وهنا أيضاً نجد أن المفسر والمبين لهذه القوانين الدينية هم الأئمة الهداة إلى الدين وأدلتهم.

ووفقاً لبعض الروايات فإن حفظ الدين في عصر الغيبة هو من الأمور الصعبة جداً، إلا أن ذلك ممكن أن يحصل للبعض من خلال الاستعانة بهداية الإمام التي هي من فروع معرفته، ولا شك أن هناك من هذا هو حاله.^١

وَنُقِلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَسَلَّم أَنَّهُ دَعَا فِي حَضُورِ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَقِني إِخْوَاني»، فقال له أصحابه: ألسنا نحن إخوانك؟ فأجابهم: «لا، إنكم أصحابي، وإخواني قومٌ في آخر الزمان، آمنوا ولم يَرُونِي. لقد عَرَفْنِيهم اللهُ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَأَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ، لأُحْدِثُ بَقِيَّةً عَلَى دِينِهِ مِنْ خُرْطِ الْقِتَادِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ، أَوْ كَالْقَابِضِ عَلَى جَمْرِ الْغُضَا،^٢ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى، يُنَجِّيهِمُ اللهُ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ غِبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ».^٣

إن حفظ دين المرء وتدينه بهذا الشكل الذي لا يخلو من تحمّل المشاق والصعوبات القاسية، والذي ينال به الأجر الأخروي، لا يمكن حصوله دون معرفة إمام العصر (عج) والإقرار العملي بولاية الإمام.

وعلى هذا، فإن معرفة هذه المسألة بالنسبة للمسلمين - وخصوصاً المنتظرين الحقيقيين لظهور ذلك الإمام - هي التي تقودهم إلى السعادة وترسم لهم البرنامج الذي يوصلهم إليها. إذن، فلا شك في أن وجود مثل هذا المشعل يتيح للإنسان - من خلال إرادته واختياره وإدراكه للواجب - أن يستفيد من هذه التعاليم ويعمل بها في مسيرة تنمية قابليّاته

١. ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يا علي، واعلم أن أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً، قومٌ يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبيّ وحجّبتهم الحجة، فأمنوا بسواد على بياض». كمال الدين وتمام النعمة، الباب ٢٥، ح ٨.

٢. الغضا: شجرة يدوم احتراق خشبها مدة طويلة، ويحتفظ بالحرارة في داخله، ولذلك يكون فحمها من النوعية الجيدة.

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٢٤.

الداخلية. و يقال إنّ مَنْ تزداد معرفته و علمه، فإنّ هذا العلم سيدفعه - غالباً - إلى العمل و ترسيخ و انتعاش ما يمتاز به من القابليات.

و هكذا تكون معرفة إمام العصر (عج) في عصر الغيبة سبباً في إدراك حقيقة عدم إمكانية حفظ الدين إلّا من خلال معرفة الإمام. و هكذا في مقام التربية فإنّها تصنع منه إنساناً متديناً ثابت الجنان؛ لأنّ التدين لا يعدو كونه الوصول إلى معرفة أهل البيت (عليهم السلام) و الإقرار بولايته.

و من هنا قال الإمام الباقر (ع) عن معنى الدين و الإسلام في قوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»^١ أنّه هو: «التسليم لعلّي بن أبي طالب (ع) بالولاية»^٢. و لا يخفى أنّ نتيجة هذا التسليم هي التسليم لله تعالى؛ لأنّ التدين يُطلق على روح التسليم و عبادة الله، أمّا الأعمال الخارجية فهي آثار و نتائج لهذا التسليم، كما أنّ قيمة الأعمال تتوقف على وجوب اشتغالها على هذه الروح و الحقيقة.

الثالث: الخلافة الإلهية

يكتشف الإنسان في سيره و سلوكه نحو معرفة إمام العصر (عج) أنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام هم خلفاء الله و أمناؤه على أرضه، و أنّهم على صلة به، بحيث أنّ الآخرين لا ينالهم سخط الله أو يحظون برضاه، و لا يمكنهم سلوك سبيل العبادة للوصول إلى القرب الإلهي إلّا عن طريق خلفائه الحقيقيين، الأمر الذي يعبر عن إرادة الله تعالى الذي قال: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»^٣.

و الخليفة هو الشخص الذي يتولّى معالجة كافة الأمور عند غياب الآخر الذي استخلفه. إذن، فالإمام الذي هو خليفة الله و المبتنّ لحدوده و أحكامه، و الذي يجب الرجوع إليه لفهم كلام الله، لا يمكن تجاهله و السير في مسير السعادة بدونه. و من هنا وجب التسليم له، و هذا التسليم يجب أن لا يكون متّسماً بالطريقة فقط، بل إنّ التسليم و استلام الأوامر الإلهية عن طريقه له سمة الموضوعية أيضاً.

١. سورة آل عمران، الآية ١٩.

٢. السيّد هاشم البحراني، تفسير البرهان، ج ١، ص ٢٧٤.

٣. سورة البقرة، الآية ٣٠.

و الواقع أنّ الله عندما يبيّن أسماءه و صفاته إنّما يكون بذلك قد دعا الناس إلى التوجّه نحوه،^١ و هو يعتبر الإنسان مسافراً سوف يلاقي ربه في النهاية.^٢

إنّ الحركة نحو الأسماء و الصفات، هي الحركة نحو العلم و الحكمة و القسط و...؛ و هي في حقيقتها حركة نحو الله، و كلّ من كان أكثر سعيّاً في هذا السير الملوكوتي فهو الأكثر حظوةً بالقرب الإلهي.^٣

و قد تحرّك الأنبياء و أولياء الله من خلال طاعتهم لله نحو الحياة الحقيقية و الاتصاف بتلك الصفات، فاتصفوا بصفات كالقدرة و العلم و العدل. كما أنّهم قد تحمّلوا مسؤوليّة هداية الآخرين أيضاً من خلال تعليم أسماء الله و العمل بها. و بعبارة أخرى إنّهم كما كانوا خلفاء كانوا مربّو خلفاء أيضاً.^٤

و من هنا، فإنّ إحدى مراحل معرفة الإمام هي معرفة مقامه في خلافة الله. و هذا الأمر له أبعاده التعليميّة، فالاستفادة من كلام الأئمّة و التسليم لهم - أي الإقرار العملي بالولاية - و العمل بتعاليم أولياء الله، سوف يكون عملاً بالقوانين و الأوامر الإلهيّة، كما أنّ التربي في مدرسة هؤلاء الأئمّة يمتاز بأنّ المتربّي فيها يصير خليفةً لله.

و رغم البون الشاسع بين المعصومين عليهم السلام و الناس العاديين، و انعدام إمكانية المقارنة و المقايسة بينهما، إلّا أنّ التحلّي بالصفات الإلهيّة هو أمر متاح لجميع البشر، و كلّ إنسان يستطيع أن ينال منها بمقدار قابليّاته الروحيّة و المعنويّة.

إذن، ففي هذا المسير تصير معرفة إمام العصر (عج) - الذي هو وليّ الله و حجّته - سبباً كي يتعرّف الإنسان من الناحية التعليميّة على مقام الخلافة الإلهيّة و يدرك أنّ هذه الخلافة إنّما يحصل عليها عن طريق تعلّم أسماء الله و صفاته و العمل بها، الأمر الذي هو متاح لكلّ أحد. هنا و من خلال عمل الإنسان بالأحكام الواقعيّة و أداء تكاليفه العباديّة يربّي نفسه،

١. «و علّم آدم الأسماء كلّها». سورة البقرة، الآية ٣١.

٢. «يا أيّها الإنسان إنّك كادِ جالٍ ربّك كذاً فُلاقيه». سورة الانشقاق، الآية ٦.

٣. عبد الله الجواديّ الأملي، تفسير موضوعي قرآن كريم (= التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، ج ١٤، ص ٢٨٠، منشورات الإسرائ.

٤. إنّ الإمام علي عليه السلام قد نال الخلافة الإلهيّة بتقوى الله، و من ثم صار خليفةً مربّباً لخليفة. المصدر نفسه، ص ٢٩٠.

حتى يصير إنساناً إلهياً نورانياً و خليفةً لله على أرضه.

و على هذا يمكن القول إن معرفة الإمام ما هي إلا القبول بمناصبه و مقاماته الإلهية، و التي أحدها هو منصب خليفة الله الذي له أثره الكبير في تعليم و تربية الآخرين.

و تحفل الآيات و الروايات بالشواهد الكثيرة على هذا المنصب،^١ نكتفي بالإشارة إلى نموذج واحد منها.

قال الإمام الرضا (ع): «الإمام أمين الله في خلقه، و حجته على عباده، و خليفته في بلاده، و الداعي إلى الله، و الذاب عن حرم الله، الإمام المطهر من الذنوب، و المبرأ من العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين و عز المسلمين و غيظ المنافقين و بوار الكافرين».^٢

و قد ظهر من هذا الحديث بوضوح مقام الخلافة الإلهية و حجّية الله على عباده، مع التنبيه على بعض مميّزات الإمام من قبيل العلم و الحلم و البراءة من العيوب و المساوئ و غيرها. مضافاً إلى ذلك ما يفرضه علينا من مضاعفة المسؤولية من ناحيتي العلم و العمل؛ لأنّ كلّ من يسلك طريق الخلافة، سواء أدرك المقصد و صار كاملاً، أم لا يزال يبحث الخطى و متكاملاً، فعليه أن يتابع حركته حتى يدرك الصفات الإلهية من خلال الجهاد المستمر و تهذيب النفس المتواصل.^٣

ج) تأثير انتظار ظهور إمام العصر (عج) على التربية و التعليم

الانتظار هو العنصر الآخر من تعاليم المهدوية، بل من أهمّها، وله أثره الكبير في ميدان التربية و التعليم. و قد اعتبرت الروايات الانتظار بمعناه الخاص - أي انتظار فرج إمام العصر (عج) - من أفضل العبادات، حيث قال الرسول الأكرم (ص) و سلّم: «أفضل العبادة

١. راجع: أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة خلفاء الله عز و جل؛ سورة المائدة، الآيتان ٥٥ و ٥٦؛ سورة الأحزاب، الآية ٦؛ سورة الحشر، الآية ٧؛ وغيرها.

٢. أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب نادر جامع في فضل الإمام و صفاته، ح ١.

٣. تفسير موضوعي قرآن كريم (= التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، ج ١٤، ص ٢٨٧.

٤. نظراً لأهمية الانتظار هنا و تأثيره على عملية التعليم و التربية، سيتمّ البحث عنه بشكل مستقل و تحت عنوان أحد التعاليم المهمة للمهدوية. هذا مع أن التأمل البسيط يقودنا إلى أن الانتظار فرجٌ لمعرفة الإمام، الأمر الذي أشرنا إليه في القسم السابق.

انتظار الفرج»^١.

يضاف إلى ذلك، إن الانتظار له فضيلته الخاصة، بحيث وصف المنتظرون لظهور الإمام الغائب (الإمام المهدي (عج)) بأنهم أفضل أهل كل زمان، كما جاء في الرواية المنقولة عن الإمام السجاد (ع) أنه قال لأبي خالد الكابلي: «يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان»^٢.

ويكفي في بيان مدى أهميّة وفصيلة انتظار الظهور أن الشخص الذي يموت وهو على هذه الحالة، فهو كمن كان مع ذلك الإمام في خيمة واحدة، أو كمن جاهد بسيفه معه، بل كان كمن استشهد وهو يقاتل في ركاب رسول الله (ص)^٣.

والحقيقة أن هؤلاء الأشخاص لا يكتفون بالاعتقاد بالإمام الغائب، بل ينتظرون ظهوره أيضاً، فيكون اعتقادهم بمثابة الأساس الذي يرسم الانتظار برنامج حركته وكيّفتها، فيتجلّى بهما أكمل مظاهر العبوديّة لله. وهكذا تكون جميع فضائل ودرجات أمثال هؤلاء الأشخاص نابعة من خصلة الانتظار هذه، ويكون الانتظار سبباً في تكامل الأشخاص وكمالهم.

وهذه المفردة لها أبعادها الواسعة ومعانيها الحساسة والعميقة والدقيقة إلى أقصى الحدود، بحيث أن كل معنى من هذه المعاني يعبر عن جانب واحد فقط من مفهوم الانتظار. وما يمكن قوله بصورة عامة هو أن حقيقة الانتظار في الثقافة المهدويّة تعني الحاجة والاضطرار إلى إنسان كامل وإمام معصوم موعود يتولّى - بإذن الله واعتماداً على وحيه - إقامة حكومة العدل العالميّة، ويأخذ بيد أهل العالم ليوصلهم إلى غايتهم النهائيّة المنشودة. وعلى هذا، فالانتظار الذي نبحث عنه هو بالذات انتظار الفرج، وانتظار قدرة الإسلام، وظهور إمام الزمان (عج) وحكومته العالميّة^٤.

١. لطف الله الصافي الكلبايگاني، منتخب الأثر، الفصل ١٠، الباب ٣، ح ١٦.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، الباب ٣١، ح ٢؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٥٠، منشورات الأعلمي، بيروت.

٣. قال الإمام الصادق عليه السلام: «من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر، كمن هو مع القائم في قسطنطينة... لا بل كمن قارع معه بسيفه... لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٢٦، ح ١٧.

٤. قال الإمام الخميني عن الانتظار: إن انتظار الفرج هو انتظار سلطة الإسلام. صحيفه نور (= صحيفة النور)، ج ٢٠، ص ١٣٠.

و هذا الانتظار يحقق أمرين مهمين طالما سعى أنبياء الله أيضاً لتحقيقهما، وهما: إقامة العلاقة الصحيحة بين العبد وخالقه،^١ وإقامة الروابط الحسنة بين أفراد المجتمع.^٢ وعلى هذا الأساس يمكن من خلال التأمل في مفهوم روايات الانتظار أن نستخلص حقيقة أن (انتظار المهدي الموعود) (عج) هو بالدرجة الأولى انتظاراً لاستقرار العدالة).^٣ وعلى أي حال فإن الانتظار الصحيح والإيجابي والبناء يمكن أن يفتح آفاقاً جديدة من التربية والتعليم أمام الإنسان، ويرتبه في إطار هذه الآفاق حتى يصل به إلى مبتغاه المتمثل بالسعادة.

والانتظار له آثاره المهمة في أبعاد الحياة الفردية والاجتماعية كافة، فهو الباعث لارتقاء و إصلاح ومقاومة وتقدم و يقظة و بقاء المجتمع و حيويته ونهضته. وهو في الواقع البذرة الأصلية لنهضة الإمام المهدي (عج) العالمية. و آثار الانتظار في هذا المجال أكثر من أن تُحصى، لكننا نكتفي هنا بالبحث في بعض منها، مشيرين إلى علاقتها بالتربية والتعليم.

١. بث روح التفاؤل

الانتظار هو حالة تحمل في طياتها دلالات على رفض الوضع الموجود و تطلّعاً نحو وضع آخر. و يقوي الانتظار ثقة الإنسان بنفسه و تفاؤله بالمستقبل، و روح الانتظار هي التي تعلم الإنسان أن يكافح في سبيل الخير و الصلاح و أن لا يخشى من أي شيء. و يمكن القول إن ماهية حياة الإنسان ممتزجة بالانتظار و الأمل في المستقبل، بحيث إن الحياة إذا خلت من الانتظار و الأمل فلا يبقى لها أي مفهوم، و تفقد الحافز و الدافع اللازم لاستمرارها، فالحركة و السعي نحو الغد لا يمكن أن يحصل دون توقّر الأمل و التفاؤل. و الانتظار هو الذي يبعث روح الأمل في الإنسان و يبعده عن التشاؤم و اليأس.

ص ١٩٦، منشورات مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني رحمه الله.

١. «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً * وَ دَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجاً مُنِيراً». سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ و ٤٦.

٢. «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أُنْزِلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ». سورة الحديد، الآية ٢٥.

٣. السيد علي الخامنئي، نص كلمة سماحته بتاريخ ٨ / ٥ / ١٣٨٥ شمسي، راجع: موقع الإنترنت لمكتب توثيق و نشر آثار سماحة آية الله الخامنئي، <http://www.Khamenei.ir>.

و من ثمار الانتظار في البعد التعليمي هو توجيه الناس نحو المستقبل المشرق، و بثّ الآمال في تطبيق العدالة و تأسيس الحكومة الإسلامية العالمية، و ظهور الشخصية الإلهية. أما في البعد التربوي فتتمثل ثماره في الاستعداد و التهيؤ التام في كافة المجالات الفردية و الاجتماعية، و المبادرة و السعي في بناء الحياة الواقعية و الممهدة للآخرة، و العمل بتعاليم الإسلام و كسب رضا الإمام الذي هو في حقيقته كسب للرضا الإلهي. و في الزيارة الخاصة للإمام المهدي (عج) نقراً في كلّ صباح و مساء: «ونصري لكم مُعَدَّة».

إنّ الانتظار هو فرع الوعي و المعرفة و العلم بوجود الإمام الغائب و الوعد الإلهي. و هذه الأمور تبث الحياة في روح الأمل و تترك آثارها الإيجابية في تربية أفراد المجتمع و تعليمهم. إنّ الشخص المتفائل يكون من الزاوية التعليمية ذو بصيرة توحيدية، فيرى كلّ أمور العالم خاضعة للأوامر الإلهية، و يعي تماماً وعد الله له في الظروف الصعبة و التراجعية، و تغمره الثقة التامة في أنّ حكومة الأرض هي لوارثيها الحقيقيين،^١ و هو واثق و متيقن من انتساب النصر له.^٢

و مثل هذا الشخص يكون واعياً لسنن الله في المجتمع و كيفية مساهمته و نشاطه في هذا المجال، و هو يعلم أنّ الناس إذا لم يكونوا راغبين في تغيير الوضع الموجود و لا يحدوهم الأمل في النصر، فإنّ الله سوف لا يغيّر حالهم.^٣

كما أنّه يعلم أنّ عليه أن يبذل ما بوسعه للتهيؤ و الاستعداد في كلّ المجالات،^٤ و أن يجتث روح اليأس التي يسعى الشياطين و أعداء إمام العصر (عج) و الاستكبار العالمي إلى زرعها في أوساط الناس.

إنّ الانتظار التفاؤلي في البعد التربوي أيضاً يؤدي إلى المقاومة و تحمّل الصعوبات و المشاكل و الاندفاع في مسيرة العدالة و النضال من أجلها، و يؤول في النهاية إلى حفظ

١. «و نريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمةً و نجعلهم الوارثين * و نمنّ لهم في الأرض». سورة القصص، الآيتان ٥ و ٦.

٢. «كُتِبَ اللَّهُ لأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي». سورة المجادلة، الآية ٢١.

٣. «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ». سورة الرعد، الآية ١١.

٤. «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ». سورة الأنفال، الآية ٦٠.

الكرامة الإنسانية؛ لأنَّ الأمل النابع من الانتظار يجعل الإنسان أكثر مقاومةً وثباتاً في مسيرته التربوية.

٢. البناء الذاتي الفردي

الانتظار هو مفردة تنتمي إلى نوع التضاييف، كالأبوة التي بمجرد استعمالها يتبادر إلى الذهن معنى البنوة إلى جانبها.

وهكذا الحال مع كلمة الانتظار، إذ بمجرد النطق بها يتقدم المنتظر والمنتظر ليذكرا بوجودهما. وهذا يعني وجود رابطة تربط بين هذه المفردات الثلاث، لا يخلو التأمل في طبيعتها من النتائج الإيجابية للإنسان.

وقد أشرنا سابقاً إلى أنَّ الانتظار هو حالة مركبة من عنصري النفي والإثبات. وعنصر النفي فيه هو القضاء على الفساد والانحطاط والخلل والظلم، بينما يتمثل عنصر الإثبات في تعويض كل ما سبق ذكره بعوامل الإصلاح والبناء والقيم والأخلاق الإسلامية.

وعلى هذا، فالشخص الذي ينتظر أفضل الناس والمعصوم وحجة الله، يجب عليه بعد هذا أن يتعلم مبدأ البناء والتهذيب الذاتي وأن يؤدي دوره في مرحلة العمل أيضاً فيخضع للتعاليم والأوامر الإلهية ويسلم لها.

وبعبارة أخرى، إن معرفة حقيقة أنَّ الإمام المهدي (عج) سوف يظهر في يوم ما وقيم حكومة العدل العالمية، وأنَّ هناك أفراداً لاثنين سوف يعينونه على إنجاز هذه المهمة؛ كل ذلك سوف يحفز المنتظرين ويزيد في إصرارهم على أن يرتبوا أنفسهم على طريقة إمامهم وقائدهم ويسعوا في تنمية قابلياتهم الداخلية وقواهم الروحية.

والحقيقة أنَّ هؤلاء المنتظرين في نفس الوقت الذي يقومون فيه بتهيئة الظروف الملائمة في أنفسهم، إنما يقومون بتهيئة الأرضية المناسبة لذلك الإمام أيضاً؛ لأنَّ البناء الذاتي إنما يراد به أداء التكاليف الفردية والاجتماعية.

إنَّ الانتظار يفرض على الإنسان المنتظر أن يهذب نفسه، ويراقب أعماله وتصرفاته و أقواله، ويقوي صلته بالإمام يوماً بعد يوم، ويهيئ نفسه للظهور، وكل ذلك من خلال رعاية أحكام الله واجتناب المعاصي.

أضف إلى ذلك، إن معرفة أن زمان ظهور الإمام هو زمانٌ مجهول لنا، بحيث تنعدم معه فرصة القيام بالبناء الذاتي؛ يفرض على الإنسان المنتظر أن يبذل غاية جهده في العمل بتعاليم الانتظار. وقد جاء عن إمام العصر (عج) أنه قال: «... فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة، حين لا تنفعه توبة، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة، و...»^١.

ومما ذكرنا نخلص إلى أن نفس الانتظار له آثاره الكبيرة على التربية والتعليم و البناء الذاتي.

٣- بناء الآخر

من الآثار التربوية الأخرى للانتظار هو بناء الآخر، وهو يمثل في الواقع البعد التربوي للانتظار في المجتمع.

إن وجود الانتظار و آثاره التربوية على مستوى المجتمع و كل فرد من أفراد، يؤدي إلى تهيئة استعداد الناس لظهور الإمام و نهضته؛ لأن شرط الظهور هو استعداد الناس من كل الجهات، و تربية عموم الناس و تعليمهم يعدّ واحداً من هذه الجهات.

و بتعبير آخر نقول إن تعليم الناس و تربيتهم هو جعلهم أناساً صالحين. وقد وعد الله تعالى في كتابه الكريم «أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»^٢.

و وجود حالة الانتظار في أفراد المجتمع تؤدي إلى أن يسعى هؤلاء - إلى جانب إصلاح الآخرين و نشر الأخلاق و الفضائل - إلى تهيئة المجتمع المثالي و المهدوي؛ لأنهم إنما ينتظرون شخصاً تمتاز حكومته و عدالته بالشمول و العمومية.

و هذا هو السبب في ازدياد تألق و انتشار تعاليم الإسلام التربوية كالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الابتعاد عن الذنوب و المفاصد و الوقوف بوجه انتشارهما، و العزة و الشموخ، و التواضع أمام المؤمنين، و انتشار ثقافة الموعظة و النصيحة، و ترسيخ القيم الأخلاقية و الفضائل الإنسانية، و غيرها من الصفات الحميدة التي تساهم في تشييد أسس

١. الاحتجاج، ج ٢، باب ذكر طرفي مما خرج أيضاً عن.... ص ٤٩٥.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

المجتمع المهدوي.

وكل فرد من أفراد هذا المجتمع سيكون كالمشعل الذي يهدي الآخرين. وقد ذكر الإمام علي (ع) أوصاف هؤلاء الأشخاص فقال: «أولئك مصابيح الهدى وأعلام السرى، ليسوا بالمساييح^١ ولا المذاييع^٢ البذر^٣ أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته، ويكشف عنهم ضراء نقمته»^٤.

ويضاف إلى ما لتعاليم المهدوية من تأثير على تربية الناس وتعليمهم، أن لها دوراً مهماً في تنمية قابليّاتهم وتفتح قواهم الداخليّة، وهي التي تضمن السعادة البشريّة أيضاً. وفي هذا السياق، يستفاد من الأساليب التربويّة المختلفة لزيادة هذا التأثير، ومن هذه الأساليب التأكيد على النموّ العقلي في مرحلة التفكير، والتعقل، والتوعية والتبصير، والمنهج النموذجي أو النموذج العملي، وأسلوب الوعظ والنصيحة. وعلى هذا الأساس، فإنّ مسألتي معرفة إمام العصر (عج) وانتظار ظهوره لهما آثارهما الواسعة في إطار الأساليب التربويّة المذكورة.

ولكننا نعتقد أنّ على المختصّين التربويّين أن يختاروا الأساليب من خلال تعاليم الإسلام النورانيّة، لا أن يعتبروا هذه الأساليب قوالب تفرض علينا أن ننظّم الروايات والتعاليم وفقاً لمقاساتها.

وعلى أيّ حال، فإنّ تعاليم المهدويّة لا تساهم في تسريع عمليّة بناء الإنسان ومراحل وصوله إلى الكمال والسعادة الدنيويّة والأخرويّة فقط، بل هي الضامن لكلّ ذلك. أمّا ما سوى هذا الطريق فلا يوصل إلّا إلى الضياع والمناهاة.

١. المساييح: جمع مسياح، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم.

٢. المذاييع: جمع مذيايع، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوّه بها.

٣. البذر: جمع بذور، وهو النمام.

٤. نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ص ١٤٩، الخطبة ١٠٣.

طريق الرشاد الي علامات الظهور

عائده طالب^١

المقدمة

أحمده وهو للحمد أهل علي ما أنعم علينا من معرفته، والتمسك بعروة ولايته، وانتخاب إمامة حجته، الحبل المتصل بين الأرض والسماء، الإمام المهدي المنتظر (عج). أصل الخليقة، وخلافة الإنسان في الأرض إنما هو للحصول على الرفاهية والسعادة في الدنيا، وإقامة العدل بين بني البشر ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ [المؤمنون: ٥١] للوصول إلى الكمال والجلال في الآخرة. وقد أعطى الله تعالى الانسان صفات، يستطيع العروج بها من دركات الشقاء النسبي إلى الملكوت الأعلى.

وفي مقابل ذلك "كان الإنسان عجولاً، ظلوماً، جهولاً، ضعيفاً، كفوراً... فأخلد إلى الأرض واتبع هواه. فعثا في الأرض فساداً. ويريد الله أن يحق الحق بكلماته، فلذا لا بُدَّ من أن يحقق هدفه الأصلي، وغايته في الخلق في الدنيا، لينعم الخلق، ويأخذ المظلوم حقه من الظالم في الدنيا قبل الآخرة. فقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ - ٦].

١. استاذة لحوزة في منطقة حمص.

في هذا البحث المهدوية ومستقبل العالم سنلقي الضوء على أهم مفاصل الحياة، ما قبل ظهور الإمام المهدي، وما بعده.

وقد قسّمت البحث إلى أبواب وفصول. العنوان جعلته باباً.

الباب الأول: المهدوية ومستقبل العالم، وفيه ثلاثة فصول: الفصل الأول ولاية الجور، الفصل الثاني: علماء الدين، الفصل الثالث: العوام.

الباب الثاني: حوادث عصر الظهور، وفيه فصلان، الفصل الأول: العلامات الحتمية، والفصل الثاني: العلامات غير الحتمية.

الباب الثالث: تشكيل دولة الإمام المهدي (ع)، وفيه فصلان، الفصل الأول: الأصحاب وعلاماتهم، والفصل الثاني: الأنصار وأدوارهم.

الباب الرابع: العالم في عصر قيادة الإمام المهدي (عج)، وفيه فصلان، الفصل الأول: العالم والدين الإسلامي، العدالة، الأمان، التنعم، العمران، توسعة العلوم، الفصل الثاني: الأديان الأخرى في عصر الإمام المهدي (عج).

الباب الأول: المهدوية ومستقبل العالم

الفصل الأول: ولاية الجور

لقد ابتلي العالم ومنذ نشأته بذنوب ثلاث: الكبر والحسد والحرص. وتشعبت منها سائر المعاصي، وتمثلت كلها في ولاية الجور، فخاطبوا على أنفسهم خيوط العنكبوت، ولكنها كانت أوهن البيوت، فتآكلت وتهدمت كما هي سنة الله تعالى للظالم.

وقد صوّر أهل البيت (ع) لوحة واضحة مشرقة، تبين حال ولاية الجور في حق أنفسهم ومع رعيّتهم، بحيث لا يخفى أمرهم ليتوقى المؤمن الحذر، ويرعوي الضال عن ضلالته.

ومن هنا فقد قسم الامام الصادق (ع) اللوحة الى قسمين حال ولاية الجور في حق أنفسهم وفي حق رعيّتهم.

القسم الأول: في حق أنفسهم

ففي رواية صحيحة رواها محمد بن يعقوب الكليني في روضة الكافي سأل بها حمزان بن

أعين الإمام الصادق عليه السلام، فقال: إلى متى هؤلاء يملكون؟ أو متى الراحة منهم؟

فقال عليه السلام: أليس تعلم أن لكل شيء مدة؟ قال: بلى.

فقال عليه السلام: هل ينفعك علمك أن هذا الأمر إذا جاء كان أسرع من طرفة العين؟

"إِنَّكَ لَوْ تَعْلَمُ حَالَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَيْفَ هِيَ كُنْتَ لَهُمْ أَشَدَّ بُغْضًا وَلَوْ جَهَدْتَ وَجَهَدَ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنْ يُدْخِلُوهُمْ فِي أَشَدِّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ لَمْ يَقْدِرُوا فَلَا يَسْتَفِزُّكَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ"^١

فقد قسم الإمام عليه السلام فيها حال: الولاة والرعية.

القسم الثاني: الرعية، فقسمها ثلاثة أقسام:

الأول: المؤمنون

فقال عليه السلام: "أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنْ انْتَهَرَ أَمْرًا وَصَبَرَ عَلَى مَا يَرَى مِنَ الْأَذَى وَالْخَوْفِ هُوَ غَدَاً فِي زُمْرَتِنَا ... وَرَأَيْتَ السُّلْطَانَ يُذِلُّ لِلْكَافِرِ الْمُؤْمِنَ"^٢، فالكافر مكترم ويذل المؤمن لأجله، وهذا يعكس مدى توغلهم في الظلم "حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله". فوعدهم الإمام عليه السلام بأنكم معنا، "أليس الصبح بقريب" وهذا يعطي طاقة قوية على الصبر؛ لأنهم آمنوا حسن العاقبة.

الثاني: الرعية الكفار والفسقة

ورأيت الولاة يقربون أهل الكفر، ويباعدون أهل الخير، ورأيت الولاة يرتشون في الحكم، ورأيت الولاية قبالة لمن زاد، وهذا يعكس مدى ازدرائهم بالدين، وقوتهم بأهل الكفر يبتغون عندهم العزة، إذ يروا أن الدين هو الدافع الأصلي لزعة صروحهم، وكسر عنفوانهم، وأن اللوذ والاستعانة بالكافرين هو السبيل لبقاء عروشهم واستيلائهم على رقاب الرعية.

ثم يؤكد الإمام عليه السلام أنهم لا ينظرون إلى من له بصيرة في الدين أو عقل، ومن له أهلية التنصيب والولاية، بل مصالحهم تعلو على الهمج والرعاع في نظرهم، فلذا يأخذون الرشوة والسحت والمال الحرام؛ لكي ينصبوا من بعدهم ولي الأمر ويجعلوه حاكماً، أو لمن يجعلونه في

١. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٥٦

٢. المصدر السابق، ص ٢٥٨

وزارتهم ومن حاشيتهم، فالمحور الأساس عندهم هو المال وزخارف الدنيا، بل الولاية قبالة لمن زاد، فمن يعطيهم الأموال أكثر ويرتشي منه أكثر فهو قبلتهم وهو قباهم وهو الواجهة وله الصدارة، وإن كان عميلاً مبالغاً.

الثالث: الرعية النواصب

"وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ الْوَلَاةِ مَنْ يَمْتَدِّحُ بِشُئْمِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ"،^١ فالبيت الملكي المتوج، أو الرؤساء المترسبين، أخشى ما يخشونه آخر الزمان، ليس من المسلمين فحسب، بل من يرفع راية أهل البيت، وهو "البيت الشيعي"، فهذا الذي ينكأ جراحهم، ويسهر ليلهم، وكل العيون ساهرة خوفاً من هذه الثلة القليلة، فلذا يتقرب الناس الأتمة إلى ولايتهم بشتى أهل البيت فيطمئنوا إليهم؛ لأنهم يعرفون بأن الحرارة الحسينية التي أججت الثورات في العالم لم تزل تغلي في عروق أتباع الحسين، فهم يريدون إطفاء ذاك النور.

ومن هنا تغدق الأموال على النواصب ليصبوا جام غضبهم وشعرهم وأضاليلهم وحياسة مؤامراتهم على تلك الفئة القليلة.

ثم يوعز إلى القضاة بأن يفتكوا بشهادة من نهج منهج تلك العصابة المؤمنة، بل يهمل في الإدارات المحلية والمركزية.

فيقول الإمام الصادق (عليه السلام): "وَرَأَيْتُ مَنْ يُحِبُّنَا يُزَوِّرُ وَلَا يُقْبَلُ شَهَادَتُهُ".^٢

تعطيل الحدود

"وَرَأَيْتُ الْخُدُودَ قَدْ عُظِّلَتْ وَعُمِلَ فِيهَا بِالْأَهْوَاءِ".^٣

ينبؤ الإمام الصادق (عليه السلام) على تهقر الدين ورجوع الناس إلى الجاهلية الأولى، فلا يعرف من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، أما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٧٩) فقد وقع عليها الغبار، وأكلتها الآكلة، إذ تتلى على المنابر وتصدق بها الحناجر، ولكنها حبر على ورق.

فلا يُقام حدُّ الله على مجرم، نعم تُقام عقوبات، لكن حسب القانون المدني الذي لا يعزو

١. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٥٨

٢. المصدر السابق

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٥٨

إلى شريعة السماء السمحاء بصلة .

ملك النساء

"وَرَأَيْتِ النِّسَاءَ قَدْ غَلَبْنَ عَلَى الْمُلْكِ وَغَلَبْنَ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ لَا يُؤْتَى إِلَّا مَا لَهُنَّ فِيهِ هَوًى"^١
ليس بخساً في حظ النساء، أو تحقيراً لعقولهن، يُحظر عليهن الـمُلْك، إنما الملك يحتاج إلى راحة عقل لا راحة العاطفة، يحتاج إلى استشارة عقول الرجال، إلى احتكاك عظيم مع الرعية.

يقول الإمام الخميني رحمته الله: "لو كانت امرأة نبية لكانت فاطمة عليها السلام إنما وكلت النبوة للرجال لأنها تحتاج إلى بذل جهدٍ عظيم لا تقوم بها بنية المرأة، فلذا أسقط الله عز وجل هذه المسؤولية، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ (يوسف: ١٠٩)، ولم يُسقط عنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التبليغ والإرشاد في نطاق القدرة، وعلى المستوى الخاص، لا العام.

فلذا تحكم في الرعية بأهوائها وعاطفتها، أو قسوتها التي تضاهي وترجح على قسوة الرجال، إذا قست وعندت وتمردت.

احتكار الطعام

"وَرَأَيْتِ السُّلْطَانَ يَحْتَكِرُ الطَّعَامَ"^٢

لأنَّ السلطان إذا أراد أن يُركع شعبه، ويقودهم بسلاسله وزناجيره، فإنَّه يترك البطون غرثي، كما فعلت أمريكا بمصر وشعوب افريقيا والبلاد العربية، وكانت تلقي ما تبقى في البحر على أن تعطيه بسعريه للبلاد الفقيرة.

اثتمان الخونة والجور في الحكم

"وَرَأَيْتِ الْوَلَاةَ يَأْتُمِنُونَ الْخَوْنَةَ لِلظَّمَعِ وَرَأَيْتِ الْمِيرَاثَ قَدْ وَضَعَتْهُ الْوَلَاةُ لِأَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ يَأْخُذُونَ مِنْهَا وَيَخْلَوْنَهُمْ وَمَا يَشْتَهُونَ"^٣

فيجعلونهم في حاشيتهم مؤتمنين على أموال الدولة وسياستها وتصريف أمور الناس،

١. المصدر السابق

٢. المصدر السابق، ص ٢٨٩

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٦٠

فتفسد المؤسسات، ومصالح العباد، كما يكون لهم نصيب منها، كما في أموال الأوقاف، والأيتام، ومشاريع الدولة من تعبيد الطرقات وإنشاء المباني، والسدود، والمدارس والمستشفيات... فإنها تلزم وتُعهد إلى من لا عهد له ولا ذمة، ليقتسم قرص الجبنة بينهما. أما الجور في الحكم، فأشد ما يكون التداعي في القضاء على الأموال، فإذا تداعى فريقان على ميراث فائهم يجنحون مع الفاسق فيدلوا له بدلوا الباطل، ويحكمون له بالميراث بغير حق، ليرتشفوا منه، ويكون لهم نصيب مما حكموا، وليقتل بعد ذلك بعضهم بعضاً.

الفصل الثاني: علماء الدين

"وَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ خُلِقَ وَأُخِذَتْ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَوُجِّهَ عَلَى الْأَهْوَاءِ وَرَأَيْتَ الدِّينَ قَدْ انْكَفَأَ كَمَا يَنْكَفِي الْإِنَاءُ... وَرَأَيْتَ بَيْتَ اللَّهِ قَدْ عُظِّلَ وَيُؤْمَرُ بِتَرْكِهِ... وَرَأَيْتَ الْفَقِيهَ يَتَفَقَّهُ لِغَيْرِ الدِّينِ يَظْلُبُ الدُّنْيَا وَالرِّئَاسَةَ... وَرَأَيْتَ الْقَضَاةَ يَقْضُونَ بِخِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ... وَرَأَيْتَ الْمَنَابِرَ يُؤْمَرُ عَلَيْهَا بِالتَّقْوَى وَلَا يَعْمَلُ الْقَائِلُ بِمَا يَأْمُرُ".^١

الإمام علي عليه السلام يعكس مرآة قلوب العلماء التي صدأت، فلم يستطع بعد ذلك أتباعهم أن يتجملوا بهم، أو يرون أنفسهم فخراً وعزاً من خلاهم؛ لأنهم أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم؛ لأنهم لم يجعلوا القرآن راية وهدفاً يحملونه في كل محفل، ولم يجعلوه محورهم وأساس كلامهم، فلذا لما خُلِقَ القرآن واهترئ، وأهمل ووقع عليه التراب، كان حرياً بالعوام أن يتركوه.

لما أهمل درس تفسير القرآن وعلومه وتجويده وحفظه، وجنح لغيره من العلوم وصار درساً فرعياً، استطاع المغرضون أن يحدثوا فيه من التزوير ما شاؤوا، وأن يؤولوه بالرأي والاستحسان.

فلذا لما قال تعالى عن بني إسرائيل ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧] نبذوا العمل بالتوراة، وأهملوا أحكامه، فعاقبهم الله على إهمالهم، مع أنهم بقوا على العمل ببعض آياته ﴿أَفْتُمِثُّونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] لكن في آخر الزمان يقع

الدين وينقلب فلا يعرف له أتباع إلا كصباغة عيش خسيس.

أما بيوت الله فتُعْطَل؛ لأنَّ العلماء لم يوقظوا الضمائر بيقظتهم صباحاً لتعمير المساجد بالصلوات وتلاوة القرآن، فرقدوا مع من رقد، فكان حرياً بالناس إهمالهم تلك الفريضة العملاقة والسنة البراقة.

أما العمامة فتصبح رواجاً لا تاجاً، ومتعة لا طاعة، كما قال الإمام الخميني: "لا تجعل العمامة تدل عليك، بل اجعل عملك يدل على عمامتك"

أصبح اليوم طالب العلم الديني، يجعل علمه فقط عملاً كسائر الأعمال، كالطباخ والحداد والمهندس، بل يرى فيها شرفاً أكبر، وذلك لعمامته وشهرته... وكذا القضاة الذين يجترون بكسبهم، فيتجرؤون بحكمهم.

وإذا جنحنا إلى جانب التقوى - الذي لخص الله تعالى هداية القرآن كلها بها (وهي التقوى) - فترى كما هشاً تذروه الرياح، وهذا هو السبب الأصلي بابتعاد الناس عن العلماء، إذا يأمرهم لا يأثمرون، ويعظون ولا يتعظون، فكلامهم جواهر وأفعالهم خناجر.

الفصل الثالث: العوام

العوام قسمان، المؤمن، والفاسق

المؤمن في آخر الزمان

" أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنِ انْتَهَزَ أَمْرَنَا وَصَبَرَ عَلَى مَا يَرَى مِنَ الْأَذَى وَالْخَوْفِ هُوَ غَدَاً فِي زُمْرَتِنَا... وَرَأَيْتِ النَّاطِرَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِمَّا يَرَى الْمُؤْمِنَ فِيهِ مِنَ الْاجْتِهَادِ... وَرَأَيْتِ الْكَافِرَ فَرِحاً لِمَا يَرَى فِي الْمُؤْمِنِ، وَرَأَيْتِ أَصْحَابَ الْآيَاتِ يُحْقِرُونَ وَيُحْتَقَرُ مِنْ يُحِبُّهُمْ.... وَرَأَيْتِ مَنْ يُحِبُّنَا يُزَوِّرُونَ وَلَا يُقْبَلُ شَهَادَتُهُ... وَرَأَيْتِ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُومُ إِلَيْهِ مَنْ يَنْصَحُهُ فِي نَفْسِهِ فَيَقُولُ هَذَا عَنْكَ مَوْضُوعٌ... وَرَأَيْتِ مَسْلَكَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَهُ خَالِياً لَا يَسْلُكُهُ أَحَدٌ".^١

بدأ الإمام (عليه السلام) روايته لحرمان: "أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنِ انْتَهَزَ...". وبعدها أكمل سرد الرواية،

١. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٥٦-٢٥٨

ليعطيهما طاقة وعزيمة وإرادة على تلقي المصاعب والمصائب، وليهيئه بالمبادرة إلى الاستعداد للتصدي لأي صاعقة تحاول زهق نفسه بالبلاء، فلذا ليستعد المؤمن للبلاء، فعسى أن يأتي الفرج قريباً.

وهذا النبأ العظيم من الإمام عليه السلام يجعل المؤمن كالجبل لا تكسره المعاول، فلو صفد بالحديد، وسجن بالمطامير لرأى أنَّ هذا بلاء حسناً.

ويعود الخيل إلى مضماره حزينا فينعزل المؤمن للعبادة ليله، ويتراخى سدول الليل على مناجاته، وفي الجهة الأخرى ترى المجنون والعزف والغناء ودنيا أسدلت إزارها لشمل المتفككين بالسنة حادة على المؤمنين، مدعين فيهم المرض، وما بالقوم من مرض، ويقولوا قد خولطوا من كثرة عبادتهم، فيحاولوا أن يثنوهم عن عزمهم بالرجوع إلى الله لترك العبادة بأنّها أثقلت كاهله.

أما الفريضة المهجورة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فصاحبها منبوذ طريداً، لا يُصغى إليه، وقد يُعاقب ويسجن ويُقتل، فلذا يفرح الكافر؛ لأنّ الدنيا قد بسطت جناحيها له، تهرول نحوه مسرعة، مزغردة بالأهاجيز، ضاحكة مستبشرة، أما المؤمن ففي ضنك المعيشة مَمَّنْ حوله.

أما حملة القرآن، فلا شهادة معه تؤهله لخوض غمار العلم، فلا يملك علماً وسلاحاً وقوة في نظرهم، بل تظهر نبوءة أمير المؤمنين عليه السلام في آخر زمان: "لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله".

بل تنقلب موازين العدل، إذ ينصح المؤمن بترك الكلام، وليترك الرسن على الجادة، أو لتسير سفينة الحياة بقبطانها كما تشاء، فلست بقبطان ولست بمسؤول.

العوام الفسقة

"فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَقَّ قَدْ مَاتَ وَذَهَبَ أَهْلُهُ وَرَأَيْتَ الْجُورَ قَدْ شَمِلَ الْبِلَادَ ... وَاکْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، وَرَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ صَامِتاً لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ وَرَأَيْتَ الْفَاسِقَ يَكْذِبُ وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ كَذِبُهُ وَفِرْيَتُهُ وَرَأَيْتَ الصَّغِيرَ يَسْتَحْقِرُّ بِالْكَبِيرِ وَرَأَيْتَ الْأَرْحَامَ قَدْ تَقَطَّعَتْ ... وَرَأَيْتَ الْخُمُورَ تُشْرَبُ عَلَانِيَةً وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ... وَرَأَيْتَ الْفَاسِقَ فِيمَا لَا

يُحِبُّ اللَّهُ قَوِيًّا مَحْمُوداً ... وَرَأَيْتُ الْبِدْعَ وَالزُّنَا قَدْ ظَهَرَ وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَعْتَدُونَ بِشَاهِدِ الزُّورِ ... وَرَأَيْتُ الْأَيْمَانَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرَةً عَلَى الزُّورِ ... وَرَأَيْتُ الْقِمَارَ قَدْ ظَهَرَ ... وَرَأَيْتُ الْمَلَاهِي قَدْ ظَهَرَتْ يُمَرِّبُهَا لَا يَمْنَعُهَا أَحَدٌ وَلَا يَجْتَرِي أَحَدٌ عَلَى مَنَعِهَا ... وَرَأَيْتُ الْقُرْآنَ قَدْ ثَقُلَ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُهُ وَخَفَّ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُ الْبَاطِلِ وَرَأَيْتُ الْجَارِ يُكْرِمُ الْجَارَ خَوْفاً مِنْ لِسَانِهِ ... وَرَأَيْتُ طَلَبَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ لِغَيْرِ اللَّهِ ... وَرَأَيْتُ الرَّجُلَ مَعِيشَتُهُ مِنْ بَحْسِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ...^١.

في هذه الرواية فصل الإمام تفصيلاً الفحشاء والمنكر، والفتنة الصماء الصيلم، بحث لا ترى للخير سبيلاً، وقد لخصها النبي ﷺ فقال: "تملأ الأرض ظلماً وجوراً"^٢. فعند انقطاع خير أهل الأرض، وبقاء ثلة من المؤمنين مكلمي الأفواه لا يستطيعون إرساء المعروف في الأرض؛ لأنه لا يقبل قولهم، فكان لابد من تدخل الأيادي الغيبية، وتحقق نبوءة النبي ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمَلَأَ الْأَرْضُ ظُلْماً وَعُدْوَاناً، ثُمَّ يُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ عِشْرَتِي ... يَمْلَأُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مِلْتُ ظُلْماً وَعُدْوَاناً"^٣، وفي رواية أخرى: "إِنَّ عَلِيّاً وَصِي، وَمَنْ وَلَدَهُ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ الْمَهْدِيُّ، الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مِلْتُ ظُلْماً وَجُوراً".

الباب الثاني: حوادث عصر الظهور

الفصل الأول: العلامات الحتمية

تلاطمت أمواج الكفر التي تمثلت بالوهابية صادحة بثغائها، مترنفة بسيفونة حلمها، عازفة على وتروهمي، تائهة، ومتهممة الرافضة بمقولة "علم الغيب". مفتدةً لأعيابها من كتاب الله، زاعمةً أنَّ كتاب المسلمين ينفي قدرة الوصول إلى العلم الإلهي، بل إنَّ الله تعالى استأثر بهذا العلم، وما يحكيه جهابذتهم وعلمائهم ما هو إلا أفيون للشعوب يخدرونهم به، ليسيطروا على الغفل ويشوهوا وجه الحقيقة. وأردفوا قائلين إنَّهم بهذه الأطروحة التي يتقولونها عندهم "علم الغيب" يستطيعوا أن

١. روضة الكافي، ج ٨، ص ٣٦، حديث أبي عبد الله مع المنصور في موكب.

٢. بحار الأنوار، ج ٥١، ص

٣. دلائل الإمامة، ص ٤٦٧

يبطشوا بقوة وبيد حديدية القوى العظمى التي تسلحت بسلاح يستطيع هدم العالم، ولكن لا يستطيع هدم العالم.

فقالوا: "إِنَّ قَرَأَنَكُمْ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ويقول: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ (الأعراف: ١٨٨)، ويقول أيضاً: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الحجن: ٢٦)

وأما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٣)، فالمقصود بها الجنة والنار، ويوم الحشر، والمعاد.... أي الأمور الماضية كقصص الأنبياء وما يتعلق بيوم القيامة، وليس المقصود كما يقول به الرافضة هو التنبؤ بالمستقبل، والأمور التي تتعلق بالمهدي المخلص. لينفوا بأن القوى المؤمنة تتحد في آخر الزمان فيما بينها، لتصبح قوة قاهرة بالفتوحات، منتصرة وحاكمة للقارات.

وغفلوا شعوبهم وتناسوا أَنَّ اللَّهَ تعالى يقول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الحجن: ٢٦ - ٢٧] ورسَل الله تعالى كلهم مرضيون.^١

أما أهل الكتاب من اليهود والمسيحية فإن نظرياتهم متكاثفة ومتقاربة من التنبؤات المستقبلية التي تؤكد الحوادث التي تقع قبيل ظهور الإمام عليه السلام.^٢

العلامات الحتمية عند المسلمين

برواية صحيحة في روضة الكافي عن عمر بن حنظلة قال: "قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: خَمْسُ عَلَامَاتٍ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ: الصَّيْحَةُ وَالشُّفْيَانِي وَالْحَسْفُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ وَالْيَمَانِي فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنْ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ قَبْلَ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ أ نَخْرُجُ مَعَهُ قَالَ لَا".^٣

١. انظر: موقع الشيخ سفر الحوالي+الغيب وعلم المستقبل/الشرعية والحياة-نت-مكة المكرمة، ٢٠١٠/١١/١١، انظر: مواقع الغيب للوهابية.

٢. انظر: موقع Max forums.net أحداث نهاية العالم التوراتية والإنجيلية وتطابقها مع تنبؤات الإسلام.

٣. الكافي، ج ٨، ص ٣١٠.

وقد علّق عليها السيد جعفر مرتضى قائلاً: "وإن كان الحديث تام السند لكن الظاهر أنّ الحديث فيها وفيما سبقها هو الخروج مع المدعين للمهدوية، وهم من قرابة النبي ﷺ، ويزيد ذلك وضوحاً أنّه جاء بعد علامات القائم الدالة عليه دلالة تامة".^١

وعلق الشيخ محمد السند في فقه علائم الظهور، فقال: وهذا تنبيه بالغ على عدم الانخداع وراء أدعياء أسماء الظهور قبل علامات الظهور الحتمية، من الصيحة والنداء من السماء والسفياني والخسف لجيشه في صحراء المدينة المنورة، وإن من أهم علامات الظهور الصيحة والنداء من السماء.^٢

وعلق الشيخ المنتظري: ونهي عمر بن حنظلة وأمثاله عن الخروج قضية في واقعة، ولعل النظر في الخروج مع من كان يدعي المهدوية في ذاك العصر ولا ربط للحديث بالجهاد الدفاعي في زماننا.^٣

وفي بعض الروايات عشر علامات حتمية: فعن حذيفة بن أسيد الغفاري: قال: كنا جلوساً في المدينة في ظل حائط، وكان رسول الله ﷺ في ظل حائط فاطلع علينا، فقال: فيم أنتم؟ فقلنا: نتحدث، قال: عمّاذا؟ قلنا: عن الساعة؟ فقال: إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات، طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، وثلاثة خسوف تكون في الأرض، خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وتكون في آخر الزمان نار تخرج من اليمن من قعر الأرض، لا تدع خلفها أحداً، تسوق الناس إلى المحشر.^٤

وهناك روايات كثيرة، منها ما أجمل ومنها ما فضّل.

١. السفياي

وأما "الكوفان فيخرج بها رجل من آل عنيسة بن أبي سفيان يعني السفياي".^٥

وقال أبو عبد الله ﷺ: "قال أبي ﷺ: قال أمير المؤمنين ﷺ: يخرج ابن آكلة الأكباد من

١. المختصر المفيد، ج ٣، ص ١٨٠

٢. فقه علائم الظهور، ص ٣٧

٣. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، ج ١، ص ٢٤٤

٤. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٣، ص ٣٧٨ / موسوعة أحاديث الإمام المهدي، ج ٤، ص ١٧

٥. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ص ٢٨٩

الوادي اليابس... اسمه عثمان وأبوه عنيسة، وهو من ولد أبي سفيان".^١
وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لمعاوية: "وأن رجلاً من ولدك مشوم وملعون جلف جاف منكوس القلب فظ غليظ قاسٍ، قد نزع الله من قلبه الرأفة والرحمة، أخواله من كلب...".^٢
ويصب السفياي على الأمم العذاب صباءً، ويعض عليهم الأنامل من الغيظ، ويترشح منه عرق الحقد، حتى يكاد يتميز من الغيظ، ولم يرفي بني البشر أشد منه لؤماً وعذاباً، وهيئات منه فرعون وفمرود والحجاج ومن هذا حذوهم.
"يقتل السفياي كل من عصاه، وينشرهم بالمناشير، ويطبخهم بالقدور ستة أشهر"
"يخرج السفياي فيقاتل حتى ييقربطون النساء، ويغلي الأطفال في المراحل".^٣

صفاته في خلقه وخلقه

ويُخال إليك من سوء منظره أن مخلوقاً وحشياً من كوكبٍ آخر قد هبط إلى الأرض لإرعابها، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام: "يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس،^٤ وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخمة الهامة، بوجهه أثر المجذري، إذا رأته حسبته أعور"،^٥ وفي رواية ثانية عن الإمام الباقر عليه السلام: السفياي أحمر أشقر أزرق".^٦
ويبدو أن حركته هي حركة نفاق، وأنها تبدو بهجة للناظرين، وتقوم على الدعوة للدين والإسلام والتقى، والتمسك بعروة القرآن الكريم، ودعوة الموحدين، فينحدر إليه الناس بكلامه ودعوته وإرشاده حتى يقال: إن كمال الدين، واستقامة المؤمنين إنما يكون على يديه.

فعن عمرو بن يزيد قال: قال لي الإمام الصادق عليه السلام: إنك لو رأيت السفياي، رأيت أخبث الناس أشقر أحمر أزرق، يقول: يا رب يا رب يا رب، ثم للنار، وقد بلغ من خبثه أنه

١. موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ١٠٢.

٢. المصدر السابق، ص ١٠٤، نقلاً عن: كتاب سليم بن قيس، ج ٢، ص ٧٤٨.

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ح ٢٨٥.

٤. الوادي اليابس: درعا أو حوران، حوران: سهل يقع في جنوب سوريا وشمال الأردن، حيث يشمل أراضي من ريف دمشق حتى درعا من سوريا، وعاصمتها درعا (أذرعات الشام).

٥. موسوعة الإمام المهدي، ج ٢، ص ١٠٤.

٦. موسوعة الإمام المهدي، ج ٢، ص ١٠٥.

يدفن أم ولد له وهي حَيَّة، مخافة أن تدل عليه".^١

وقال الإمام الباقر عليه السلام: "لم يعبد الله قط، ولم يرمكة ولا المدينة قط، يقول: يا رب ثاري والنار، يا رب ثاري والنار".^٢

وكيف له أن يرى مكة والمدينة وهو لم يؤمن بالله؟!!!

ويُظهر حسن سريره بقوله: يا رب يا رب ... أمام الملاء، رافعا يديه بالدعاء، حتى تصبح الناس والدم يغلي في عروقها طالبين بشأه؛ لأنه بظنهم طالبا ثأرا المسلمين، يريد أن يرجع عزهم ومجدهم، وبلادهم التي تسلطت عليها رقاب الملحددين.

ويقصد والنار: أي النار لمن عصى، يذكرهم بربهم خبثاً، إنَّ ربكم لبالمرصاد لمن يتخلف عن الجهاد، ثم الويل للمسلمين منه !! إذ يتنصرو ويرتد عن دينه ويُعلن للملأ أنه اختار النصرانية له ديناً بدل الإسلام، مستبشراً بذلك ومتباهياً بالصليب في عنقه، فعن بشير بن غالب، قال: "يقبل السفياي من بلاد الروم منتصراً، وفي عنقه الصليب وهو صاحب القوم".^٣

بداية حركة السفياي

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إنَّ أمر السفياي من الأمر المحتوم، وخروجه في رجب".^٤
وفي حديث آخر للإمام الصادق عليه السلام: "السفياي لأبد منه، ولا يخرج إلا في رجب".^٥
فیهتك الأشهر الحرم، ولا يُراعي لله حرمة، في حرمة القتال بها، بل ترجع جاهلية أولى، وياليتها ترجع نسيئة كما كانت تفعل الجاهلية، إنما يضرب بعرض الحائط آيات الله ويمزق شريعة الله تمزيقاً.

وتكون بداية حركته من الشام كما وردت الرواية المؤكدة، منها ما قاله الإمام الباقر عليه السلام:
"وخروج السفياي من الشام"،^٦ وفي بعضها "الوادي اليابس"

١. موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ١٠٥

٢. نفس المصدر

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٠١٧ / الغيبة للطوسي، ص ٢٦٣

٤. موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ١٠٧ / الكافي، ج ٨، ص ٢٦٤

٥. المصدر السابق

٦. موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ١٠٩

وفي كتاب الغيبة للطوسي: "وإذا استشارت عليكم الروم والترك، ويتحالف الروم والترك، وتكثر الحروب في الأرض، وينادي منادٍ عن سور دمشق، ويلل للأرض من شرقٍ قد اقترب، ويُخسف بغربي مسجدها، حتى يختر حائطها، ويظهر ثلاثة نفر بالشام، كلهم يطلب الملك، رجلٌ أبقع،^١ ورجلٌ أصهب،^٢ ورجلٌ من أهل بيت أبي سفيان يخرج في كلب، ويحضر الناس بدمشق، ويخرج أهل الغرب إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك أمانة السفياني".^٣

مدة ملكه وحدوده

تراوحت الروايات في مدة ملكة ما بين الثمانية أشهر إلى عشرة أشهر. وصرّحت بعض الروايات بقولها: "يملك حمل امرأة"،^٤ وفي بعضها عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السفياني من المحتوم وخروجه من أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يُقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً".^٥

وفي الغيبة للطوسي عشرة أشهر، فعن محمد مسلم، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "إنَّ السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة، ثم قال عليه السلام: أستغفر الله، حملٌ جمل، وهو من الأمر المحتور الذي لا بدُّ منه".^٦

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "وإذا كان ذلك خرج السفياني فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر، يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق، يعصمهم الله من الخروج معه".^٧

وفي هذه الأشهر القليلة ينقاد له أهل الشام إلا من عصمه الله من هذه الفتنة، (وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين) فيقاتل بهم، وعندها تشاهد الناس كثرة أتباعه، يتبعون الداعي بلا بصيرة، فيرون دون تروي!! بأنه لو لم يكن محققاً لما كثر أتباعه.

١. الأبقع: من فيه سواد وبياض، ولعل من فيه برص، المنجد: مادة بقع
٢. الأصهب: من كان فيه حمرة أو شقرة، ويطلق الأصهب على الأسد، وعلى الرجل الطويل، المنجد: مادة صهب
٣. الغيبة للطوسي، ٤٦٣
٤. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٤، ص ٢١٩
٥. الغيبة للطوسي، ص ١٨
٦. نفس المصدر
٧. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٥٢

فيكون عندئذٍ أهل الشام هم الشعلة الواقعة التي يضيء بها دربه، ويفتح بهم الفتوحات، كما كان جده معاوية.

ثم يزحف نحو العراق فيقاتل مقتلة عظيمة.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: "إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين^١ فتوقعوا عند ذلك الفرج، قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: لا، ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً^٢."

جبل من ذهب

وبينما يسير بجبروته مبتهجاً بانتصاراته إذ يتراءى لهم عند الفرات جبل من ذهب، فتجتمع عنده جحافل الجيوش لا يرى أولها من آخرها، فيتناسوا البلاد وفتحها مقابل هذا الكنز، لعلمهم أنَّ الاستيلاء عليه يعني دخول البلاد طوعاً أو كرهاً بعد أن يركع أمامهم أصحاب الأطماع حرصاً وحسداً، وينزوي من بطشهم أصحاب الحق خوفاً ورهبةً "ينحسر الفرات عن جبل من ذهب وفضة، فيقتل عليه من كل تسعة سبعة، فإن ادركتموه فلا تقربوه" وفي حديث أيضاً "الفتنة الرابعة" ثمانية عشر عاماً، ثم تنجلي وقد انحسر الفرات عن جبل من ذهب، تنكب عليه الامة فيقتل من كل تسعة سبعة^٣.

وعن رسول الله ﷺ: "يقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم"^٤.

ولعل المقصود هو الاقتتال على النفط الحالي، وقد عبر عنه بأفضل الأموال وهو الذهب والفضة.

عن الإمام الباقر عليه السلام: "ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق بقرقيسا^٥ فيقتلون بها، فيقتل من الجبارين مائة ألف"^٦.

١. قنسرين: قرية في سوريا تعرف بأسكي حلب، المنجد.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١١٨.

٣. الامام المهدي واليوم الموعود، ص ٣٣٣ نقلاً عن الفتن لابن حماد ص ٩١-٩٢.

٤. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ص ٢٩٤.

٥. قرقيسا: مدينة بسوريا (محافظة الجزيرة) عند ملتقى الخابور بالفرات، المنجد.

٦. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٣٧.

فتنة الكوفة

لا يفتك السفياي يقوم كما يفتك وينكل بأهل الكوفة، فالويل ثم الويل لأهل الكوفة من فتنة لا تدخل داراً إلا هدمته، ولا سترأ إلا هتكته.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): "ویدخل جيش السفياي إلى الكوفة، فلا يدعون أحداً إلا قتلوه، وإنَّ الرجل منهم ليُمَثَّرُ بالدرة المطروحة العظيمة لا يتعرض لها، ويرى الصبي الصغير فيلحقه فيقتله..."^١.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): "ويبعث جيشاً إلى الكوفة، وعدتهم سبعون ألفاً، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً..."^٢.

وفي رواية ثانية، قال أبو حمزة الثمالي: سمعت الإمام الباقر (عليه السلام) يقول: إذا سمعتم باختلاف الشام فيما بينهم فاهرب من الشام، فإنَّ القتل بها والفتنة، قلت: إلى أي البلاد، فقال: إلى مكة فإتھا خير بلاد يهرب الناس إليها، قلت: فالكوفة؟ قال: الكوفة ماذا يلقون! يقتل الرجال إلا شامي، ولكن الويل لمن كان في أطرافها، ماذا يمر عليهم من أذى بهم، وتسبي بها رجال ونساء..."^٣.

وفي بعض الروايات "إنَّه يقتل على جسر الكوفة سبعون ألفاً، حتى تحمى الناس من الفرات ثلاثة أيام من الدماء وتنت الأجساد"^٤ ويحتمل أن المقصود تحمى من الحمية وترك الشرب منه، أو تصاب بالحمى.

ويظهر من تتبع أنَّ همهم في الكوفة وغايتهم إنما هو إخلاؤها من أهلها بالقتل والتشريد، وملك الأوطان والبلاد، وتوسعة رقعة الاستيلاء على المناطق، لا على أموالها، ولكن بعدما يسومونهم سوء العذاب، ويطمئنون بالسيطرة عليها، يسلبونهم خيرات بلادهم.

ففي خبر جابر الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام): "ويظهر السفياي ومن معه حتى لا يكون له همة إلا آل محمد (عليهم السلام) وشيعتهم، فيبعث بعثاً إلى الكوفة..."^٥.

١. موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ١١٨

٢. المصدر السابق

٣. موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ١٢٠

٤. المصدر السابق

٥. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٢٢، موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ١١٢

نهاية حركة السفيناني

وبعد أن يطوف بالبلاد فساداً، تبقى الأماكن المقدسة التي كان يخشى من السيطرة عليها خوفاً من بطش المسلمين وتكتلهم، ولكن عندما يرى خضوع المناطق تحت سيطرته، فإنه يندفع بقوة، لا حاجز ولا قوة قاهرة تقف في وجهه، إلا وكسر شوكتها، عندئذ يعزم على الدخول إلى المدينة المنورة، ثم على مكة المكرمة.

فعن حذيفة بن اليمان، أنَّ النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: "فبينما هم كذلك، يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة... يحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها، ثم يخرجون منها متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبرائيل فيقول: يا جبرائيل، اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها، ولا يفلت منها إلا رجلان من جهينة، فلذلك جاء القول: "وعند جهينة الخبر اليقين".^١

الوشاية على المؤمنين

بما أنَّ السفيناني أخشى ما يخشاه على ملكه من شيعة علي عليه السلام، فلذا يشتري قلوب الناس بأمواله، فتنتزع الرحمة من قلوبهم. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "كأني بالسفيناني أو بصاحب السفيناني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادى مناديه: من جاء برأس رجل من شيعة علي فله ألف درهم، فيشب الجار على جاره، ويقول: هذا منهم، فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم".^٢ وفي رواية: "ثم يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمد عليه السلام".^٣

انشقاق الفرات

يبدو أنَّ السفيناني عندما يعجز عن الاستيلاء على الكوفة، يخطط بأن يهلك أهلها بمنعهم من الماء، فيفجر سد الفرات، فتطوف الكوفة وبيوتها، وطرقاتها، ويهلك الحرث والنسل،

١. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٨٦ / مجمع البيان في تفسير الآية: ولوترى إذ فرعوا / سباً: ٥١

٢. الغيبة للطوسي، ص ٢٥٠

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٠٨

فعن أبي عبد الله عليه السلام: "عام الفتح ينشق الفرات حتى يدخل أزقة الكوفة".^١

نهاية السفلياني، الخسف في البيداء

وفي رواية مُفَصَّلة للأحداث:

يدخل السفلياني الكوفة، فيسببها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفاً...
ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي، ثم يبعث السفلياني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد حتى يرد بهم الكوفة، ثم يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين، ويبعث السفلياني في طلبهما، فإذا بلغ المهدي ومنصور مكة، نزل جيش السفلياني البيداء فتُخسف بهم، ثم يخرج المهدي حتى يمر بالمدينة فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم، وتقبل الرايات السوداء حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفلياني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم، ويخرج قوم من سواد الكوفة، يُقال لهم العُصْبُ، ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفلياني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي.^٢

وينزل أمير جيش السفلياني البيداء فينادي منادٍ من السماء، يا بيداء أبيدي القوم، فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر، يحوّل الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب.^٣

مقتل السفلياني

وشاء الله أن يخزي السفلياني بالعقاب الدنيوي، بالخسف بأصحابه، فيدمل بذلك قلبه، وتشظى قواعد ملكه، ولكنه لا ييالي بعد أن يشتري قلوب من تبقى من رجال استطاع أن يستميلهم.

"وإنَّ السفلياني يبعث إلى المهدي من الشام جيشاً، فيخسف بهم بالبيداء، فلا ينجو منهم إلا المخبر، فيسير إليه السفلياني بمن معه، ويسير إلى السفلياني بمن معه، فتكون النصره

١. الغيبة للطوسي، ص ٢٥١

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ص ٢٠٠، ح ٢٦٠

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٥٣٨

للمهدي ويُذبح السفياي^١.

وفي حديث آخر: "ثم يقول له القائم عليه السلام: خذ حذرك، فإنني أديت إليك، وأنا مقاتلك، فيصبح فيقاتلهم، فيمنحه الله أكتافهم، ويأخذ السفياي أسيراً، فينطلق به يذبحه بيده"^٢.
فإنَّ الإمام عليه السلام قبل أن يقابله ويواجهه للقتال، فإنَّه يعرض عليه النزول إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى الاستسلام وإقامة العدل، مع كل الجور الذي ألحقه بالمؤمنين، ولكن مع ذلك يبق له الأمل في التوبة والتراجع عن القتال، ولكنَّ بطائته الخبيثة وباطنه المتلوث يأبى عليه الاستسلام، فيناجزه الإمام عليه السلام، فلذا يأخذ (ع) عندئذٍ برقابهم وأكتافهم فيثخن في الأرض ويجرحهم أسرى.

ثم يذبحه عليه السلام بيده ويشفي صدور قوم مؤمنين.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا هو يوم "الإبدال" فعندما يلتقي الإمام عليه السلام مع السفياي، فإنَّ قوماً من أصحاب الإمام عليه السلام يلتحقون بالسفياي، وقومٌ ممن مع السفياي يلتحقون بالإمام عليه السلام، وهذا ما يُسمَّى بيوم "الإبدال".

ففي حديث عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام: "ثم يأتي الكوفة (أي الإمام عليه السلام) فيطيل فيها المكث ما شاء الله أن يمكث حتى يظهر عليها، ثم يسير حتى يأتي العذرا^٣ هو ومن معه، وقد لحق به ناس كثر، والسفياي يومئذٍ بوادي الرملة.

حتى إذا التقوا وهم يوم الإبدال يخرج ناس كانوا مع السفياي، من شيعة آل محمد، ويخرج ناس كانوا مع آل محمد إلى السفياي، منهم من شيعته حتى يلحقوا بهم، ويخرج كل ناس إلى رأيته، وهو يوم الإبدال"^٤ أي يبدلوا عقيدتهم خوفاً ورهبة من السفياي، أو خشية.

٢. الخراساني

وتشرَّب أعناق الموالين لأهل بيت النبوة، تغلي في عروقهم الحمية الحسينية، التي ألزمتهم

١. تاريخ ما بعد الظهور، ج ٤، ص ٢٤٠، للسيد محمد صادق الصدر، نقلاً عن اسعاف الراغبين، ص ١٣٨.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٤.

٣. مرجع عذرا: قريب من دمشق، وهو المكان الذي فيه قبر حجر بن عدي. الرملة: بلدة في فلسطين شمال شرقي القدس.

٤. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٢٤.

الحجة الإلهية، في وجوب نصرته المسلمين فيحملون الرايات السوداء التي تشير إلى الحزن المستمر على الحسين بأخذ ثأره، فيتوالون تترى بجيش منظم إلى الكوفة لقتال السفيناني، وتخليص الأمة المستغيثة بهم.

لم تذكر الروايات اسم الخراساني، لكن ذكرت وصفاً: "يخرج شاب من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح يُقاتل أصحاب السفيناني"^١

فعن أبي عبد الله عليه السلام: "خروج الثلاثة: الخراساني والسفيناني واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد"^٢

الخراساني شاب فتى تذكر الروايات أنه غلام، وأكثر ما يُعبر عنه بغلام أنه في ريعان شبابه.

وأنه سيد من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام، حسني أو حسيني، ففي بعض الروايات: "يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق، ولو استقبلته الجبال لهداها، واتخذ فيها طريقاً"^٣ وفي بعضها: "يخرج رجل من ولد حسن من قبل المشرق، ولو استقبل به الجبال لهداها، فلا يؤخذ فيها طريق"^٤

وفي رواية يُسمى منصور، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يخرج رجل من وراء النهر، يقال له الحارث بن حراث، على مقدمته رجل يُقال له المنصور، يوطن أو يُمكن لآل محمد، كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجب على كل مؤمن نصره، أو قال: إجابته"^٥

وفي بعضها: "آخر الزمان سيخرج رجل صالح من وراء النهر، اسمه الحارث، معه جيش عظيم، يقوده رجل عظيم اسمه منصور، يُهَيئ ذلك الرجل لذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم..."^٦

١. الإمام المهدي واليوم الموعود، ص ٣٨١، نقلاً عن: عقد الدرر، الشافعي السلمي، ح ١٢٩، ص ١٧٦

٢. الغيبة، ص ٤٤٧ / موسوعة الإمام المنتظر، ص ١٢٤

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ص ٣٩٣، ح ٢٥٣

٤. المصدر السابق

٥. المقصود وراء النهر: إما وراء نهري دجلة والفرات، أو ما وراء نهر جيحون من سمرقند ونجارى وغيرها/ المفردات من معجم الأحاديث.

٦. المصدر السابق

٧. المصدر السابق

وعبّر عنه "بalfقى التميمي"،^١ وعبّر عنه: رجل من تميم، مولى لهم، أصفر قليل اللحية، يخرج إليه في خمسة آلاف، إذا بلغه خروجه، فيبايعه، فيصيرُه على مقدمته"^٢

الرايات السود من خراسان

يُروى عن محمد بن الحنفية: "تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء، قلانسهم سوداء، وثيابهم بيض، على مقدمتهم رجل يُقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب، من تميم، يهزمون أصحاب السفيناني، حتى تنزل بيت المقدس، توطئ للمهدي عليه السلام سلطانه"^٣

وفي رواية يبعث السفيناني خيله وجنوده، فيبلغ عامة الشرق من أرض خراسان، وأرض فارس، فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم، ويكون بينهم وقعات في غير موضع، فإذا طال عليهم قتالهم إِيَّاه، بايعوا رجلاً من بني هاشم، وهم يومئذ في آخر الشرق، فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم، مولى لهم، أصفر قليل اللحية... لو استقبله الجبال الرواسي لهدّها^٤

"تجيء الرايات السود من قبل المشرق، كأنّ قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبواً على الثلج"^٥

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: "تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة فإذا ظهر المهدي بعث إليه بالبيعة"^٦

وفي حديث آخر عن الباقر عليه السلام: "بينما هم كذلك إذ أقبلت رايات من خراسان، تطوي المنازل طياً حثيثاً، ومعهم نفر من أصحاب القائم..."^٧

والروايات المتواترة تؤكد أنّ القوة القاهرة التي يمتلكها السفيناني تتمتع بالأسباب الطبيعية

١. المصدر السابق

٢. المصدر السابق

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ص ٣٩٧، ٢٥٦

٤. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ص ٤٠٢

٥. الإمام المهدي واليوم الموعود، ص ٣٨٣، نقلاً عن عقد الدرر، ص ١٢٩

٦. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢١٧

٧. نفس المصدر، ص ٢٣١

لانتصار، لولا التدخل الإلهي، وهو خسف البيداء بالسفياي وأتباعه. لكن على الإنسان أن يُهيئ الظروف ويستعد بكل قواه المادية والمعنوية، وهذا يقتضي- أن يكون الإنسان قد أعدَّ نفسه من قبل، وإلا فلا يمكن للإنسان الصمود في وجه الرياح العاتية التي يستحيل بطبيعته الإنسانية التي تميل إلى الشهوات إلا أن يستسلم لها.

وتؤكد الروايات أنَّ الأكثرية الساحقة تكون من أنصار السفياي، فلذا يشتد ذراعه وتقوى عزائم، ويقتل البشر، حتى أنَّ الروايات تقول إنَّه يقتل ثلثي الناس ويبقى الثلث فقط. وهذا يُلي علينا أن نؤكد لمصيرنا الأخرى بقوة العقيدة والبحث بالأمور العقائدية التي تشد حزام الإيمان، فلا يفلت عند أي اهتزاز.

إضافة إلى أنَّ الحقائق تُشير إلى أنَّ المنهجية التي تسير عليها ولاية الفقيه التي اندلعت من إيران الإسلام، إنما تسير على نهج الحق، وأنَّ الخلاص إنما يكون بالتكثُّل والوحدة والانضمام تحت راية ولاية الفقيه.

وأنَّ الضربة الحديدية القاتلة لا بد أن تكون على أيدي رجال الله. أمَّا التراخي واجترار التبعية، فلن يجرنا إلا إلى الانقراض والرجعية، وأنَّ التضامن والاتحاد بالاستعداد للقوة القاهرة لا بد أن تُهيئ له الأجيال، بترسيخ العقيدة بالإمام المهدي (عج)، وما ننتظره في المستقبل القريب.

٣. اليماني

ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): "خروج الثلاثة الخراساني والسفياي واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس فيها راية أهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق"^١ وفي حديث عن الإمام الباقر (عليه السلام): "خروج السفياي واليماني والخراساني في سنة واحدة ... ونظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه..."^٢

وعن الصادق (عليه السلام): "اليماني والسفياي كفرسي رهان"^٣

١. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٢٤

٢. المصدر السابق، ص ٢٣٢

٣. المصدر السابق، ص ٢٥٣

وهذا يعني أنَّ هذا يكر وهذا يفر، وأحياناً يتعادلان في النصر والهزيمة، وهكذا هما في مقابل بعض، يقاتل بعضهما بعضاً.

وعن عبيد الله بن زرارة قال: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام السفياني فقال: "أنى يخرج ذلك؟! ولم يخرج كاسر عينه بصنعاء"^١

والمقصود أنَّ اليماني على قمة الاستعداد للمواجهة، يمتلك قوة تضاهي الجبال، قلوبهم كزبر الحديد، يتمنون الشهادة في هزيمته، ومع كل القوى التي يمتلكها السفياني، إذ انقادت معه الأمم طائعة، وقد تطلعت نفسه لا إلى منطقة الشام والدول العربية فحسب، بل بهم سيستعمر الأرض، فلا يكسر عينه وشوكته وبطشه وجبروته وكبريائه إلا اليماني.

اليماني والقائم عليه السلام

في رواية صحيحة في روضة الكافي عن يعقوب السراج قال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع مَتَى فَرَجُ شِيعَتِكُمْ قَالَ فَقَالَ إِذَا اخْتَلَفَ وَلَدُ الْعَبَّاسِ وَوَهَى سُلْطَانُهُمْ وَطَمِعَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَظْمَعُ فِيهِمْ وَخَلَعَتِ الْعَرَبُ أَعْتَتَهَا^٢ وَرَفَعَ كُلُّ ذِي صِصِيَّةٍ صِصِيَّتَهُ^٣ وَظَهَرَ الشَّامِيُّ وَأَقْبَلَ الْيَمَانِيُّ وَتَحَرَّكَ الْحَسَنِيُّ وَخَرَجَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ بِشَرَاثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... وَيَسْتَأْذِنُ اللَّهُ فِي ظُهُورِهِ فَيُظَلِّعُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَوَالِيهِ فَيَأْتِي الْحَسَنِيَّ فَيُخْبِرُهُ الْخَبَرَ فَيَبْتَدِرُ الْحَسَنِيَّ إِلَى الْخُرُوجِ فَيَثْبُ عَلَيْهِ أَهْلُ مَكَّةَ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَنْبَعُثُونَ بِرَأْسِهِ إِلَى الشَّامِيِّ فَيُظْهِرُ عِنْدَ ذَلِكَ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ فَيَبَايِعُهُ النَّاسُ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيَبْعَثُ الشَّامِيُّ عِنْدَ ذَلِكَ جَيْشاً إِلَى الْمَدِينَةِ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُونَهَا

تؤكد هذه الرواية أنَّ العرب تتفرق وتنقسم على أنفسها، فكل يريد الحكم لنفسه، وكل يتخذ قوة وتحصيناً ضد الآخر، وعندئذ يقوم السفياني بقواه العظمى علانية، ويقبل اليماني من صنعاء، بألوية الهداية، هادية إلى الحق، وهو يد الله الباطشة، ولسانه الناطق، أمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، وتؤكد الرواية ليس هناك راية أهدى منها.

١. المصدر السابق، ص ٣٢٥

٢. العنوة: الذي والفهر والفسر، أي خلعت لباس الذل والمسكنة، وصحت (الصحة الإسلامية).

٣. تطلق على الحصن وكل ما امتنع به، وعلى الوجد والقوة، مادة (صيص): أي كل اتخذ قوة وتحصيناً وجعل له أركاناً وأوتاداً.

٤. الكافي، ج ٨، ص ٢٢٥

أما الحسيني فيظهر أنه النفس الزكية.

٤. النفس الزكية

عن صالح بن ميثم التمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ليس بين قيام القائم عليه السلام وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة^١

وفي كتاب سليم بن قيس: "... ويقتل صاحب ذلك الجيش رجلاً من ولدي زكياً بريئاً عند أحجار الزيت،^٢ ثم يصير ذلك الجيش كله إلى مكة ... فإذا دخلوا البيداء واستوت بهم الأرض خسف الله بهم"^٣

وعن عمار بن ياسر: "ثم يسير السفيناني إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمد ... ثم يخرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح، فإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان فالتحقوا بمكة، فعند ذلك يقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضيعة، فينادي منادي من السماء: أيها الناس إن أميركم فلان، وذلك هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً"^٤.

من شدة التأسف على النفس الزكية والقهر الذي أدمى القلب قال عمار "ضيعة"، أي ذهب ضياعاً وخسارة، وأسفاه فكم كان يلوذ ويدافع عن المسلمين، فثلم في الإسلام وفي القيادة ثلثة، لا يسدها إلا ظهور الإمام عليه السلام، فعندئذ يأتي النداء من السماء بالبشارة، بظهور الإمام عليه السلام ليسد تلك الفجوة العظيمة التي خلقتها شهادته.

من هو النفس الزكية؟ وكيفيته مقتله

وقع خلاف في اسمه، فقيل إن النفس الزكية غلام من آل محمد اسمه "محمد بن

١. الغيبة للطوسي، ص ٢٢٥

٢. يطلق على موضعين، الأول: عند الزوراء بجوار مشهد سنان بن مالك، وهو موضع استسقاء النبي (ص)، وقد دخل هذا المكان في توسعة المسجد النبوي الشريف من الجهة الغربية. وهناك قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عندما قال له الإمام الصادق (ع) لأبيه عبد الله: "والله ما هي إليك، ولا إلى ابنك، وإنما هي لهذا (يعني السفاح) ثم لهذا (يعني المنصور يقتله على أحجار الزيت). والثاني: فهو في الحرة الشرقية من المدينة، عند منازل بني عبد الأشهل، وقد كان عندها معركة الحرة.

٣. كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، ص ٧٧٥

٤. الغيبة للطوسي، ص ٢٦٢

الحسن يُقتل بلا جرم ولا ذنب، فإذا قتلوه لم يبقَ لهم في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر"^١

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): وقتل غلامٍ من آل محمد (عليه السلام) بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن: النفس الزكية..."^٢

وفي رواية أنَّ الإمام (عليه السلام) هو الذي يبعثه إلى أهل مكة ليلقي الحجة عليهم، وليستعدوا لمبايعة الإمام (عليه السلام)، ويخبرهم بظهوره، ولكنَّ الدعوة لم تكن علنية إلى الحد الذي يعرف الأقصى والداني ذلك، فإذا أخبرهم بذلك؛ هتكوا حرمة المسجد الحرام، فذبحوه بين الركن والمقام، فعن الإمام الباقر (عليه السلام): "يقول القائم لأصحابه: يا قوم إنَّ أهل مكة لا يريدونني، ولكني مرسل إليهم لأحتجَّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجَّ عليهم.

فيدعوا رجلاً من أصحابه فيقول له: امضِ إلى أهل مكة فقل: أنا رسول فلان... فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام، أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية"^٣ ويتسنى للنفس الزكية بطريقة معينة، إمَّا لتقربه من السلاطين، وإمَّا باستعمال مكبر صوت معيَّن، والناس تكون حينئذٍ مجتمعة في مكة؛ لأنَّ الروايات تقول بأنَّ الإمام (عليه السلام) يظهر بعد قتله بـ (١٥) يوماً، في عاشوراء، فينبغي حينئذٍ أن يكون مقتل النفس الزكية حوالي ٢٤-٢٥ ذي الحجة، وهذا الوقت في العادة تكون الناس في مكة بعد انقضاء مناسك حجها بقليل.

والروايات متضافرة كلها تؤكد أنَّه يُقتل في مكة أو بين الركن والمقام، ولم تذكر إلا رواية واحدة فقط أنَّه يُقتل عند أحجار الزيت، ولعلَّ هذا المقصود هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الذي قُتل بأمر أبو جعفر المنصور، في زمن الإمام الصادق (عليه السلام).

وفي البحار: "وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين، والمذبوح بين الركن والمقام..."^٤ ولا تنافي هذه الرواية الروايات التي تقول بأنَّ النفس الزكية يُذبح بين الركن والمقام؛ لأنَّ المؤمنين الأتقياء كلهم ذوات نفس زكية.

١. المصدر السابق

٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٩٢، موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ٢٠٣

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠٧، موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ٢٠٤

٤. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٧٣

٥. الدجال

ورد اسم الدجال في عشرات الروايات من الفريقين السنة والشيعة، بحيث لم يطرأ شك في حتمية هذه العلامة في آخر الزمان.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَكَانَ قَارِئًا لِلْكِتَابِ قَالَ قَرَأْتُ فِي الْإِنْجِيلِ وَذَكَرَ أَوْصَافَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أَنْ قَالَ تَعَالَى لِعِيسَى أَزْفَعُكَ إِلَيَّ ثُمَّ أَهْبِطُكَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِتَرَى مِنْ أُمَّةٍ ذَلِكَ النَّبِيِّ الْعَجَائِبَ وَلِتُعِينَهُمْ عَلَى اللَّعِينِ الدَّجَالِ، أَهْبِطُكَ فِي وَقْتِ الصَّلَاةِ لِتُصَلِّيَ مَعَهُمْ إِنَّهُمْ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ.^١

من هو الدجال؟ وما هي صفاته؟

اجمعت الروايات على أَنَّ الدجال قد صُيغ بدم الضغائن والخبائث وطلي بأنواع الشرور والروائث، بل لم يدع دماً إلا سفكه، وعرضاً إلا انتهكه، وقد زيف نفسه ببيرق الإصلاح والمحبة.

فلذا نَحَله أهل البيت ﷺ اسم الدجال، ووصفوه بالقبح خُلُقاً وخُلُقاً.

بل قال ﷺ: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيَّ قَبْلِي إِلَّا وَقَدْ وَصَفَ الدَّجَالُ لَأَمْتِهِ"^٢

وقال: الدجال لا يولد له، ولا يدخل المدينة ولا مكة"^٣

وقال أمير المؤمنين ﷺ: "يُخْرَجُ مِنْ بَلَدَةٍ يُقَالُ لَهَا أَصْبَهَانُ، مِنْ قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِالْيَهُودِيَّةِ"^٤

وذكرت بعض الروايات أَنَّهُ يُخْرَجُ مِنْ خَرَّاسَانَ، فَعِنَهُ ﷺ: "يُخْرَجُ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ مِنْ مَرَوْ

مِنْ يَهُودِيْنَهَا"^٥

وفي بعضها: خارج خلة بين الشام والعراق^٦

صفته في خلقه

ورد عن رسول الله ﷺ: "إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ

١. مجاز الأنوار، ج ٥٢، ص ١٨١

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ٦

٣. المصدر نفسه، ص ٣٥، ح ٣٩٤

٤. موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ٢٢١

٥. عقيدة المسيح الدجال، ٢٧٧

٦. المصدر السابق

المسيح الدجال رجلٌ قصير، أفحج جعد أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا حجراً، فإنَّ التبس عليكم فاعلموا أنَّ ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا^١ وفي بعضها: "الدجال أعور عين الشمال، بين جبينه مكتوب كافر، وعلى عينه ظفرة غليظة".^٢

بل من شدة افتتان الناس به في آخر الزمان، وأتته الحد الفاصل بين الإيمان والكفر قال ﷺ: "ما من نبي إلا وقد أُنذر أُمته الأعور الدجال، ألا وإِنَّه أعور... مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه كل مؤمن"^٣

النبي ﷺ يؤسس قاعدة محكمة لفتنة آخر الزمان، فلذا صبَّ كلماته وصهرها في بوتقة التعجب، ليفيق السابت من غفوته، وينقلها للأجيال بحدث مهم، حتى ليكاد يحسن مستمعها ويفقد عقله، من شدة دهشته بالفتن المقبلة على ذريته في آخر الزمان. وفي أحاديث كثيرة "ثلاث فتن في هذه الأمة... وملحمة الروم، وملحمة الدجال، ليس بعد ملحمة الدجال ملحمة".^٤

وعن كعب "إذا رأيت همدان المشرق، وقد نزلت بين الرستن وحمص فهو حضور الملحمة وخروج الدجال".^٥

فأعطى أوصافه ليتقي شره كل من رآه، وهذا يقتضي أن يكون الإنسان قد مهَّد نفسه قبل ظهوره، لئلا يلحق في ركب قافلته.

وأنَّ يكون قد حذَّر ذريته وقبيلته، بل أهل ملته من الالتفاف تحت عبائته المشبوهة. ثمَّ إنَّ النبي ﷺ يؤكد على التفصيل بعد الإجمال، فيقول إنَّ عينه ليست بناتئة، فهي لم تخرج إلى الخارج، وليست حجراً في الحجر داخلية، بل عين طبيعية لكنَّها مغمضة لا نور فيها.

ثمَّ يؤكد ﷺ أنَّه فرعون ونمرود هذه الأمة فادعى الربوبية كما ادعياها، ثمَّ يحجم نطاقه

١. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ٥، ح ٣٨٢

٢. الإمام المهدي واليوم الموعود، ص ٣٦٢، نقلاً عن الفتن لابن حمادة، ص ١٤٦

٣. المصدر نفسه

٤. معجم أحاديث الإمام المهدي، ٢٣١

٥. المصدر نفسه، الحاشية

ويعطي قاعدة عقائدية، إنَّ الله عزَّ وجلَّ ليس بجسم ولا صورة وليس له مكان ولا زمان. وقد احتمل البعض أن يكون كلام رسول البشرية ﷺ عن الدجال وأعماله، إنَّما هو رمز (شيفرة) لحالة الهذيان والكذب والتزوير، وإلى انقلاب الصورة الإسلامية التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور، إلى صورة مشوَّهة القلب والقالب، إلى الحالة التي تسود المجتمع الإسلامي، فلا يرى الناس الحق والحقيقة لانطماس الحقائق، ولا يرون إلا من جانب واحد فقط، فيميلوا حيث مالت بهم أهواؤهم.

ولكنَّ الصواب، إنَّه رجل متموِّل غني له أتباع، فيمسح عقول البشر، بالغسل الدماغى من جرَّاء تزييف المعادلات والكذب المتكرر، لكن هو نفسه قد يكون أعمى البصيرة لا البصر.

والدليل على ذلك

قوله ﷺ: فإن التبس عليكم فاعلموا أنَّ ربكم ليس بأعورا وهل يمكن لله تعالى أن يتجسَّد؟! ألا تكون هذه الجملة لغوية، «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ» بل «إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ».

أتباعه أهل الشره في الطعام

وبَيَّنَّ النبي ﷺ أنَّ سلطانهم المبين وهمهم العظيم بطونهم، فقال ﷺ: "يخرج الدجال فيتبعه ناس فيقولون: نحن شهداء أنَّه كافر، وإنَّما نتبعه لنأكل من طعامه ونرعى من الشجر، فإذا نزل غضب الله نزل عليهم جميعاً".

بل إنَّ وجوههم من كثرة الطعام ضخمة وكأنَّها مشوَّهة من الاحمرار والبشور والتشققات فهيئتهم تشعر بالرعب، إذ سيماء الصفاء والنقاء والمحبة قد نزعَت، وبدت عليها علامة القساوة والحقد من كثرة القتل والتنكيل والحقد الذي يكيلونه لأصحاب الإمام ﷺ.

الدجال سامري الأمة

ويبدو أنَّه رجلٌ ذكي، ولكنَّه ماكر وداهية، فاستعمل قدراته السلبية في إضلال عباد الله. فقد ورد عن النبي ﷺ في وصفه: "يخرج ومعه جنة ونار، وجبل من خبز، ونهر من ماء، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب، يدخل الآفاق كلها إلا مكة ولابتيها،

والمدينة ولايتها".^١

فيتبين من روايته أنَّ الشاحنات العظيمة المليئة بالطعام وزخارف الدنيا معه.

الابتلاءات التي يبتلي بها الناس من الدجال

١. تدفق الأموال والطعام والشراب

قبل خروج الدجال يُبتلى الناس بالجوع والفقر، فعن النبي ﷺ: "يكون قبل خروجه سنون خمس جذب، يهلك كل ذي حافر"،^٢ فالناس تكون بحالة شدة واستغاثة، وقد ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه: «لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» (آل عمران: ١٨٦)، «الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» [العنكبوت: ١ - ٢]

فتهاقت الناس عليه من كل صوبٍ وحذب.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: "وَلَكِنْ إِذَا اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ وَالْفَاقَةُ وَأَنْكَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَقَّعُوا هَذَا الْأَمْرَ صَبَاحًا وَمَسَاءً"^٣

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "يَأْخُذُهُمُ الْقَحْطُ وَالْغَلَاءُ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى يَبْلُغَ"^٤

٢. تعذيب المؤمنين وقتلهم

يقول النبي ﷺ: "معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار"، كما يقول تعالى: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ» [الأنعام: ٤٤]

معه جنة الدنيا من كل ما لذ وطاب، فيعرض على المؤمن فيأبى، ويكون حجر المجاعة على بطنه فيعذب، فيكشف الله تعالى الغطاء عن وجه المؤمن فيرى ببصيرته عين سريرة الدجال بأنه هوائي النفس، وأنه رجل كافر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: "بين عينيه مكتوب كافر يقرأه كل كاتب وأمي"^٥ فيعرفه بسمته؛ لأنَّ أمارة الكفر وعلامتها على وجهه فلا يخفى عليه وجه الصواب.

١. إكمال الدين وإتمام النعمة

٢. الإمام المهدي واليوم الموعود، ص ٣٦٨، عن مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٣٤٧

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٨٥

٤. المصدر السابق، ص ٢١٩

٥. المصدر السابق، ص ١٩٤

ولو كتب على وجهه كافر؛ لأزالها بنفسه ولما ضل أتباعه؛ لأنه ممّوه وموشح بوشاح الخير، إذ أنه يوعز إليهم بأصدق على الفقراء، يريد أن ينجيهم من بوائق الدهر فلبس عليهم دينهم.

وقد حذر النبي ﷺ من تهوّر الناس وانقلابهم على أعقابهم، ومن عبادة الله على حرف، ومن نقض الغزل من بعد قوة انكاثاً، فقال ﷺ: "لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال"^١

ومن هنا دقّ رسول الله ﷺ ناقوس الخطر، وأعطى أمتة خطام زمام أحاديثه، ودعاهم للحذر من الفتن الشعواء، ما أقلتهم الغبراء، مؤكداً على التهيئة والاستعداد في كل زمان ومكان وتخطي العقبات لئلا ينزلق المؤمن في متاهات النفس الأمارة بالسوء لأنه إن استطاع اقتحام العقبات كان أقدر على الانفلات من برائن فتنة الدجال.

٣. الجاه والشهرة

بما أنّ الدجال يملك على شرق الأرض وغربها -إلا مكة والمدينة وما حولهما كما ذكر- لأنّ الناس كما قال أمير المؤمنين عليه السلام أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

فإنّ الناس تنهافت على الدجال يبتغون عنده العزة، ومن كان له حظوة وسعادة فإنّه يرفو ويركض للانضمام إليه، حتى يوعز الناس بعضهم إلى بعض ويسرون إليهم النبا السار، بسرعة الالتحاق به، ويعطى بعضهم الرشاوي ليقبله من جنوده، بل يزرى ويهمل بالذي ينوء بنفسه خوفاً من سقوطه في مهوى طغيانه.

قال النبي ﷺ: "يتبع الدجال من يهود أصبهان (أصفهان) سبعون ألفاً عليهم الطيالة، وثلاثة عشر ألف امرأة"^٢

والطيلسان هو اللباس الفاخر الذي يلبسه العلماء والخواص والكبراء، وأكثر ما يكون منه الأخضر الفاخر.

١. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ١٨، ح ٣٨٨

٢. المصدر السابق، ج ١، ح ٢١٠

وفي رواية أخرى "ليهبطن الدجال خوز" خوزستان "وكرمان في ثمانين ألفاً كأن وجوههم المجان المطرقة يلبسون الطيالة وينتعلون الشعر" وهذا دلالة على أنه حتى في أقدامهم يلبسون الريش والشعر، وهذا أقصى ما يكون من لباس الشموخ والكبرياء.

وتبين الروايات الأخر أنه ليس المقصود اليهود هم أهل التوراة، بل اليهود ومن تهوّد وخطى خطاهم، وعانق مبادئهم، بل كان قلادة في أعناقهم يتزينون بها، ويلوحونها كما شاؤا، وقد قال ﷺ: "من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً، فإن أدرك الدجال كان معه، وإن هولم يدركه بعثه الله في قبره فأمن به"^١

وقال ﷺ: "يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم السيجان"،^٢ وقال أيضاً: "كأنني بمقدمة الأعور الدجال ستمائة ألف من العرب يلبسون السيجان"

والسيجان هو نوع من السمك، أي جيش منظم عليهم لباس ممّوه وممّوج كأنه قشور السمك، ويموجون موجاً من كثرتهم فتراهم وكأنهم بحر لا يرى أوله من آخره.

٤. أسلم المواضع في فتنة الدجال

سأل أبو موسى الأشعري أمير المؤمنين ﷺ عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السيف، فقال ﷺ: "فأسلم المواضع يومئذ قصبة قم، تلك البلدة التي يخرج منها أنصار خير الناس أباً وأماً وجداً وجدّةً وعمّاً وعمّةً"^٣

وفي حديث عن بعض أصحاب الإمام أبي عبد الله ﷺ قال: "كُنَّا عِنْدَهُ جَالِسِينَ إِذْ قَالَ مُبْتَدِئاً خُرَاسَانُ خُرَاسَانُ سِجِسْتَانُ سِجِسْتَانُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِهِمَا رَاكِبِينَ عَلَى الْجِمَالِ مُسْرِعِينَ إِلَى قُمْ"^٤.

وعن سليمان بن صالح قال: "كُنَّا ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا بَنِي عَبَّاسٍ وَمَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنْهُمْ، فَقُلْنَا: جُعِلْنَا فِدَاكَ، فَأَيْنَ الْمُنْفَرُ وَالْمَقَرُّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ فَقَالَ ﷺ: إِلَى الْكُوفَةِ وَحَوَالِيهَا، وَإِلَى قُمْ وَتَوَاحِيهَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: فِي قُمْ شِيعَتُنَا وَمَوَالِينَا وَتَكْثُرُ فِيهَا

١. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ح ٢١١

٢. موسوعة الإمام المهدي، ج ٤/٢٢٤

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي

٤. موسوعة الإمام المنتظر، للسيد محمد حسين ميرباقر، ج ٤٤، ص ٢٢٢

٥. بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٢١٥، والأخبار في هذا المعنى متضافرة.

الْعِمَارَةُ وَيَقْصِدُهُ النَّاسُ وَيَجْتَمِعُونَ فِيهِ حَتَّى يَكُونَ الْجَمْرُ بَيْنَ بِلَدَتِهِمْ".^١

وفي بعضها: "إِنَّ قَمَّ يَبْلُغُ مِنَ الْعِمَارَةِ إِلَى أَنْ يَشْتَرِيَ مَوْضِعَ فَرَسٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ".^٢
فأوتاد الأرض هم العلماء والمتقون، فبفضلهم وتكتلهم واستشاراتهم ووحدهم يديرون أمر
البلد، وينظمونه، فلن يجعلوا سبيلا للفتن بالدخول إليها، علاوة على ذلك، فإن ارتباطهم
بجبل الله المتين يهبط عليهم الرحمة، ولا يذيقهم بأس عدوهم.

٥. انهزام الدجال ومقتله

وبينما القتال مستعرا، ولم تشتد أواصر حكومة الدجال "ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند
انفجار الصبح، ما بين مهرودين، وهما ثوبان أصفران من الزعفران... بيده حربة يكسر
الصليب، ويقتل الخنزير، ويهلك الدجال"^٣
"يقتل ابن مريم الدجال بباب لُدٍّ".^٤

وفي رواية الشيخ الصدوق: "يقتله الله عز وجل بالشام على عقبة تُعرف بعقبة أفيق"،^٥
لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلي عيسى بن مريم خلفه".^٦
وفي رواية طويلة يقتله الإمام عليه السلام: "آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال،
ويظهر الأرض من كل جور وظلم".^٧

ويمكن الجمع بين الروايات أن قاتله نبي الله صلى الله عليه وآله بأمر من الإمام الحجة عليه السلام؛ لأنه هو القائد
حينئذ، فكل المعركة والأحداث فيها تُنسب إليه حقيقة سواء كان المباشراً بالإذن.
٦. النداء من السماء

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: "كم من مؤمن متأسف حزّان حزين عند فقد الماء المعين،
كأنّ بهم أسرما يكونون، وقد نودوا نداءً يسمعه من بُعد، كما يسمعه من قرب، يكون رحمة

١. المصدر السابق

٢. المصدر السابق

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ح ٣٦١

٤. اللد: مدينة في فلسطين

٥. المصدر السابق، ح ٣٧٥

٦. عقبة بفلسطين قرب نابلس

٧. إكمال الدين، الصدوق، باب حديث الدجال، نقلاً عن الإمام المهدي واليوم الموعود، ص ٣٧٤

٨. النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، آية الله الشيخ حسين الطبرسي النوري، ج ١، ص ٣٩٩

للمؤمنين وعذاباً للكافرين، فقلت: وأيُّ نداء هو؟ قال: ينادون في رجب ثلاثة أصواتٍ من السماء، صوتاً منها: ألا لعنة الله على الظالمين،^١ والصوت الثاني: أذفت الأذفة يا معشر المؤمنين،^٢ والصوت الثالث يرون بدنأً بارزاً نحو عين الشمس، هذا أمير المؤمنين قد كثر في هلاك الظالمين.^٣

وعن سيف بن عميرة قال: "كنت عن أبي جعفر المنصور فسمعتة يقول ابتداءً من نفسه، يا سيف بن عميرة: لا بدُّ من منادٍ ينادي باسم رجلٍ من ولد أبي طالب من السماء، فقلت يرويه أحد من الناس؟

قال: والذي نفسي بيده لسمع أذني منه يقول: لا بدُّ من منادٍ ينادي باسم رجل من السماء... ثم قال: يا سيف لولا أنني سمعت أبا جعفر محمد بن علي يحدثني به، ثم حدثني به أهل الدنيا ما قبلت منهم، ولكنَّه محمد بن علي عليه السلام".^٤

وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "ينادي منادٍ من السماء أول النهار يسمعه كل قوم بالسنتهم: ألا إنَّ الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض: ألا إنَّ الحق في عثمان وشيعته، فعد ذلك يرتاب المبطلون".^٥

فالصيحة والنداء من السماء كانت من الأمور البديهية الحتمية التي يتلقفها الناس، حتى أنَّ أبا جعفر المنصور مع عدائه للإمام الباقر عليه السلام يعلم في قرارة نفسه أنَّ العلم اللدني الغيبي إنما هو عند أهل البيت عليه السلام، وأنَّ أقوالهم حجة.

متى يكون النداء؟

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: "إنَّ القائم صلوات الله عليه ينادي اسمه ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء، يوم قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام".^٦

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام: "كأنِّي بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين

١. هود: ١٨

٢. النجم: ٥٧

٣. الغيبة للطوسي، ص ٢٣٩

٤. نفس المصدر، ص ٢٣٢

٥. الغيبة للطوسي، ص ٢٣٥

٦. نفس المصدر، ص ٢٥٢

الركن والمقام، بين يديه جبرائيل عليه السلام ينادي البيعة لله...^١.

الفصل الثاني: العلامات غير الحتمية

من المعلوم أنه يحصل البداء في بعض الحوادث، والوقائع، وليس هذا نقص في علم الله تعالى، وإنما هو إما تقصير من العباد، وإما خفاء علمه عز وجل عنهم لمصالح لا يعلمونها. إضافة إلى أن أهل البيت عليه السلام لو أظهروا علمهم كاملاً لاختل النظام، وفي الحديث: "من الجهل أن تظهر كل ما تعلم". فلذا أخفوا عن الناس بعض علومهم اليقينية ليتوقعوا الظهور في أي آن، وليعملوا بجِدِّ واجتهاد، ولا يتكلوا على العلوم الغيبية فحسب. وسنذكر بعضها:

١. ادعاء النبوة

روي عن رسول الله ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ نَحْوُ مِائَةِ سِتِّينَ كَذَّابًا كُلُّهُمْ يَقُولُونَ أَنَا نَبِيٌّ"^٢. وعن الإمام الصادق عليه السلام: "لَا يَخْرُجُ الْقَائِمُ حَتَّى يَخْرُجَ اثْنَا عَشَرَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ كُلُّهُمْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ"^٣. وهذا لأن الفساد يستشري ويُبعد الناس بالزمن عن النبوة والإمامة فيغربوا ويمحصوا ويميزوا، ويخرج الخبيث من الطيب.

٢. الموت الأحمر والأبيض

عن سليمان بن خالد قال: "سمعت أبا عبد الله عليه السلام: "قُدَّامَ الْقَائِمِ ﷺ مَوْتَانِ مَوْتُ أَحْمَرٍ، وَمَوْتُ أَبْيَضٍ، حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ كُلِّ سَبْعَةِ خَمْسَةٍ، فَاَلْمَوْتُ الْأَحْمَرُ السَّيْفُ، وَالْمَوْتُ الْأَبْيَضُ الطَّاعُونُ"^٤.

١. نفس المصدر، ص ٢٥٣

٢. مجار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٠٩

٣. المصدر السابق، ٢٠٩

٤. المصدر السابق، ٢٠٧

وعن أبي بصير ومحمد بن مسلم قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: "لَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَذْهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ، فَقِيلَ لَهُ: فَإِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا النَّاسِ فَمَا يَبْقَى؟ فَقَالَ عليه السلام: أَمَّا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا الثُّلُثَ الْبَاقِي".^١

وهذه الروايات تؤكد مصير الناس، بل قد يقال بحتميتها، إذ أَنَّ الإمام عليه السلام لا بُدَّ أَنْ يطهر الأرض من الفساد، بإمدادٍ إلهي، سواء كان من الخسف بالأعداء، أو إلقاء الرعب في قلوبهم؛ لَأَنَّهُ عليه السلام منصورٌ بالرعب.

فإذا بقي المفسدون فسيكون إسلامهم بالقهر وقوة السيف، وسيبقى النفاق متغلغلاً في القلوب، ولن تقهر القلوب الغرقى بالظلم والظلام، إِلَّا بدحر الشرك والكفر والنفاق، حتى تنقذ وتنعم البقية بالرفاء والسعادة والطمأنينة ورغد العيش.

٣. خسوف القمر وكسوف الشمس في غير وقتهما

ورد عن أبي جعفر عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: "آيَتَانِ بَيْنَ يَدَيِ هَذَا الْأَمْرِ، خُسُوفُ الْقَمَرِ لِحَمْسٍ، وَكُسُوفُ الشَّمْسِ لِحَمْسٍ عَشْرَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُنْذُ هَبَطَ آدَمُ عليه السلام إِلَى الْأَرْضِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ سَقَطَ حِسَابُ الْمُنْجِمِينَ".^٢

وعن الإمام الصادق عليه السلام: "علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة منه".^٣

وعن الإمام الباقر عليه السلام: "آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره".^٤

فقال الرجل: يا بن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر، والقمر في النصف؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: "إِنِّي لأَعْلَمُ بِمَا تَقُولُ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ لَمْ تَكُونَا مُنْذُ هَبَطَ آدَمُ عليه السلام".^٥

ولعلَّ تغير النظام الكوني متعلق بنظام العالم، إذ هناك علم النجوم الذي يعتمد عليه في

١. المصدر السابق، ٢٠٧.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٠٧.

٣. موسوعة الإمام المنتظر، ج ٤، ص ١٤٣.

٤. المصدر السابق.

٥. المصدر السابق.

معرفة بعض الحوادث والأمور الحياتية أو المستقبلية، فلذا ليسلب الله تعالى علوم بعض الكهنة أو السحرة أو المنجمين ... فإنه يُغيّر الحالة السائدة إلى أحوال تتبدل بها علومهم بتغير الفلك والعالم العلوي والسفلي.

٤. طلوع الشمس من مغربها

عدّت بعض الروايات أنّ طلوع الشمس من مغربها هي من العلامات الحتمية، فعن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول: "خُرُوجُ الشُّفْيَانِي مِنَ الْمُخْتُومِ، وَالنِّدَاءُ مِنَ الْمُخْتُومِ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ مِنَ الْمُخْتُومِ...".^١ والروايات في هذا المضمار كثيرة، ولعلّه لنفس السبب في الكسوف والخسوف وتغيير النظام الكوني، وتبيين الآيات في الآفاق والأنفس، فلعلّ في ذلك يرعوي الطغاة عن غيهم، فيستكينوا لربهم بالتضرع والخوف، فيؤمن من في قلبه زيغ، وتذهب ريبة الشك والزيغ عن قلوبهم، بانجلاء آيات الله تعالى.

٥. مسخ طائفة على صورة القردة والخنازير

من الأحاديث الواردة أنّه قبل قيام القائم تظهر الناس على حقيقتها وواقعيتها، بصورتها الإنسانية أو الحيوانية، ويكشف الغطاء عن البصرويروا بعين البصيرة، ولعلّ ذلك إتماماً للحجة، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وأما الذين في قلوبهم مرض فلعلّها تكون آخراًية منذرة لهم، لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً.

فعن أبي بصير قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله عزّ وجلّ (عذاب الخزي في الحياة الدنيا)^٢ ما هو عذاب خزي الدنيا؟ قال: وأي خزي يا أبا بصير من أن يكون الرجل في بيته وحجّاله وعلى إخوانه وسط عياله، إذ شقّ أهله الحيوب عليه وصرخوا، فيقول الناس: ما هذا؟ فيقول الناس: مُسخ فلان الساعة، فقلت: قبل قيام القائم أم بعده؟ قال: لا، بل قبله".^٣

١. الغيبة للطوسي، ص ٢٣٥، ح: ٢٢٥

٢. فصلت: ١٦

٣. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٤١

وعن أبي بصير قال: "سئل أبو جعفر الباقر عليه السلام عن تفسير قوله عز وجل: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، قال: يريهم في أنفسهم المسخ، ويرىهم في الآفاق انتفاض الآفاق عليهم، فيرون قدرة الله في أنفسهم"،^١ وقال الشيخ المفيد: "ومسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قرده وخنازير".^٢

هذا ليخزيهم الله ويذلهم ويهينهم في الدنيا، وأمام أتباعهم قبل حلول القيامة والعذاب الأخروي، كما تقتضي المصالح الإلهية، فلعل ذلك يكون بمثابة عبرة وعبرة للناس، ليكتبهم فلا يحاولون بعد ذلك القيام على الإمام القائم عليه السلام.

١. المصدر السابق.

٢. الإمام المهدي وظهوره، ص ٢٢٢، نقلاً عن: الإرشاد للمفيد

دولة الإمام المهدي (ع) في السياق الحضاري:

العدالة ونهاية التاريخ

الدكتور محمد شقير^١

يدور البحث حول دولة الإمام المهدي (ع) في بعدها الحضاري، وكيف نعي هذه الدولة في سياق حركة التاريخ وفلسفته ونهاياته، ليضحى فهم هذه الدولة في سياق حضاري متكامل يشتمل على مختلف تلك الأبعاد الاجتماعية التي تتصل بالإنسان ومصيره، ومجمل قضاياها على هذا البسيطة.

ومن هنا، سوف نبحت إشكالية العلاقة بين دولة الامام المهدي (ع) والعدالة في إطار الأزمة الحضارية التي تعاني منها البشرية (أزمة العدالة)، وفي سياق التراكم التاريخي الذي سوف يوصل إلى تلك المرحلة - نهاية التاريخ -، والتي تتمثل بثورة الإمام المهدي (ع) ودولته وظهوره وإصلاحه.

لكن نجد من المبرر منهجياً بدايةً أن يطرح أكثر من سؤال حول فلسفة المهدوية ومختلف أبعادها، وكيف يجب أن يُنظر إليها في إطار الرؤية الكونية الإيمانية، وفهمنا لحركة التاريخ وغائته، وعلاقة كل ذلك بإشكالية العدالة ومحوريتها في الرسائل الالهية، والمسعى إلى إقامتها في الاجتماع البشري، وإخفاق التجربة البشرية عن إقامة حضارة العدالة، نتيجة لإعراضها عن رسالة العدالة، المتمثلة في الأطروحة الإلهية، وبيانها لجميع ما يتصل بتلك العدالة وقضاياها، والذهاب مقابل ذلك إلى تسطير تجربة تقوم على الإعراض عن تلك

١. أستاذ جامعة اللبنانية.

الأطروحة، مما أدى إلى تكريس نظام عالمي من اللاعدالة، وإلى عولمة اللاعدالة، وتكريس ثقافتها، وما نتج عن ذلك من اختلالات بنيوية، وأزمات، وحروب، ومآسٍ، وأضرار أصابت الاجتماع الإنساني بأسره.

سوف نحاول في هذا السياق التعمق في فلسفة المهدوية من حيث ارتباطها بقضية العدالة، ومحاوريتها في الفكر الديني، وكونها امتداداً لمشروع الإمامة القائم على إقامة القسط والدين (في تفسيره الحضاري المتمحور حول العدالة)، لتفهم الغيبة في فلسفتها، والمنهج المعتمد في تحليلها في إطار السياق الحضاري لمسار البشرية، وصراعاتها، ونهاية تاريخها، والذي ينبغي أن ينظر إليه في إطار الهندسة الإلهية لحركة التاريخ وغائيته.

من هنا، فقد أردنا في هذا البحث تناول هذه الإشكالية، وجملة العناوين والموضوعات التي ترتبط بها، على أن نبدأ بقضية العدالة وصلتها بالفلسفة المهدوية.

إشكالية العدالة في الفكر الديني والتجربة البشرية

إن جوهر ما جاء به الدين في رسالاته السماوية، هوثنائي الإيمان والعدل. الإيمان في المفهوم الديني، ليس مقولة تجريدية، أو مجرد فردية. بل هو مقولة عملية، ذات أبعاد مختلفة فردية، واجتماعية. هو ارتباط بالله تعالى، ذي الكمال المطلق، وصفات الجمال والجلال، بما فيها صفة العدل. والعدل هو من أهم تجليات الإيمان بالله تعالى والقرب منه، في المجالين الفردي والاجتماعي. فمن كان مؤمناً بالله تعالى حقيقة الإيمان، لا يمكن إلا أن يكون عادلاً في سلوكه الفردي والاجتماعي. ومن يفعل عدلاً، لا يمكن لفعله هذا، إلا أن يكون ذا قيمة دينية مهمة، وسبب قرب من الله تعالى، أو قرب من تقواه «اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»^١.

لكن، في الوقت الذي تُستمد فيه مقولتا الإيمان والعدالة من حقيقة واحدة، وتنطويان على علاقة جدلية في غاية العمق والجمالية؛ توجد بينهما مفارقة جوهرية، وهي أن مقولة الإيمان (والكفر) تدخل في إطار الاختيار الفردي، أي في الشأن الخاص: «مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ»^٢. حيث: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»^٣. أما مقولة

١. سورة المائدة، الآية ٨.

٢. سورة الكهف، الآية ٢٩.

العدل والظلم ببعدها العام، فلا تدخل في الاختيار الفردي، ليس بمعنى الجبر وسلب الاختيار، بل بمعنى أنها ليست أمراً قابلاً لأن يحبس في الشأن الفردي، ولا يصح فيها القول: (لا إكراه في العدل)، بل هنا يجب أن تفرض العدالة، في حين لا يصح فرض الإيمان. هنا يجب إقامة العدل، سواء على من قبل به أم لم يقبل، في حين لا يمكن فرض الإيمان على من لم يعتقد به.

صحيح إن القرآن ربط ما بين فلسفة الخلق والعبادة: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»^١، لكنه صحيح أيضاً أنه ربط ما بين فلسفة الرسالة الإلهية، وما بين العدالة: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»^٢، حيث يبين أن القسط وإقامة العدل، هو هدف أساس وجوهري لرسالة الأنبياء، على مدار التاريخ. هذا من ناحية النص الديني، ودلالاته الأصلية، ومعانيه الصافية؛ لكن ماذا لو أتينا إلى الواقع الديني وتجربة الاجتماع الإنساني، فما الذي يمكن أن نجده في هذا السياق؟

للأسف لا بدّ من القول، إن أكثر من خطاب ديني يطمس مقولة العدالة، ويقتصر على مقولة الإيمان. بل لعل أكثر من فهم ديني، لم يدرك جوهرية العلاقة بين العدل والإيمان، وتجلياتها المجتمعية والاقتصادية والتربوية والثقافية... لذلك تراه ينجح (بمعنى ما) في صياغة مشروع ذي مضمون عبادي-إيماني، ولكنه يفشل في صوغ مشروع يحقق مقولة العدالة الشاملة والبنوية، في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ينجح في سوق الناس إلى المساجد، لكنه يفشل في توزيع الثروة وتحقيق التنمية بشكل عادل.

إن أكثر من جماعة دينية قد نجحت في إقامة الصلاة، لكنها فشلت في إقامة العدالة في أكثر من ميدان. مع إن حقيقة الصلاة تكمن في إقامة العدالة، بل لم يقم الصلاة من يكسل في إقامة العدالة. أو قد يحصل أن تنجح تلك الجماعة في إقامة شعائرها وتقاليدها الدينية، لكنها تفشل في تسييل مقولة العدالة بشكل فاعل في مختلف المجالات العملية، فضلاً عن حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية لمجتمعاتها.

١. سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

٢. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥.

ولعل من أسباب ما تقدم، إن فهم تلك الجماعة للعبادة التي تؤدّيها، قد جنح بها إلى نوع من الطقوسية، التي أخرجت عبادتها عن حقيقتها، وحرفتها عن أهدافها، وأفرغتها من مضمونها، والتي هي (أي العبادة) في جوهرها إقامة العدل، لأن السجود للعادل المطلق (الله تعالى)، لا تعني إلا إقامة العدل في هذه البسيطة، وبين الناس.

كما إن تلك الجماعات قد تجنح إلى البعد الدعوي في فهمها للدين وتطبيقها له، مع أن ذلك في مجمله - كما يمارس - ينضوي في الفعل الاستقطابي واللفظي ليس إلا، في حين أنها تنكفئ عن إقامة العدل، حيث تختبر حقيقة إيمانها، وصحة فهمها للدين، ومدى التزامها به، وبقيمه الأخلاقية والإيمانية.

ما ينبغي قوله هنا، هو إن هذه الإشكالية ليست خاصة بالاجتماع الديني، بل هي إشكالية ذات بعد عالمي. بمعنى أن كل الأطروحات الفكرية تحمل بشكل أو آخر عنوان العدالة، لكنها تفشل في تحقيقها في الميدان الاجتماعي والاقتصادي. إما للخلل في الرؤية الفكرية، أو لقصور في دراية جوهر الرسالة الإلهية (للمتدتين)، أو لعجز عن فهم الواقع ومتطلباته، أو لأسباب وعوامل أخرى ليس هنا محل ذكرها.

في المحصلة قد يستوي الجميع في العجز عن تحقيق ذلك الهدف، سواء العلماني أو الديني (بعض الإسلاميين، تجربة الكنيسة في القرون الوسطى...). في الإطار العلماني يمكن الحديث في الرأسمالية، التي قدمت الحرية على العدالة في رؤيتها الفكرية، وأطاحت بها نظرياً، قبل أن تطيح بها عملياً. الاشتراكية في صورتها الأولى، أرادت أن تنتصر لعدالة فئة، فظلمت أخرى. الكنيسة في القرون الوسطى، تحالفت مع الاقطاع والسلطة السياسية. فساهمت في ظلم عموم الشعب، وحرمانه من حقوقه. فضلاً عن كثير من التجارب البشرية الأخرى، التي لم تكن العدالة فيها جزءاً محورياً من مخزونها الفكري، أو لم تكن هدفاً أساسياً في مشروعها الاجتماعي والاقتصادي. وهو ما أدى إلى إيصال قافلة البشرية إلى إرهاصات مرحلة الانسداد الحضاري، أو بداياتها. تلك المرحلة التي تنم عن خلوجعبة البشرية من كل الأطروحات الفكرية، التي يمكن أن تشكل خشبة خلاص لها، من ذلك الانسداد الذي وصلت إليه. وهو ما يدل على فشلها في تحقيق خلاصها الحضاري، بمعزل عن الهداية الإلهية الحقة (المهدوية).

في التاريخ الإسلامي، لم يكن الأمر أفضل حالاً (عدا مرحلة التطبيق النبوي والمعصوم للعدالة)، حيث يغلب على كتب السير والتاريخ الحديث عن أحوال السلاطين، وفتوحاتهم وبطولاتهم. لكن في المقلب الآخر، كم استطاعت هذه الدولة أو تلك أن تقيم العدالة، وكم كانت نسبة الفقراء لديها، وكيف كانت توزع ثرواتها، وهل كانت تستخدم تلك الثروات لتحقيق مصالح عموم الناس، أم لمصالح السلطان وأعوانه...؟

إنَّ الأسئلة الأخرى التي لا يصح طمسها، ينبغي أن تدور حول العدالة الاقتصادية، والعدالة الاجتماعية، والعدالة في السياسات الضريبية، وفي الأعطيات (الأجور)، وفي توزيع الثروات، وإيجاد الفرص، وتحقيق التنمية العادلة في مختلف المجالات الاجتماعية....

إنَّ هذا الأمر ليس مقتصرًا على تاريخنا المعاصر، أو هذا التاريخ وذاك، بل يشمل مجمل مراحل التاريخ البشري، حيث استطاعت البشرية اكتشاف قوانين المادة، وتقدمت في مدنيّتها، وحققت تنمية ما... لكنها فشلت في تحقيق العدالة، وتسببت فئاتها المتحكمة بالمال والسلطة (المترفون) بكثير من المآسي، والمظالم، والحروب، والويلات، والمجاعات، والفقر، لكثير من أبناء البشر ومجتمعاتهم.

وهكذا كلما كانت تتقدم البشرية في عمرها، فالذي كان يحصل، مزيد من العلم، ومزيد من القدرة، ومزيد من الرفاهية. لكن في المقابل، قليل من العدالة، وقليل من القسط، وقليل من القيم الأخلاقية والإنسانية. أي كثير من الظلم، والجور، والفقر، والجوع، والأمية، والمرض، واحتكار الثروات، والفوارق المالية - الاجتماعية، وزيادة الهوة بين قلة من الأغنياء المترفين، وكثير من الفقراء المستضعفين.

تاريخياً، وفي الواقع المعاصر، لم تكن المشكلة لدى المجتمع البشري اقتصادياً واجتماعياً في قلة الموارد، بل كانت في لا عدالة التوزيع. ولعلّ العامل الأساس، الذي أدى ويؤدي الى الوقوع في تلك المشكلة، هو البعد القيمي والأخلاقي، في الأنانيات المجتمعية على اختلافها، وفي مدى القدرة على لجم نوازع النفس البشرية الى الاستثثار، والطمع، والجشع، وحب الاستزادة. فضلاً عن الأطروحة الفكرية، التي يجب أن تركز عليها مقولة العدالة، ومدى قدرة هذه الأطروحة على إنتاج معايير واقعية وشفافة وواضحة لإقامة العدالة، وفي القدرة على تسجيل قيمها في الاستراتيجيات الاقتصادية، والرؤى الاجتماعية، وفي السياسات،

والقوانين، والقرارات ذات الصلة.

إذن هذه هي الأزمة الأساس التي يعاني منها الاجتماع البشري في مجمل مراحل التاريخ، وهي الأزمة التي يعاني منها اجتماعنا المعاصر، والتي تنتج مجمل الأزمات الأخرى. إنها أزمة اللاعدالة التي انتشرت وتحكمت، ولم تبق مجرد فعل سلطة يحكي نهمها وتغولها، أو تراث سلطاني أنتجه فقهاء السلطان، أو مجرد وعي سياسي عُمل على إفساده، أو ثقافة مجتمعية عُمل على تشويهها، أو فكر عقيم ينظر للطغيان واللاعدالة؛ بل تحولت تلك الأزمة الى نظام عالمي يتحكم بالعالم بأسره، وبجميع مرافقه ومجالاته، إنه نظام من اللاعدالة، الذي يتحكم بالاقتصاد، والمال، والسياسة، والثروات، والوعي، وبكل شيء يمكن أن يصل إليه سلطانه.

إنّ ما هو قائم في هذا العالم هو نظام بنيوي من اللاعدالة. أزمة اللاعدالة أصبحت أزمة بنيوية. لقد عُمل على عولمة اللاعدالة، وإحكام سلطانتها على هذا العالم. إن بنيوية اللاعدالة واختلالاتها المفرطة، قد شملت جميع أوجه الحياة البشرية على هذه البسيطة. هذه هي الأزمة التي تريد المهدوية التغلب عليها، واستئصالها، وعلاج تداعياتها، وهدم سلطانتها، وكنس جميع آثارها. بل هي الأزمة التي لا يمكن تجاوزها إلا بالمهدوية ومشروعها. المهدوية في فلسفتها مشروع لهدم بنية اللاعدالة ونظامها المعولم، بهدف إعادة تشكيل بنية عالمية، تقوم على العدالة وقيمها في الثقافة، والسلوك، والاقتصاد، والسياسة، والحقوق، وفي جميع مظاهر الحياة البشرية على هذه البسيطة.

ومن هنا يمكن القول إنّ المهدوية هي مشروع تغيير إلى العدالة في بني الاقتصاد والمال والسياسة، وفي منظومات الوعي والفكر والثقافة، وفي أكثر من فهم سائد ينسب إلى الدين، بل في معايير صناعة الهويات والانتماء، وفي طبيعة الانقسامات الأمية والمجتمعية وتمايزها.^١

١. إن بناء النظام العالمي على أساس من العدالة، وإقامتها في أعلى مستوياتها وأبعد مدياتها، بعد فشل جميع الأطروحات البشرية في تحقيقها، حتى لا يبقى أحد يدعي امتلاكه القدرة على فعل العدالة وإقامتها إلا جرب ما لديه، وأخفق في تحقيق ذلك الخلاص الإنساني؛ إن هذا الأمر يستفاد من العديد من الروايات التي وردت عن أئمة أهل البيت (ع)، والتي تحوي فلسفة ذات مضمون حضاري وتاريخي غاية في العمق للمهدوية والغيبة وفلسفتها ومقاصدها، حيث ينبغي تفسير مجمل نصوص المهدوية مندكة في تلك الروايات ومن خلالها. حيث ورد عن الإمام

وبناءً على هذه الثقافة المهدوية يمكن القول إنه، إذا كانت الشعارات السابقة التي رفعت، تدور بين "يا عمّال العالم اتحدوا" أو "يا رأسمالي العالم تحالفوا"؛ فإنّ نداء المهدوية هو: يا مظلومي العالم اتحدوا، وتعاونوا على رفع الظلم عن كاهل البشرية، لأنّ الإرادة الإلهية ستكون حليفكم ومعكم، وأنّه سيخرج قائد إلهي (المهدي)، ليقود جموع المظلومين والمستضعفين، لتحقيق العدل على هذه الأرض، بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً.

في المهدوية وفلسفة الغيبة

إنّ القراءة الدينية (الإسلامية) لمسيرة البشرية لا تقوم على أساس أن الفعل البشري فعلٌ جبري، كما لا تقوم على أساس أن مسير البشرية يتحرك بشكل عشوائي بعيداً عن التدبير الإلهي، ذلك التدبير الذي يهدف عند نهاية التاريخ إلى تحقيق الأطروحة الإلهية على هذه الأرض، وإلى تحقيق "نظرية الاستخلاف" بأوسع معانيها، بما يشمل جميع أرجاء المعمورة. ويمكن القول بتعبير ثانٍ، إنّ الاعتقاد الديني يرى بأن رحلة قافلة البشرية قد بدأت من محلٍ ما، وسوف تنتهي في محلٍ آخر. إنّ بداية ذلك المسير كانت آدميّة، وسوف تكون النهاية مهدويّة. فلم تكن البداية صدقويّة، كما إنّ الخاتمة لن تكون عبثيّة. بل هناك تقدير إلهي لتلك القافلة ومسيرها، يقوم على الهداية وتوفير أسبابها من جهة، وعلى الاختيار البشري وقيام الحياة البشريّة على البلاء من جهة أخرى.

وكما إنّ بداية الحياة البشريّة كانت إبتلائيّة، فإنّ نهايتها سوف تكون إبتلائيّة، وكذلك الوصل ما بين البداية والنهاية هو من طبيعتهما. يقول الله تعالى: «خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

الباق (ع): «دولتنا آخر الدول، ولن يبقى أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لنألا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾» (الطوسي، الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ١٤١١ هـ، ط ١، ص ٤٧٢).

وعن الإمام الصادق (ع): «لا يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا قد ولّوا على الناس، حتى لا يقول قائل: إنا لو ولّينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل» (النعمان، الغيبة، منشورات أنوار الهدى، قم، ١٤٢٢ هـ، ط ١، ص ٢٨٢).

حيث من الواضح إنّ هذه النصوص تقدم تفسيراً لنهاية عدالية للتاريخ، ترتبط بالانسداد الحضاري، وفشل جميع الأطروحات الوضعية في تحقيق العدالة، ليفهم المشروع المهدوي على أساس من محوريات العدالة تلك، وكونها ختم التاريخ في حركته وغايته.

لِيَبْلُوكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا»^١.

البلاء هنا بمعنى توفير الفرصة للإنسان للتكامل وصناعة إنسانيته وكمالاته المعنوية، والقرب من الله تعالى، حيث يوفّر الله تعالى للإنسان كل العوامل التي تساعد على حسن الاستفادة من هذه الفرص للتكامل إليه. أي إنّ الابتلاء يقوم على الهداية الإلهية بأفضل مراتبها، كتعبير عن رحمة الله تعالى، وحكمته، وجميل صنعه بالإنسان ومصيره.

وهذا يعني وجود الهادي (الحجة)، الذي تتوفّر لديه القدرة على القيام بوظائف الهداية الإلهية، بتعليم من الله تعالى وعصمته، حيث لا يمكن لهذه العصمة أن يشوبها خطأ أو شك، وإلا سوف تنقلب إلى ضدها، وتُفقد الثقة بها، وقد لا تختلف كثيراً عما في أيدي البشر.

ومن هنا، كان في كل عصر من يختاره الله تعالى لهداية تلك القافلة، وبيان حقائق الدين وحقائق الكتاب، وجميع ما يتصل بمعاني العدل وقضاياه، دون خطأ أو زلل، حتى لا يقول أحد بأن الله تعالى أوقعه في الخطأ، عندما لم يوفر له أسباب الهداية كاملة في عصره وزمانه^٢. لكن هذا البيان إنّما هو من أجل أن يُعمل به، وليُبنى الاجتماع الإنساني على تعاليمه. أمّا إن عمل على رفضه وصدّه والإعراض عنه، فإنّ نتيجة ذلك سوف تتبدّى في إيكال ذلك الاجتماع إلى نفسه وتيهه.

ومن هنا يمكن القول إنّ وجود هذا الحجة والهادي إلى الله تعالى، والمبّين لحقائق الدين؛ إنّما هو من أجل إقامة الأطروحة الدينية في هذه البسيطة وفي جوهرها العدل، حيث يمكن القول إنّ فعل الإيجاد وعملية الخلق في المعتقد الديني ليست عملية عبثية، أو خالية من الحكمة. وإنّ الشأن الديني ليس شأنًا ما ورأياً بحتاً، بل هو أيضاً شأن دينوي، يتمظهر في مختلف مجالات الحياة بهدف تحقيق عبودية الإنسان لله تعالى، لأن كنه هذه العبودية لله تعالى يعني تعالي الإنسان بالله تعالى، وتساميه به، وتحقيقه لإنسانيته، بينما خضوع الإنسان لميوله المنحطة يعني تسافل الإنسان، وإن تمظهر هذا الخضوع بمظهر الحرية، أو أي

١. سورة المثلث، الآية ٢.

٢. راجع في هذا الموضوع: شقير، محمد، فلسفة الإمامة في الفكر الشيعي الإثني عشري، دار المعارف الحكيمة، بيروت، ٢٠١٧م، ط١، صص ٢١-٢٠؛ المازندراني، شرح أصول الكافي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٨م، ط٢، ج ٥، صص ٧٥-١٠٧ و صص ١٢١-١٢٩.

مظهر آخر.

لكن عندما يحصل أن يعرض الاجتماع البشري عن الله تعالى، ويعبر عن ذلك برفض الأطروحة الإلهية، فسوف تقتضي - الحكمة الإلهية عندها أن يختبر الإنسان إعراضه ذاك، ورفضه لتلك الأطروحة الإلهية في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والقانونية... لتدرك البشرية بالتجربة والوجدان، عدم قدرتها على الوصول إلى خلاصها الحضاري، طالما بقيت بعيدة عن التمسك بالعبودية لله تعالى في مختلف المجالات، وطالما بقيت تتعامل مع الأطروحة الإلهية معاملة ندية، تقوم على الإعراض عنها، والرفض لها.

إنّ التاريخ الديني قائم على أساس عدم انقطاع التوجيه الإلهي لقافلة البشرية، وذلك من خلال فعل النبوة وحركة الأولياء والأوصياء. وهنا عندما نتحدث عن التوجيه الإلهي (أو الهداية الإلهية) فهو ليس شأنًا وعظيماً بحتاً، بل إنّ هذا التوجيه قائم على أساس فعل الاستخلاف، الذي يعني تمثّل الإرادة الإلهية في مختلف المجالات الحياتية وشؤون الإنسان. لكن الذي كان يحصل في التاريخ البشري كلّهُ، أنه كلما كانت الأطروحة الإلهية ترتقي في جملة مضامينها ومدياتها، كان يتعاضم الرفض لها من قبل مجتمع المترفين وغيرهم، هذا الرفض الذي تتطلب في نهاية المطاف حرمان البشرية من ذلك الوجود العصموي الظاهر، أي من وجود تلك الأطروحة في مرتبتها العصموية، ومن تطبيقها الواسع والشامل بتلك المرتبة.

هذا وإنّ فلسفة الغيبة - غيبة الإمام المهدي (عج) - تعني - فيما تعنيه - تجميد ظرفي للأطروحة الإلهية في مرتبتها المعصومة، ومداها الشامل، وفي بعض وظائفها، بسبب رفض البشرية لهذه الأطروحة في شكلها النقي، وجوهرها الأصيل، في مقابل أخذها بأكثر من أطروحة وضعية؛ في تدبير إلهي يهدف إلى اختبار البشرية لتعاليمها أمام الله تعالى، والرسالات الإلهية على مدار التاريخ.

ونستطيع أن نقول من جهة أخرى، إنّ هذا الرفض لتلك الأطروحة في مرتبة الوجود الظاهر للإمام المعصوم أدّى في الواقع إلى حرمان البشرية منها، لكن غياب ممثل تلك الأطروحة، إنّما يعني بحسب الفهم الديني إجراءً اختبارياً لتعاليم الإنسان، يهدف إلى تمهيد الظروف الموضوعية لعودة تلك الأطروحة بأعلى مراتبها، بعد أن تكتشف البشرية فشلها في

إقامة العدالة، وعدم قدرتها على إدارة نفسها بمعزل عن الهداية الإلهية. ومن هنا كانت غيبة الإمام المهدي (عج) إجراءً اختبارياً وهادفاً في الآن نفسه، أي إن غيبة الإمام (ع) تهدف إلى القول للبشرية إنه إذا كنت ترفضين الهداية الإلهية المتمثلة في شخص الإمام، فما عليك إلا أن تختبري أطروحتك الوضعية، باعتبار إن فشل هذه الأطروحة في تحقيق أهداف الإنسان، وما يؤدي إليه هذا الفشل من ويلات، ودمار، وآلام، وحروب، وظلم، وقتل، وخراب، وصولاً إلى بلوغ مرحلة الانسداد الحضاري... كل ذلك سوف يفتح قلوب البشر، ويوجه آمالهم إلى رجائهم الأخير. وهو ما سوف يهيء الظروف الموضوعية لمشروع الظهور، وأهدافه الواسعة في عودة البشرية إلى الهداية الإلهية بأرقى مراتبها، وتقبلها لرسالة العدالة ومعانيها.

أما لماذا ينبغي للتاريخ البشري أن تطول أيامه قبل أن يعود عن تنكبه ويستفيق من كبوته تلك؛ فقد يصح القول: أولاً، لا بد أن تصل البشرية إلى مستوى تقرّ بفشلها وعجزها، وتالياً حاجتها إلى تبين الهداية الإلهية الحقّة، عندما تصل إلى مرحلة الانسداد الحضاري. وثانياً، لا بد أن تصل العولمة الثقافية والمعرفية والإعلامية إلى مستوى، تصبح فيه مفاهيم الدين وقيمه الأصيلة ومعارفه الحقّة في متناول جميع المجتمعات البشرية. وثالثاً أن يصبح التقدم المعرفي والعلمي والتكنولوجي إلى حد، يتحوّل فيه العالم بأسره إلى قرية كونية، حيث يمكن لجميع تلك المجتمعات البشرية أن تعاین ذلك الحدث المهدوي، وتتفاعل معه، وتلتقي بوظائفه، وتلاقي تجلياته.

الغيبة وفعل الإيكال الحضاري

يرتكز البحث في قضية الإيكال الحضاري على مقدمة مفادها، إن المشروع الحضاري الإلهي، والإسلامي تحديداً، يخترن هذه الرؤية، إن الهداية الإلهية، لا بد أن تستمر بأرقى تجلياتها وأكملها، في تصويب المسيرة البشرية، وهو ما يقتضي. بيان المعاني الدينية الحقّة بشكل دائم، بياناً لا خطأ فيه، ولا مجافاة لديه لما هو حق من الدين.

وهو ما يستلزم - كما ذكرنا - وجود من يبيّن - في بعض وظائفه - معاني الدين بشكل صحيح، وهو الرسول (ص) في زمانه، والإمام بعد زمان الرسول (ص)، وهو ما يصطلح عليه

بالحجة، حيث يكون الحجة عالماً بالمعارف الإلهية، بطريقة لا يشوبها شك أو خطأ، بتعليم من الله تعالى والإلهام منه. وليعرفه للناس، ويكون حجته عليهم.

وعليه يطرح هذا السؤال، إنه إذا كانت فلسفة وجود الحجة فلسفة وظائفية، تقتضي قيام الحجة - وهو الإمام المعصوم هنا - بوظائف بيان الدين الحق، ومن ثم إقامته «ليقوم الناس بالقسط»، فلماذا كانت تلك الغيبة للإمام المهدي (عج)؟ ألا يتنافى هذا الأمر مع مبررات قيام الحجة بتلك الوظائف المذكورة آنفاً؟

للإجابة على هذا السؤال، لا بد من مقدمة مفادها، إن بيان الدين والأطروحة الإلهية، هو من أجل أن تعمل بها الناس، وأن يأخذ الاجتماع البشري بمعانيها الحقّة. وهو ما يوصل إلى تحقيق الأهداف التي يتوخّاها الدين، من تحقيق العدل وإقامة القسط؛ لكن ماذا لو أعرض الاجتماع البشري عن ذلك البيان، وعن الأخذ بتلك الأطروحة الإلهية، على مستوى هداية مسيرته وتصويبها؟ وماذا لو وصلت درجة الرفض لهذه الأطروحة إلى حدّ الكفر بها، والعدوان على من يقوم بها، وهم - في العصر الذي نتحدث فيه - الأئمة المعصومون من أهل بيت محمد (ص). وصولاً إلى الإمام المهدي (عج)؟

هنا، سوف يحرم ذلك الاجتماع البشري من تلك الأطروحة في مرتبتها المعصومة (التمثلة بالإمام المهدي (عج) وحضوره)، ليتمّ إعمال سنّة الإيكال الحضاري، ومفادها: إن هذه البشرية لا تريد أن تأخذ بأسباب الهداية الإلهية، وأن تعمل بتلك الأطروحة الإلهية الحقّة المتمثلة في شخص الإمام الحجة (عج)، بل وتمادت في رفضها لتلك الأطروحة والعدوان عليها؛ إذن، سوف يُعمل على تغييب تلك الأطروحة في تلك المرتبة. وسوف يتمّ إيكال مسيرة قافلة البشرية وهدايتها إلى البشر أنفسهم، ليختبروا كل ما لديهم من معرفة وقدرة، وما وصلوا إليه من علوم وخبرة، وليجربوا كل ما في جعبتهم من رؤى حضارية في قيادة مسيرتهم وهدايتها، بمعزل عن الهداية الإلهية ومعانيها الحقّة.

إنّ ما ينبغي قوله هو إنّ توفير أسباب الهداية الإلهية، ووجود الحجة بين الناس، هو من أجل أن تأخذ البشرية بأسباب الهداية تلك، وتعمل بها؛ أما إن كفرت البشرية بتلك

الهداية، وأعرضت عنها، وتحديدًا عندما تكون تلك المرحلة هي مرحلة خاتمة النبوات، أي النبي محمد (ص) والأئمة من ذريته، وصولاً إلى خاتم الأئمة، أي الإمام المهدي (عج)؛ فإن السُّنة الإلهية، التي سوف تأخذ مجراها، هي سنة الإيكال الحضاري، والتي تعني أن توكل تلك المسيرة البشرية إلى أطروحتها الوضعية ورؤاها، بعيداً عن الهداية الإلهية ومعانيها.

لقد كفرت البشرية بتلك الأطروحة الإلهية. إذن، فلتحرم منها، ولتوكل إلى نفسها، ولتجرب ما لديها. لأن تلك الأطروحة هي من أهم النعم الإلهية، التي يجب أن تشكر. وما شكرها إلا بالعمل بها. أما الكفر بها، فلن يؤدي إلا إلى الحرمان منها. وهو ما قد حصل.

وبتعبير آخر، عندما أعرضت البشرية عن مشروع الهداية الإلهية، وكفرت بها؛ كان أن حرمت من أسباب تلك الهداية، وأوكلت إلى نفسها، لتجرب مسيرها بمعزل عنها. وذلك من أجل أن تجري سُنّة الإيكال الحضاري بأرقى مستوياتها، زيادة في الابتلاء، وكنتيجة لذلك الإعراض عن تلك الهداية، حتى تستنفذ قافلة البشرية جميع ما في جعبتها، من أطروحات فكرية وحضارية، لتصل بعد مسير من التخبّط والضّياع، إلى فشل جميع تلك الأطروحات، في إقامة العدل وإلى حالة من الانسداد الحضاري، التي تدرك معها، أنها لن تستطيع أن تقيم العدل بمعزل عن تلك الهداية الإلهية، واستجابتها لأسبابها (الحجّة، الهادي).

وهذا الإيكال له بعدان: بعد عقابي، نتيجة لهذا الكفر بتلك الأطروحة، والعدوان عليها وعلى أئمتها؛ وبعد وظيفي، يتمثل في تهيئة الظروف الموضوعية لعودة الأطروحة الإلهية بأرقى مراتبها، وأقوى قوتها، وأوسع مدى لها، لثملاً الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما مُلئت ظلماً وجوراً. إذن، إنّ الذي دفع إلى إعمال سُنّة الإيكال الحضاري، أنّ البشرية قد رفضت مشروع الهداية الإلهية، ومدرسة الأنبياء والرسل. بل ومارست العدوان عليها، فكانت غيبة الإمام المهدي (عج) لتقول للإجتماع البشري: إن هذا التكبر على الأطروحة الإلهية والعدوان عليها، سوف يؤدي إلى حرمانك منها، وإيكال أمرك إلى نفسك، لتختبر ما الذي سوف تصل إليه، عندما تعرض عن تلك الأطروحة، وتسعى إلى خوض صناعتك الحضارية بمعزل عنها.

الانسداد الحضاري: مؤدى الغيبة ومقدمة الظهور

لقد ذكرنا أنّ الهدف من إعمال سنة الإيكال الحضاري هذه، هو أن تستنفذ البشرية كلّ

ما لديها من رؤى حضارية، لتكتشف فشل تلك الرؤى، في تحقيق مصالح البشرية وقيمها الحقّة، في بسط العدل وكنس الظلم؛ وفي إقامة القسط وإزالة الجور، وإيصال مجتمعاتها إلى سعادتها، إذا ما فارقت الهداية الإلهية تلك.

لقد رفضت البشرية الهداية الإلهية، إذن فلتجرب طريقها من دونها. حيث ستكتشف قيمة تلك الهداية، عندما تحرم منها. وتعرف أهميتها، عندما تختبر نفسها من دونها. وتتبين مدى حاجتها إليها، عندما تفتقدها، وتعجز عن التغلب على مشاكلها وأزماتها الحضارية. ويتضح لها أنها لا تستغني عنها، عندما تغرق في بحور من الظلم والفساد، نتيجة لإعراضها وتكبرها، واغترارها بنفسها، والكفر بتلك الهداية، والعدوان عليها وعلى أئمتها. لقد أعملت سنة الإيكال الحضاري، لأنه لم يعد من وسيلة لتدرك البشرية حاجتها إلى تلك الهداية، إلا بالحرمان منها.

هنا يصبح الحرمان من الهداية بذاك المستوى (حضور المعصوم)، الوسيلة المثلى للإعداد لقبول الهداية، وتهيئة ظروفها المؤاتية. إذا لم تعرف البشرية قيمة الهداية تلك، من خلال وجودها (حضورها) بذاك المستوى؛ فلتعرف قيمتها من خلال فقدانها. أي إن فقدان هنا يضحى سبيلاً إلى الوجدان، أي أن تجد أهميتها، وتدرك أهمية العمل بها. هنا تكون الغيبة، كفقد جرم الشمس، إذ جلّ لها السحاب في زمن ظلمة وضياح، فيصبح فقده سبباً للشوق إليه، والشوق إلى عوده، واللّهُف إلى استحضاره، عندما تشتد الحاجة إليه، وإلى انبلاج نوره.

إن البشرية لن تدرك هذا المعنى، ولن تصل إلى تلك الحقيقة، إلا بعد أن تستنفذ جميع ما في جعبتها الحضارية من رؤى، وتختبر مختلف أطروحاتها الوضعية، لتصل من خلال ذلك إلى حالة من الانسداد الحضاري، الذي سوف تقف عنده عاجزة أمام ما يواجهها، وما أوصلت إليه نفسها.

إن هذا الانسداد الحضاري الذي يتبدى في الاجتماع المعاصر، هو نتيجة خيارات هذا الاجتماع وبفعل إرادته، حيث كانت الغيبة في جانبٍ منها نتيجة لذلك، ومن جانبٍ آخر قد ترقى تلك الغيبة إلى أن تكون عاملاً مساعداً للوصول بذلك الاجتماع إلى غاياته ونهاياته، التي يراد فيها توجيه هذا الانسداد الحضاري وتثميّره، ليخدم فعل الظهور

المهدوي، ومشروعه، والإعداد لظروفه.

وبيان ذلك بالقول إن تحقيق المشروع المهدوي وفي جوهره العدل، لا يتأتى إلا من خلال تقبل الاجتماع البشري في مجمله لهذا المشروع. وهذا التقبل لا يتحقق إلا عندما يصل ذلك الاجتماع إلى مرحلة الانسداد الحضاري، التي تنعدم فيها خياراته الحضارية. وعندها يجد نفسه معنياً بالعودة إلى الهداية الإلهية متمثلة بالمشروع المهدوي آنذاك.

ومن هنا كانت الغيبة في دلالاتها وآثارها، وفي أبعادها الإعجازية والماورائية، وفي مجمل النتائج، التي تترتب عليها في السياق الحضاري وحركة التاريخ؛ إنما تهدف إلى التأسيس لفعل الظهور، وإنجاح مشروعه، وتحقيق الأهداف التي يتضمنها، ويعنى بالوصول إليها. وعندما يكون من أهداف تلك الغيبة، أن تدرك البشرية مدى حاجتها إلى تلك الهداية وأهميتها؛ يكون من المطلوب بيان فشل المشاريع الحضارية الأخرى، والعمل على اجترار مشروع حضاري ديني، يحاكي المعاني الحقيقية للدين وقيمه الحقّة وفي جوهرها العدل، وصولاً إلى إمكانية تقديم نموذج ما، يكون قادراً على التعبير عن سموتلك المعاني والقيم في الاجتماع البشري، وفي الوعي الإنساني العام.

فلسفة وظائفية الغيبة، وجدلية العلاقة بين الغيبة والظهور

لقد ذكرنا أنه عندما أمعنت البشرية في إعراضها عن تلك الهداية الإلهية، كان التشديد في الابتلاء، وكانت غيبة الإمام المعصوم (عج) لتجرب البشرية ما لديها، ولتكتشف مدى حاجتها إلى الهداية تلك، وعدم قدرتها على الاستغناء عنها في مسيرها الحضاري ذاك؛ ومن هنا تصبح فلسفة الغيبة بشكل أساس فلسفة وظائفية، هدفها إعداد جميع الظروف الموضوعية لعصر الظهور، والمشروع المهدوي وعدله.

إن هذه الفلسفة الوظيفية للغيبة، تؤسس لمشروع وظائفي لمرحلة الغيبة، يعتمد على الاستفادة من جميع ظروف ومعطيات مرحلة الغيبة للتأسيس لعصر الظهور، والإعداد له، والتمهيد لتحقيقه، حيث لا يكون فهم تلك العلاقة ما بين مرحلتين الغيبة والظهور فهماً انقطاعياً، بحيث يُنظر إلى تلكا المرحلتين على أنه تسود بينهما القطيعة الكاملة، بل ينبغي أن يكون فهم تلك العلاقة على إنها علاقة تفاعلية، تقوم على التمهيد والاستلهام.

أي إن مرحلة الغيبة صحيح أنها نتيجة لما أسلفناه من أسبابٍ وعلل، لكنها مرحلة التمهيد والإعداد لمرحلة الظهور، وهذه المرحلة (الظهور) هي نتاج وامتداد لمرحلة الغيبة. وهي تمثل عامل إلهام لها، وحافزاً قوياً لبعث الروح والأمل فيها، وتحفيز كل الطاقات للعمل والكدح لتحقيق أهدافها، لأن المستقبل لن يكون إلا للعدل وأهله ومشروعه.

إن فهم مشروع الظهور وأهدافه بناءً على المنهج الحضاري، ومديات الأطروحة الدينية، وجوهرها القائم على محورية العدالة؛ كل ذلك سوف يصبغ فهمنا لمرحلة الغيبة، ويترك آثاره عليها، حيث لن تبقى هذه المرحلة مرحلة منفصلة عن دلالات مرحلة الظهور ومشروعه، ولن تكون عندها مرحلة جمود أو قعود، أو سقوطٍ للتكاليف التي تتصل بالتمهيد لمرحلة الظهور وأهدافه، ولن يكون فهمنا لمرحلة التمهيد إلا بشكلٍ متكامل ومتفاعل مع مرحلة الظهور ومقاصده.

هنا سوف يكون التمهيد للعدالة بالعدالة نفسها، في البيان الحق لها، وفي تخصيب علومها، وصناعة معارفها، وتسييل فكرها، ونشر ثقافتها، وممارسة نوع من التمهيد المعرفي والثقافي لقيمها، والسعي إلى إعلاء كلمتها، وتقديم النموذج المجتمعي المعبر عنها، وفي إيصال صوتها ومعانيها إلى جميع بني الإنسان، ليبقى الأمل يحدوهم بجمالية انتصارها وقادم أيامها.

إن إدراكنا لمشروع الظهور على أنه مشروع إصلاح بنيوي وجذري، يهدف إلى نقل مسيرة الاجتماع البشري من حضارة اللاعدالة إلى حضارة العدالة؛ كل ذلك يجعلنا ندرك سياقاً لمرحلة الغيبة، وتصوراً لوظيفتها، ووعياً لمشروعها، يقوم على الوصل مع مرحلة الظهور، والتكامل معها، والاستلها من هنا، والتمهيد لها، والعمل بموجب غاياتها ومؤدياتها.

الغيبة وبعدها الماورائي، ودوره في مشروع الظهور

إن من يقرأ نص الظهور ومشروعه - بحسب ما ورد عن أئمة أهل البيت (ع) - يجد بأن هذا المشروع وحركته يتضمنان العديد من العناصر الماورائية، والتي سوف يكون لديها دور أساس ومهم في إنجاح ذلك المشروع، ووصوله إلى غاياته. ومن الواضح إن العامل الغيبي كان حاضراً بقوة في مسيرة الأنبياء والرسل وأوصيائهم. وقد ساهم ذلك العامل بفعالية في

نجاح تلك المسيرة، وتحقق أهدافها. وكلّما كان المشروع الإلهي أشدّ تحدّياً، وأكثر بعداً في أهدافه ومداه؛ كان العامل الماورائي أكثر حضوراً لتحقيق تلك الأهداف، وبلوغ ذلك المدى. وبما إنّ الإمام المهدي (ع) هو خاتم مسيرة الأنبياء والرسل والأوصياء على مدار التاريخ، ومن خلاله سوف يتحقّق الوعد الإلهي بإقامة العدل في الأرض كلّها، ومحو الظلم منها - أي إنّ مشروعه هو مشروع عالمي إنساني، يشمل العالم كله، وهو ليس مشروعاً إقليمياً، أو قارياً، أو قثوياً، أو طائفياً...-؛ فهذا يتطلّب أن يكون حضور العامل الماورائي حضوراً نوعياً، وأن يكون مستوى الإشباع في وجود ذلك البعد الغيبي الماورائي كبيراً جداً، إلى حدّ يساعد على تحقيق ذلك المشروع العالمي ونجاح أهدافه.

إنّ ما تعنيه الغيبة هو وجود الإمام المهدي (ع)، على أن لا يكون وجوده وجوداً ظاهراً، بل وجوداً مستوراً، حاله حال العديد من الأنبياء أو الأولياء، الذين غابوا عن الاجتماع العام، وميدان عملهم الرسالي، أو الذين غابوا عن الاجتماع البشري، بحيث لم يعودوا بمرأى أو مسمع من عموم الناس، بغض النظر عن الأسباب الداعية إلى هذه الغيبة أو تلك، أو مدّة غيبة هذا النبي أو ذاك الولي، وجملّة المتعلقات الأخرى. كل ما في الأمر، إنّ أصل الغيبة وجوهرها هو أمر موجود وممارس في التاريخ الديني، وتاريخ الأنبياء والرسل والأولياء، وأنه ليس عزيزاً أو نادراً في وجوده في ذاك التاريخ.

الإمام المهدي (ع) هو واحد من أولئك الحجب الإلهيين، الذين كانت لهم غيبتهم، وإن كانت هذه الغيبة تختلف في جملة من مفرداتها، تبعاً لاختلاف أهدافها، وأسبابها، وجملّة مقاصدها. والتي تتصل بالمشروع المهدوي الهادف إلى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

ومن هنا لا بدّ من الإلفات إلى أمرين في هذا السياق

الأول: إنّ مشروع الإمام المهدي هو مشروع يهدف إلى تغيير البنية الحضارية على مستوى العالم، بما هي بنية تقوم على أساس من الظلم واللاعادلة في إدارة الاجتماع الانساني في مختلف مجالاته، وفي توزيع الثروات وتوظيفها، وإدارتها، واستثمارها، وفي توظيف السلطة وإدارتها. بل أيضاً اللاعادلة في توظيف واستثمار جميع الإمكانيات، والعلوم، والخبرات

البشرية في شتى المجالات. وهو ما يتطلب إعادة بناء أنماط حضارية، وسياسات، وثقافات، تقوم على أساس من تلك العدالة وقيمها.

الثاني: إن حضور العنصر الغيبي والعامل الماورائي يجب أن يكون بمستوى ذلك المشروع ومداه. ومن هنا أكدت النصوص الدينية ذات الصلة بحدث الظهور ومشروعه، على جملة من تلك العناصر والعوامل. واحدة من تلك العوامل هو حصول الغيبة وإطالتها، وما يؤدي إليه ذلك من إشباع ماورائي، يفي حاجة ذلك المشروع إلى ذاك المستوى من التصعيد الماورائي، مع ما يترتب على ذلك من حيث:

أولاً: وجود الإمام، لكن وجوده يكون وجوداً غير ظاهر.

ثانياً: طول مدة غيبته، وما يعنيه ذلك من بُعد إعجازي ماورائي.

ثالثاً: طبيعة ومستوى الانجذاب النفسي، والانشداد المعنوي إلى شخصية الإمام (الآداب والمفاهيم والقيم ذات الصلة)، والارتباط الفعال به، باعتباره كونه موجوداً، وإن كان غائباً. رابعاً: شمول العناية الإلهية، والرعاية الربانية للاجتماع البشري ومسيره، من خلال وجود الإمام، وصلته القوية بمسير ذلك الاجتماع البشري على هذه البسيطة رغم غيبته.

خامساً: تقوية الوجدان الغيبي، وتعزيز المحسّس الغيبي من خلال غيبة الإمام، والإيمان به في غيبته.

سادساً: إيجاد سيكولوجية انتظار فاعلة ونشطة لحدث قد يكون قريباً، من خلال تعزيز الوعي بوجود الإمام الغائب، وعدم انقطاعه عن مجريات الواقع وشؤونه.

إنّ ما تقدم قد يفضي إلى القول بأن مستوى الإشباع الغيبي، وحضور العامل الماورائي بأرقى مراتبه، إنما يتحقق من خلال وجود الإمام غائباً، وغيبته المديدة عن الحضور الظاهر، أكثر مما يتحقق من خلال أية صيغة أخرى، لا تتضمن تلك الأبعاد، ولا تترتب عليها تلك الآثار والنتائج، التي ذكرناها آنفاً. أي إنّ غياب الإمام كان غيباً في ظاهره، لكنّه كان حضوراً في مقصده، لأنّه يستبطن الظهور في مشروعه، ولأنّه لم تغب في غيبته جملة من وظائفه^١.

١. نحن لا نقول إنّ غيبة الإمام تعني قعوده عن القيام بجملة من وظائف الإمامة، وإنما نقول بأنه فرق بين قيام الإمام بجملة وظائفه وهو في مقام الظهور، وبين قيامه بجملة من تلك الوظائف من خلف ستار غيبته، إذ إنّ وجوده خلف ستار الغيبة، لن يحول دون القيام بجملة من تلك الوظائف. وهذا القرآن الكريم يحدثنا في قصة العبد الصالح الذي لله

ولأنه كان للغيبة نفسها نتائجها وآثارها التي لا تتحصّل إلا بغيبته.

ولذلك عندما نقول بأن غيبة الإمام كانت غيبة إعجازية، وكذلك عودته سوف تكون عودة إعجازية، فإنما يُراد من ذلك عودة الجذوة الدينية الأصيلة إلى الواقع الإنساني بقوة وبأعلى مراتبها، بل لا بدّ أن تكون عودة الحسّ الديني الهادف أمراً متقدماً على عملية الظهور، باعتبار أن عودة ذلك الحسّ الديني هي من أهم الأمور، التي سوف تساعد على تحقيق فعل الاستخلاف بأرقى مراتبه على هذه البسيطة.

وخلاصة القول، إنّ ممّا تهدف إليه فلسفة الغيبة، هو تصعيد العامل الماورائي في الطرح المهدوي، بمعنى إنّ اشتغال ذلك الطرح على وجود شخصية ذات بعد غيبي، قداسوي (الإمام المهدي (ع))، هي خاتمة سلسلة الأنبياء والرسل، وأوصيائهم، بهدف تحقيق مشروعهم في إقامة العدل في الأرض، وغياب تلك الشخصية لدهر من الزمن، وطول مدة الغيبة تلك؛ كل ذلك سوف يؤدي إلى الإسهام بقوة في إنجاح مشروع الظهور وأهدافه، من خلال الاستفادة من العامل الماورائي بأقصى مراتبه، باعتبار أنّ الطبيعة البشرية تتأثر إلى حدٍّ بعيدٍ بذلك العامل الماورائي، وتتفاعل معه لجهة الإعداد النفسي. لتقبّل ذلك المشروع المهدوي، وإيجاد البيئة النفسية المساعدة على التفاعل البناء معه ومع أهدافه، وخاصة عندما يكون حدث الظهور مسبقاً بذلك المستوى من البيان النبؤاتي، والفعل الإعجازي - غياب المهدي (ع) لمدة طويلة -، ممّا يساعد على صدقية الطرح، وقوة المشروع، وتحقيق مقاصده.

وإنّ وجود الإمام المهدي (ع) غائباً، وضرورة الإيمان به وبغيبته، يسهم في تقوية الحسّ الغيبي، والأخذ به إلى مستويات بعيدة، وخصوصاً عندما تكون هناك منظومة من القيم والمفاهيم، التي تعمل على بناء ذلك الحسّ الغيبي وتعزيزه، بما يؤدي إلى تنمية إطار من الوعي الغيبي الهادف، والقادر على تحمّل جميع الأزمات، وتجاوز جميع التحديات، والإصرار على المضي قدماً في حمل ذلك المشروع والتمهيد له. وخاصةً عندما يكون كل ذلك ممهداً

قصده موسى (ع) ليتعلم منه رشداً (سورة الكهف الآيات ٦٦-٨٢)، فكانت دروسه التطبيقية ذات دلالات، منها بأنه كان يقوم بأكثر من دورٍ وعمل، رغم أنّه كان موجوداً خلف ستار الغيبة. وكذلك المهدي (ع) فإنه لن تحول غيبته دون قيامه بما يقوم به من وظائفه، ولن يعيقه استتاره عن فعله.

له، من خلال عملٍ فكري، وثقافي، وتربوي، وديني، عابرٍ للملل والنحل، ولجميع الطوائف والمذاهب، وهادف إلى بناء الوعي المهدوي، بما هو وعي يقوم على فكرة حتمية انتصار العدل، وضرورة الخلاص الإنساني من الظلم والجور، وعلى محورية الأمل المفعم بالمستقبل، بأنه لن يكون إلا للمستضعفين والعاملين في سبيل ذلك الخلاص العدالي، وعلى أن العدالة يجب أن تكون محور ذلك الإيمان، وعنوان ذلك الدين، وشعار تلك الدعوة، ومضمون ذلك الفكر، الذي يجب أن تلجأ إليه شعوب الأرض، وتؤمن به جميع الأمم، وتسعى إلى تحقيقه جميع الملل، لأنه القادم إليها بفعل المهدي (ع)، الحاضر بينها ومعها -رغم غيبته-. وهو ما يجب أن تلاقيه بجهدٍ منها، من خلال التمهيد للعدل بالعدل، وثقافته، ووعيه، وفكره، وقيمه. بما هو فكرة إنسانية قيمية، قد يجتمع حولها، ويؤمن بها جميع بني الإنسان.

المهدوية: في الدلالات ونهاية التاريخ

لقد تحدثت أكثر من أطروحة فكرية في نهاية التاريخ ووصوله إلى غاياته النهائية. بل نجد أن بعض منظري الرأسمالية تحدث في تلك النهاية، ومارس أدلجة تعسفية في قراءة التاريخ وحركته ونهايته، رغم إن أطروحته الفكرية لا تركز إلى أي بعد ديني أو ماورائي، يساعد على تلك الأدلجة.^١

نعم في الرؤية الدينية هناك نهاية للتاريخ، وهذه الرؤية تتخذ معالمها الواضحة عندما نتلمسها كما وردت في مدرسة أهل البيت (ع)، لكن هذه النهاية ليست نهاية رأسمالية، بل هي نهاية مهدوية. وهذه النهاية لا تحمل نتيجة انتصار الرأسمالية في توخّشها وجورها، بل تحمل نتيجة انتصار العدالة في مقاصدها وقيمتها، كما عبّرت عنها الرسالات الإلهية، وكما سوف تتمظهر في المشروع المهدوي وحركته.

١. يذهب الكاتب الأمريكي فرنسيس فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ والإنسان الأخير)، والذي صدر لأول مرة عام ١٩٩٢م، باللغة الإنجليزية، إلى هذه النتيجة، إنه هناك نهاية للتاريخ، ولكن هذه النهاية تحمل انتصار القيم الديمقراطية والليبرالية الاقتصادية وسيادة هذه القيم في العالم؛ وهنا لا بد من القول بأنه ليس من المستبعد أن يكون التنظير الذي خلّص إليه هذا الكاتب، قد جاء متأثراً بالمناخات التي أثارها انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، وتفكك الاتحاد السوفياتي آنذاك.

هنا يصح القول بأن هذا الفهم أو ذاك يرتبط بالفلسفة التي نعتقد بها للتاريخ، حيث يوجد أكثر من فلسفة في هذا الشأن، ولعل اختلاف الرؤية إلى التاريخ ناشيء من اختلاف الرؤية الكونية، والتي سوف يتأثر بها حكماً فهمنا لفلسفة التاريخ، بل هو يقوم عليها. توجد رؤية تعتقد بعشوائية التاريخ في حركته، وعبثيته في غايته. وهذه الرؤية تتبناها أكثر من فلسفة وضعية أو أيديولوجيا مادية. وفي المقابل توجد رؤية ترى التاريخ على أنه حركة تسير في انتظام ما للوصول إلى غاية ما، على أن يكون لسكان التاريخ حريتهم في إطار هذا الانتظام وتلك الغاية.

وهذا أشبه ما يكون بقوم من الناس قد ركبوا قطاراً وهذا القطار يتحرك ضمن مسار ما، وللوصول إلى محطة ما في خط النهاية. هنا وإن كان راكبو القطار يمارسون حريتهم في اختيار المقصورة وجملة تصرفاتهم وأفعالهم داخل القطار، لكن كل ذلك لا يتنافى مع استمرار القطار في مسيره ذاك، ووصوله إلى تلك الغاية المقدرة له.

إنّ الرؤية الكونية الدينية تؤسس لفلسفة خاصة في التاريخ، ترقى به عن العبثية في الغاية، وتربأ به عن العشوائية في الحركة. وهذا ما يفهم من مجمل النصوص الدينية ذات الصلة بهذا الشأن، بما فيها النصوص المهدوية. بل هذا ما يفهم من جملة المقدمات الكلامية التي تنظر إلى المنظومة الكونية، وتالياً إلى التاريخ في فلسفته على أساس من حكمة الخالق في الخلق والفعل والغاية.

بل ربما يمكن الذهاب إلى إيجاد نوع من المقاربة بين هندسة الطبيعة وهندسة التاريخ، من حيث إنّ فهمنا لحكمة الصنع في الطبيعة وهدفه، سوف يساعد على فهمنا لحكمة الفعل في التاريخ وغايته، لأنّ الصانع في كليهما واحد، والحكيم في خلقهما غير متعدّد، وهما صفحتان في كتاب واحد، لكاتب واحد، ومقدمة واحدة، وخاتمة واحدة.^١

وعلى ما تقدّم، فإن التاريخ البشري كما بدأ على هذه البسيطة بشكل حكيم وهادف، فسوف ينتهي أيضاً بشكل حكيم وهادف، فهو لن يستمر إلى ما لا نهاية، كما لن ينتهي

١. لا يقتصر القول بغائية التاريخ وانتظامه على الفكر الديني والإسلامي؛ إنّما نجد أن بعضاً من الفلاسفة الغربيين يذهب إلى الرأي نفسه في هذا الموضوع، من حيث إنّ الله تعالى كما هو موجود في الطبيعة هو أيضاً موجود في التاريخ، وإنّ الله تعالى قد نظم التاريخ تنظيماً دقيقاً ليكون هذا التاريخ مظهراً لوجود الله، كما الطبيعة. (عطيات محمد أبو السعود، فلسفة التاريخ عند جامباتيستافيكو، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٦ م، ص ٢١٢).

بشكل عبثي أو عشوائي، أو نتيجةً لخطأ بشري، بل إن هذه البسيطة التي (أوكلت) للإنسان الظلوم الجهول، لا بد من عودتها في نهاية المطاف إلى الإنسان المستخلف، أي إلى الهداية الإلهية، والولاية الإلهية، وإلى تطبيق الأطروحة الإلهية بمرتبها المعصومة، ومداهها الشامل، أي إلى المشروع المهدي، الذي سوف «يملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً»^١.

وهذه العودة ليست عودة تُفقد الإنسان عنصر الاختيار، بل هي عودة تتراكم فيها بعض العناصر الإعجازية (علامات الظهور)، في فعلٍ تمهيدي للمشروع التغييري والإصلاحي للإمام المهدي (ع).

أما لماذا يكون الظهور بمعية عودة المسيح (ع) فيبدو أنه فعل تقريب بين العالمين الإسلامي والمسيحي، بل توحيد لهما على مشروع العدالة وقيمها، خصوصاً إذا ما التفتنا إلى أن طبيعة التربية الدينية المسيحية تدفع باتجاه عدم التعالي أمام الله تعالى «ذَلِكَ وَأَتَتْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ»^٢. أما الخلاف الاعتقادي في موضوع النبي عيسى (ع)، فسوف تنتهي مبرراته مع مجيء الشخص المختلف فيه، لأنه مهما كانت التراكمات الاعتقادية تدفع باتجاه الاختلاف في شأنه، فإن بيان الشخص عن نفسه، وهو الأعرف بحقيقته، سوف يحسم مادة الخلاف.

١. الصدوق، الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣ هـ، ص ٣٩٦.

٢. سورة المائدة، الآية ٨٢.

هذا ويلحظ المدقق أكثر من وصل بين البعد المحمدي (نسبة إلى محمد (ص)) والبعد العيسوي (نسبة إلى عيسى (ع)) في شخص المهدي (ع) ومشروعه. واحد من تجليات ذلك الوصل يظهر فيما ذكرناه من العودة الإعجازية للمسيح (ع) مع الظهور المهدي.

وثانية تلك التجليات كون المهدي (ع) من نسل محمد (ص) من ابنته فاطمة الزهراء (ع) من جهة، وكونه من نسل الحواريين من جهة أخرى. وقد التفت إلى هذه الدلالة الكاتب الفرنسي. (يان ريشار)، في كتابه بالفرنسية (الإسلام الشيعي: عقائد وأيدولوجيات) عندما ذكر ما نصّه: "إن أم الإمام الثاني عشر كانت، فيما يقولون لدى الإماميين، أمة بيزنطية... وأنها ربما كانت ابنة للإمبراطور البيزنطي، إذن فهي من نسل سيمون بيير Simon Pierre أي أول رئيس للكنيسة... وهكذا فإن ابنها كان يصل بين الدوريتين الروحيتين: دورة عيسى (ع)، ودورة محمد (ص)" (ترجمة حافظ الجمالي، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦ م، ط ١، ص ٦٩). أما في معجم أحاديث الإمام المهدي (ع)، الموسوعة التي تتعلق بالإمام المهدي (ع)، والتي تحتوي على سبعة مجلدات، والتي عمل عليها عشرون محققاً لمدة أربع سنوات كاملة، والتي تم استخراج أحاديثها من نحو ألف مجلد، كما جاء في مقدمة ذلك المعجم؛ فقد أفرّد في المجلد الخامس منها عنواناً هذا نصّه "أم الإمام المهدي (ع) من نسل الحواريين" (تأليف ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤٢٨ هـ، ط ٢، صص ٥١٣-٥٢٠).

في فلسفة المهدوية وصناعة الأمل

لقد ذكرنا أنّ المهدوية تعني أنّ نهاية العالم هي نهاية إلهية، كما كانت بدايته إلهية. وأنها نهاية هادفة، تخضع للتقدير الإلهي، وليست خارجة عنه. فكما كانت بداية الحياة البشرية آدمية، فإنّ نهايتها لن تكون إلاّ مهدوية.

ومن هنا فإنّ المهدوية تعني حتمية انتصار العدالة والخير والإصلاح في مسيرة البشرية، وأن مشروع الفساد والظلم لا بدّ له في حياة البشر من نهاية، في يوم كان قدراً مقدوراً. إنّها تعني أنّه يجب أن يكون لدينا كل الأمل، بأنّ المستقبل لن يكون إلاّ لأهل العدل والخير، وأنّ قادم الأيام لن يحمل إلا سيادة العدالة، في أرجاء المعمورة، ما بين مشرقها. هي تعني أن يكون لدينا كل الثقة بالله تعالى، أنه لن يترك قافلة البشرية تسير إلى الأبد في ظلام الظلم والفساد، وأنه لا مكان لليأس في مسيرة الكدح من أجل انتصار العدل والقسط، وزوال الظلم والجور.

إنّ الفشل الأكبر في مشروع العدل يبدأ من غلبة اليأس، وفقدان الأمل، بإمكانية زوال الظلم والفساد. فالمهدوية تعني ديمومة الأمل. وديمومة الأمل تهدي إلى بقاء العمل. ودوام العمل بإيمان وعزيمة يوصل إلى حتمية انتصار العدالة، وإبقاء جذوتها إلى يوم الخروج. أمّا غلبة اليأس، فإنّها تدعو إلى الاستسلام للظلم والفساد، والانصياع الكامل للظالمين والمفسدين، والانكفاء عن طريق الكدح لإحلال القسط في الأرض.

إنّ المحرّك الأعظم لمشروع العدل هو الثقة بانتصاره. وإنّ الباعث الأكبر على إقامة القسط هو الأمل بغلبته. إنّ نداء المهدوية هو أن لا تهنوا، لأن المستقبل لكم. ولا تستسلموا، لأنّ النصر طوع إيمانكم. ولا تزولوا عن مقارعة الظلم، لأنّه زائل. ولا تتوانوا عن نصره العدل، لأنّه قريباً تظهر رايته.

إنّ المهدوية هي النبع الفوّار للأمل المفعم والدائم بالمستقبل، أنه لن يكون إلا لعشاق العدل ومشروع القسط، وأنّ الظلم ومشروعه لا بدّ زائل، وقريباً تُكسر رايته.

من هنا، فإنّ المهدوية تعني الانتظار المفعم بالأمل والعمل، لأنّ المستقبل هو للعدل، وليس للظلم. وهي تعني حتمية قيام العدالة، تلك التي عجز عنها البشر، وأنّ العدالة بأوسع تجلياتها وأبعدها، لا تتحقّق بمعزل عن الهداية الإلهية الحقّة. وأنّ الاعدالة في المجتمع

البشري، لن تترك تصول وتجول إلى ما لا نهاية، وأنّ الأمل بالعدالة على هذه البسيطة، ينبغي أن لا تنطفيئ جذوته، وأنّ مستقبل الأيام ليس لمحتكري الثروات في العالم وللمترفين، بل هو للمستضعفين، والمظلومين، وضحايا اللاعدالة الكونية. وأنه ليس صحيحاً لهؤلاء أن يرضخوا لناهي ثرواتهم، ومستغلي أقواتهم، وأنّ الإرادة الإلهية قد وعدتهم بتحقيق العدل، وأنّ عليهم أن يشكلوا قوة دفع لتغيير عالمهم من اللاعدالة إلى العدالة.

إنّ روح المهدوية تعني الأمل الدائم بالانتصار المحتم للعدالة على اللاعدالة، وأنّ مسار البشرية ليس أمراً خارجاً عن الرعاية الإلهية، وأنّ نهاية الحياة البشرية على هذه البسيطة، يجب أن تكون مسبقة بإقامة العدل، وكنس الجور، وهدم بنية النظام العالمي الجديد، القائم على احتكار الثروات، ونهب الشعوب، والمزيد من الظلم، والاضطهاد، والعبودية المقنّعة، المشبعة بكثير من النفاق المعولم.

المهدوية تعني الاستعداد الدائم والدؤوب، لذاك اليوم الذي تشرق فيه الأرض بنور المهدي (ع). أمّا لماذا الكدح للعدل، فلأنّ الغد هو ثمرة اليوم، ولأنّ عدالة المهدي لا تنفصم عن التمهيد لها بالعدالة نفسها. فلا تمهيد للعدل إلا بالعدل نفسه. ولا يغيب عنّا جدل التمهيد والتصعيد، أي تصعيد الأمل بانتصار العدل، والعمل بقوة الأمل لغلبة القسط، وتكامل تصعيد الأمل وتنمية العمل. لأن فلسفة المهدوية تعني التمهيد للعدل، بالكدح لغلبة العدل، وإعداد مجتمع العدل، بالتربية على العدل، والصناعة الدائمة للأمل، بمستقبل العدالة وانتصارها.

المهدوية وصناعة الوعي بالمسؤولية

قد يحلو للبعض أن يقدم فلسفة ما للمهدوية، توصل إلى التواكل، والتحلل من المسؤولية. من قبيل إنّ الإمام يخرج عند انتشار الظلم، فلندع الأمور على غاربها، حتى تنهأ الظروف لخروجه. أو إنّ الأمر يرتبط بشخص الامام، أو بحضوره فقط، بحيث لا يمكن الحديث عن مسؤولية ما في السعي لإقامة العدل، أو التمهيد له، أو الإصلاح في غيبته. وهذا الفهم هو فهم خاطئ، لأنّ فلسفة المهدوية، لا تؤدّي إلا إلى تصعيد الشعور بالمسؤولية والوعي بها، لإقامة العدل، والتغيير للأفضل، ومواجهة الظلم.

وبيان ذلك

إنّ المشروع المهدوي هو مشروع جمعي أممي، وليس مشروعاً فردياً أو شخصياً. يهدف هذا المشروع إلى التغيير في الأرض، أي هو مشروع عالمي ذو مضمون حضاري، وليس مشروعاً فثوياً.

صحيح إنّ مرحلة غيبة الإمام، تعني مرحلة الانحدار إلى الظلم، لكن هذا بما كسبت أيدي الناس. وهذا لا يعني الركون لهذا الظلم أو السكوت عنه.

يمارس البعض خلطاً بين منطق التوصيف ومنطق التكليف، بمعنى أنّ توصيف نهاية التاريخ بأنها غارقة في الظلم والجور قد يفهم منه أنّ عليه أن يتنصّل من مسؤولياته وتكاليفه، ليدع الأمور تصل إلى ما ينطبق عليه ذلك التوصيف. وهذا فهم ينطوي على تجاوز منطق التكليف بمنطق التوصيف، لأنّ وصف تلك النهاية بما جاء في النصوص الدينية، لا يعني إغفال منطق التكليف بضرورة مواجهة الظلم، والعمل على استئصال شأفته، وهدم سلطانه.

ضرورة الفهم الموضوعي للنصوص المهدوية، وعدم فصلها منهجياً عن مجمل منظومة النصوص الدينية الإسلامية. وهذا يتطلب أن تؤخذ بعين الاعتبار نصوص التمهيد لمشروع الظهور، ومجمل النصوص الدالة على تلك التكاليف ذات الصلة.

وعليه، فإنّ الإعداد للظهور، والتمهيد لإقامة العدل المهدوي؛ لا يؤديان إلا إلى المزيد من العمل، الذي يجب أن يرقى إلى مستوى ذلك المشروع، وأهدافه الإنسانية الكبيرة. إذ إنّ مشروعاً بذاك المستوى، يحتاج إلى عمل، وتمهيد بمستواه، حتى تتهيأ الظروف لخروج الإمام. وهذا الفهم لا ينتج إلا المزيد من الوعي بالمسؤولية، وتخصيها، وتحملها.

النظريات المفسرة لغيبة الإمام المهدي (ع): قراءة في المنهج

قد يكون من المفيد أن نعرض إلى ذلك المنهج الذي نعتقد بمطلوبية اعتماده في معالجة النصوص الدينية ذات الصلة بالمهدوية، وذلك بهدف التأسيس للإجابة على بعض الأسئلة التي قد تطرح في هذا الشأن.

وهنا لا بدّ من القول إنّ نظريات عديدة قد عُنيَتْ بتفسير غيبة الإمام المهدي (ع)

وفلسفتها، حيث نجد أن بعضاً منها تناول البعد الشخصي لهذا الحدث، في حين إنّ نظريات أخرى ركزت على بعده الاجتماعي والعام. وهذا الاختلاف في التفسير يرجع إلى طبيعة المنهج المعتمد في قراءة نصوص الغيبة وفلسفتها. حيث يجب الإشارة هنا إلى أن النصوص الدينية قد أخذت الدور الأساس في توليد تلك النظريات المفسرة للغيبة.

بداية لا بدّ من أن نشير إلى أهم تلك النظريات، ومن ثمّ نحاول الإلفات إلى المنهج المناسب في بنائها وفهم النصوص التي ارتكزت عليها، في محاولة لتقديم رؤية شاملة وموضوعية، تأخذ بعين الاعتبار الأسس الكلامية والدينية، التي تركز عليها تلك الغيبة. يمكن تقسيم تلك النظريات إلى قسمين: نظريات شخصية ونظريات اجتماعية.

النظريات الشخصية

والمراد منها تلك النظريات التي تفسر الغيبة بالاستناد إلى شخص الإمام المهدي (ع)، وهي نظريات متعددة، يمكن استفادتها من الروايات الواردة عن أهل البيت (ع)، وأهمها: نظرية الخوف: تذهب هذه النظرية إلى أن الإمام (ع) قد غاب خوفاً على نفسه من القتل أو الذبح، وبالتالي، فإنّ حماية شخص الإمام قد اقتضت غيبته، منعاً من تعرضه للقتل. يقول الإمام الصادق (ع): «يا زارة لا بدّ للقاء من غيبة، قلت: ولم؟ قال: يخاف على نفسه - وأوماً بيده إلى بطنه ...»^١.

نظرية البيعة: أي إنّ الإمام (ع) قد غاب حتى لا يبايع أحداً من الظالمين؛ لأنه لو بقي ظاهراً، فسوف يضطر إلى البيعة. روي عن الإمام الصادق (ع): «صاحب هذا الأمر تغيب ولادته عن هذا الخلق، لئلا يكون لأحدٍ في عنقه بيعة إذا خرج»^٢.

نظرية الاعتزال: ومفادها إنّ الله تعالى يكره لأوليائه مجاورة الظالمين، ولذلك غاب الإمام (ع) كرهاً لأفعالهم، وكتعبير عن رفض ظلمهم وفسادهم. ورد عن أبي جعفر (ع): «إنّ الله تعالى إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم»^٣.

١. الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، (لاط)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥ هـ.ق، ص ٢٨١.

٢. المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣ م، ط ٣ ج ٥٢، ص ٩٦.

٣. الصدوق، علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٨ م، ط ١، ج ١، ص ٢٨٥.

هذه أبرز النظريات التي يمكن تصنيفها في تفسير البعد الشخصي لقضية الغيبة.

النظريات الاجتماعية

وهنا يمكن أن نعرض لبعضٍ من تلك النظريات، وهي:

(أ) نظرية التمهيد: حيث أكدت بعض الروايات على أنَّ الهدف من الغيبة هو تمهيد المؤمنين واختبارهم؛ لأنَّ فلسفة الحياة قائمة على أساس الابتلاء، ومن أبلغ الابتلاءات ضرورة الإيمان بالقائم (ع) وهو في غيبته، بل وتحقيق جملة تلك الغايات والنتائج التي تترتب على الابتلاء بالغيبة، حيث ورد عن الإمام الصادق (ع) «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْدَ إِيَّاسٍ، لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُمَيِّزُوا، لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُتَخَّصَّوْا، لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَشُقَّ مِنْ يَشُقِّ، وَيَسْعَدَ مَنْ يَسْعَدُ».^١

(ب) نظرية النصر: أي إنَّ الإمام (ع) قد غاب لعدم وجود الناصر، وهو ما يُستفاد من بعض الروايات، باعتبار إنَّ الأمور تجري بأسبابها؛ ومن أسباب النصر وجود الناصر، ولذلك غاب الإمام لعدم وجود الناصر.

(ج) نظرية الامتحان: والمراد بها امتحان النظريات الوضعية واللا دينية التي أريد لها أن تكون بديلاً عن الأطروحة الإلهية، فكان تغييب الإمام بمثابة تعطيل مرحلي للأطروحة الإلهية في مرتبتها المعصومة، إفساحاً في المجال أمام تلك النظريات الوضعية حتى تختبر صحتها، وصولاً إلى مرحلة الإنسداد الحضاري، واكتشاف عدم قدرة تلك النظريات على علاج جميع مشاكل الإنسان، وإيصاله إلى سعادته الحقيقية.

(د) نظرية الإعداد: والمراد بها انتظار جميع الظروف الموضوعية، والإعداد لها للقيام بعملية التغيير الشاملة، وتمكين الدين، وإحقاق العدل في جميع الأرض.^٢

وبناءً على ما تقدّم، كيف يمكن الجمع بين كل تلك النظريات؟ وما هو المنهج الذي يجب

١. الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط ٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٢ هـ، ج ١، ص ٣٧٠.

٢. في علل الغيبة ونظرياتها راجع (عدا عما ذكرنا من مصادر): الصدوق، علل الشرائع، م.س، صص ٢٨٤-٢٨٨؛ خراساني، محمد جواد، مهدي منتظر، بُنياد بزوهشهای علمی فرهنگي نورالأصفياء، قم، ١٣٨٠ هـ، جاب دوم، صص ٧٢-٨٨.

أن يعتمد في قراءة النصوص المفسرة لحدث الغيبة، باعتبار إن تحديد المنهج والمقدمات التي يمكن أن يركز عليها في تلك القراءة؛ كل ذلك يؤثر حكماً في النتائج التي يُنتهى إليها؟ لذا لا بد من الإشارة إلى جملة من النقاط المهمة في هذا الموضوع:

١. إن تحديد المنهج المستخدم في قراءة نصوص الغيبة هو عمل سابق منهجياً على قراءة النصوص نفسها، ولذا يجب أن يُقدّم عليها.

٢. إن المنهج الذي يجب استخدامه هو المنهج الموضوعي وليس الموضوعي، باعتبار إن وظيفة الإمامة - المعصومة - يتداخل فيها المعرفي مع الديني والسياسي والاجتماعي والحضاري...؛ ولذا يجب أن يكون المنهج مستوعباً لكل العوامل الدخيلة في الموضوع.

٣. بناءً على ما تقدّم، قد يصحّ القول بأن المنهج الذي يجب أن يستخدم هو (المنهج الحضاري). بمعنى أنّ الفهم الحضاري للدين - والذي تندمج فيه الرؤية الكونية، مع رؤيتنا لفلسفة التاريخ وغائيته، مع فهمنا لموسوعية الدين وعالميته - هو الذي ينبغي أن يستند إليه في فهمنا للمهدوية، وغيبة المهدي (ع)، وفلسفة تلك الغيبة.

٤. يجب أن تُقرأ كل الروايات قراءة موضوعية، باعتبار إن كل رواية أو مجموعة روايات، ربما تكون ناظرة إلى جهةٍ من جهات الغيبة. وبالتالي لا يصح اختزال فلسفة الغيبة في هذه الجهة فقط، لأنّ تحديد سببٍ ما، أو حكمةٍ ما للغيبة، لا ينافي وجود سببٍ آخر أو حكمةٍ أخرى.

٥. إنّ النصوص التي قد يُفهم منها البعد الشخصي - في حدث الغيبة لم تتناول الإمام المهدي (ع) بلحاظ البعد الشخصي - المحض لديه، إنّما باعتبار الجانب الحقوقي في شخصيته، أي بما هو إمام. ولذلك يجب أن تندمج تلك النصوص ذات البعد الشخصي - في الأبعاد العامة، والجوانب الاجتماعية، والنظريات ذات البعد الجمعي.

٦. يجب أن تُفهم تلك النصوص على أساس أهداف الدين، ووظائف الإمامة المعصومة، والخصوصية الوظيفية للإمامة الخاتمة على مستوى إلغاء كل الأطروحات الوضعية، وتحقيق نهاية للتاريخ، يسبقها تحقيق الخلافة الإلهية (سيادة العدالة) بأرقى مراتبها، وأوسع معانيها، وأبعد مدياتها.

يجب أن تُقرأ تلك النصوص والنظريات قراءةً تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الكونية والعالمية لحركة الدين وأهدافه. ولذا ليس صحيحاً أن تُفهم المهدوية ومشروعها على إنها محصورة بفئة خاصة، أو جغرافية محددة، وإنما يجب أن تُفهم على أنها حركة عالمية شاملة. وهذا ما يُستنتج من مختلف النصوص ذات الصلة.

إن كل ما تقدم لا يلغي المعنى الذي يستفاد من بعض الروايات، وهو عدم إمكانية معرفة علّة الغيبة معرفة كاملة، تستوعب جميع تفاصيلها، إلا عند ظهور الإمام (ع) وخروجه. وبناءً على جميع ما تقدم، يمكن لنا أن نقول بأن المحاولة التي سعينا إلى القيام بها في هذه المعالجة، هي محاولة تملك تبريرها المنهجي، وليست منفصلة عن مجمل النصوص الدينية ذات الصلة، وإنما هي تركز إليها، وقادرة على معالجة ما يبدو من اختلاف وتعارض بينها، إذ إنها ارتكزت منهجياً على المنهج الموضوعي، ذي الأبعاد الحضارية في فهم الخلق وغايته، والدين وجوهره، والتاريخ ونهايته، فكانت النتيجة في هذا الوصل ما بين فلسفة المهدوية، وجوهرية العدالة، ونهاية التاريخ.

وإنطلاقاً مما ذكرنا، نستطيع أن نعي ما جاء في تلك النصوص الدينية حول دولة الإمام المهدي (ع) ومعنى تلك الدولة ووظيفتها، إذ ليس في هذا المعنى نوعٌ نهم إلى السلطة، أو فعل تخيلي يعوّض النقص في الوصول إليها. وإنما يقوم فهم تلك الدولة وفلسفتها على تلك الرؤية للكون ومقصده، وللتاريخ ونهايته، رؤيةً تحتزن نهايةً عدالتيةً للتاريخ، تتمثل في تلك الدولة ووظائفها، حيث يغدو التعبير "دولة الإمام المهدي (ع)" تعبيراً تتكشف فيه جميع تلك المعاني، وتحتشد لديه مجمل تلك الدلالات، التي تحيل هذا المصطلح وذاك التعبير إلى مجاله القيمي، والإنساني، والكوني، والخلاصي. إنها دولة العدالة، ودولة الخلاص الإنساني، ودولة الملاذ الأخير للإنسان في تيهه الحضاري، ودولة العودة بالإنسان إلى هدايته، وإنسانيته، ومقصده الحق.

إنّها تعني حتمية تلك النهاية لسلطة الظلم، ودولة الجور، وجميع مظاهر التوحش على هذه البسيطة. وهي تعني الانقلاب في مسير قافلة البشرية من الظلم إلى العدل، ومن الجور إلى القسط، ومن الضلال في صحاري المادية والفساد واللاعدالة إلى فعل الإصلاح، وإنسانية القيم، وهدى العدالة.

الخاتمة

إنّ المعنى الذي يريد هذا البحث الخلوّص إليه هو إنّ فلسفة الخلق تقوم فيما تقوم عليه على العبادة «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»^١، وتهدف فيما تهدف إليه إلى إقامة القسط في الأرض «لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»^٢، وهذا ما يوصل إلى النتيجة التالية؛ وهي أنّ عبادة الله بإقامة القسط، وأنّ من أشرف العبادة أن يقوم الناس بالعدل، ويقوم اجتماعهم على العدالة.

ومن هنا كان البيان الديني على مرّ التاريخ ليقدم هذا الهدف، «أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»^٣، ولكن الذي حصل انحدار متّمازٍ في الظلم ومنهجه ونسقه، في إعراض عن ذلك البيان الديني وكفّره به، وإيغال في الطغيان والفساد.

وهذا الانحراف عن مسار العدالة الذي انساقت إليه قافلة البشرية في تاريخها لن يدوم إلى ما لا نهاية، وإلّا هناك نهاية للتاريخ، وهناك أمّذ لمسار اللاعدالة هذا.

ولذا، فإنّ المهدوية تعني الانقلاب في مسيرة البشرية وقافلتها من مسار اللاعدالة إلى مسار العدالة. وهي تعني في مشروعها أهمّ تحولٍ سوف يشهده التاريخ البشري من انحدار في نسق اللاعدالة، إلى انتهاج العدالة في نسقها وقيمها وجميع معانيها. وهي تعني العودة إلى الفطرة الإنسانية السليمة من مجمل التشوّهات التي تعرّضت لها على مدار التاريخ بسبب من أكثر من تلبس فكري، أو فساد معرفي، أو حتى تأويلٍ للدين جافي حقيقة جوهره الكامن في العدالة.

المهدوية هي المشروع الخلاصي للاجتماع البشري ممّا يصل إليه في مرحلة انسداد الأفق الحضاري أمام مسيره وفي نهايته. هي خشبة الخلاص الوحيدة التي سوف تتبدى في نهاية ذلك التيه الحضاري أمام ناظري قافلة البشرية، وتوقها الأخير إلى الخلاص المهدوي وظهوره.

١. سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٢. سورة الحديد، الآية ٢٥.

٣. سورة الحديد، الآية ٢٥.

هذا ويمكن إيجاز مجمل الموضوعات الواردة في البحث فيما يلي من نقاط:

١. إنَّ المهدوية هي بمثابة مشروع لهدم بنية اللاعدالة في العالم، وتفكيك النظام العالمي القائم على اللاعدالة في مختلف مجالات الاجتماع الإنساني، ليبنى مكانه نظام جديد يقوم على العدالة وقيمها في مختلف ميادين ذلك الاجتماع.

٢. في المنظار التاريخي تعني المهدوية الانقلاب الجذري في مسيرة قافلة البشرية من مسار اللاعدالة إلى مسار العدالة. لتكون خاتمة التاريخ البشري بسيادة العدالة وحدها على البسيطة كلها. يقول تعالى: «وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»^١، و «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»^٢.

٣. إنَّ اليوم المهدوي إنما يأتي بعد مسارٍ تاريخي طويل من اللاعدالة، هذا المسار الذي يخزن فرصة أو فسحة حضارية للتجربة البشرية المتعالية على الهداية الإلهية، لتختبر خياراتها الحضارية بمعزل عن تلك الهداية، ولتستفرغ ما في جعبتها الوضعية من رؤى في هذا السياق.

٤. إنَّ الهدف من ذلك الإمهال التاريخي هو إعمال سنة الإيكال الحضاري، والتي تعني أن يوكل الاجتماع البشري إلى نفسه نتيجة لإعراضه عن الهداية الإلهية تلك، حتى يعاين فشل خياراته في إقامة العدل، ويصل في نهاية التاريخ إلى حالة الانغلاق الحضاري، التي تنعدم فيها خياراته الحضارية بمعزل عن الهداية الإلهية، ليعود إليها، وليبحث فيها ومن خلالها عن خلاصه وعلاجه.

٥. لقد جاءت الغيبة في فلسفتها كتجلٍ لذلك الإيكال الحضاري، وكتعبير عنه. وهي تعني تجميد الأطروحة الإلهية في مرتبتها المعصومة في بعدها الظاهر، وتحديدًا في بعض وظائفها، وليس في جميعها.

٦. يمكن القول إنَّ الغيبة -كفلسفة- تقوم على الوجود الغائب، وما يعنيه هذا الوجود من معانٍ وآثار، وما له من وظائف ومهام، وما يستبطنه الغياب واللاحضور من معانٍ ونتائج،

١. سورة القصص، الآية ٥.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

تعني في فلسفتها ومقاصدها أعمال سُنة الإيكال الحضاري تلك، للوصول به إلى غاياته ونهاياته.

٧. إنّ فلسفة المهديّة تعني بقاء شعلة الأمل متّقدة بانتصار العدالة وحتمية قدومها، وهي تعني تصعيد المسؤولية وتحملها لإقامة القسط، والتمهيد لمشروع العدل المهدي، لأنّ التمهيد للعدل لا يكون إلا بالعدل نفسه ومن سنخه.

٨. في الرؤية الدينية هناك نهاية للتاريخ، وهذه النهاية ليست عبثية، كما إنّ حركته ليست عشوائية، بل هي نهاية غائية، تتّوج حركة تخدم تلك الغاية.

٩. ومن هنا يصح الحديث في هندسة إلهية للتاريخ ذات غاية مهديّة، تقوم على أنّ مسار التاريخ لن يترك في تيه الحضاري إلى ما لا نهاية. بل سوف ينتهي بتسيّد العدالة، من خلال المشروع المهدي وفعله.

١٠. بل يمكن القول إنّ هذا التيه البشري في اللاعدالة، فإنّه على مستوى مؤدّياته، سوف يخدم ذلك التحول الجذري في التاريخ البشري من اللاعدالة إلى العدالة.

١١. إنّ ما نعينه بأنّ نهاية التاريخ سوف تحصل ببناء حضارة العدالة، هو أنّ هذه النهاية سوف تتضمن أمرين:

الأول: هدم ذلك النظام العالمي القائم على اللاعدالة في مختلف الميادين والمساحات.
الثاني: هو بناء نظام جديد يقوم على العدالة وقيمها في مختلف مجالات الاجتماع الإنساني وشؤونه.

١٢. بناءً على جميع ما تقدّم، يمكن أن نعي معنى (دولة الإمام المهدي (ع)) بأنّها تعني دولة العدالة، وحتمية قدومها في نهاية التاريخ، بعد أفول لها بفعل إعراض البشرية عن الهداية الإلهية، وضياعها في تيه الحضاري، ووصولها إلى ملاذها الأخير المتمثّل في دولة العدل، وظهور الإمام محمد بن الحسن المهدي (ع).

اثر الغيبة علي الإرث العلمي لعلماء الشيعة الإمامية في العراق من الغيبة (٢٦٠هـ) إلي نهاية العصر البويهي (٤٤٧هـ)

الدكتور عمار عبودي نصار^١

المقدمة

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين... واجه المجتمع الشيعي بعد غيبة الإمام الثاني عشر (عج) سنة (٢٦٠هـ) تمزقاً وحدوث خلافات شديدة، أدت نتائجها بالكثير من إتباع مذهب الإمامية الى التغير والانحراف، كما شجعت فرقاً أخرى كالمعتزلة والزيدية والاسماعيلية الى استغلال حالة التفرقة وغيبة الإمام المعصوم في توجيه الانتقاد الى الأسس العقائدية الخاصة بالشيعة الإمامية. وفي ظل ذلك الوضع شمر علماء الشيعة الإمامية عن سواعدهم لرد دفاع عن مذهبهم وحقيقته، وتقديم تحليلات جديدة للأصول الاعتقادية الخاصة بالمذهب الإمامي، وذلك من خلال مصنفاتهم ومناظراتهم التي مثلت منجزهم العلمي والذي كان له أعظم الأثر في تلك الحقبة.

إن ما نرمي اليه في هذا البحث هو تسليط الضوء على اثر غيبة الإمام المهدي (عج) على المنجز العلمي لعلماء الشيعة الإمامية، وقد تضمن محورين: تناول المحور الأول اثر حادثة الغيبة على علماء الشيعة الإمامية وذكر التحديات التي واجهتهم في تلك الحقبة، إما المحور

١. أستاذ كلية الآداب جامعة الكوفة (drammarnassar73@yahoo.com).

الثاني فقد تطرق الى الحراك العلمي الذي قام به علماء الشيعة الإمامية بعد غيبة الإمام. إن إشكالية هذا البحث تقوم على أساس فهم طبيعة الأحوال التي عاشها علماء الإمامية بعد حادثة الغيبة والتي عكست بآثارها على منجزهم العلمي، وما مدى تأثير الدور الذي قاموا به على مذهب الإمامية خلال تلك الحقبة.

واعتمدت دراستنا هذه على المنهج التاريخي في محاولة وصف اثر الغيبة وبعدها التاريخي على طائفة الشيعة، مبينين دور علماء الإمامية واثريهم العلمي في خضم تلك الاحداث، ومحاولين الوصول الى الأسباب التي دفعت بذلك العالم الى اصدار هذا المؤلف أو ذاك خلال تلك الحقبة.

المبحث الأول: اثر حادثة الغيبة على علماء الشيعة الإمامية

أثرت حالة الوفاة المفاجئة للإمام الحسن بن علي العسكري (ع) سنة (٢٦٠هـ)، الى ظهور التفرقة والخلافات في المجتمع الشيعي في العراق،^١ ثم تلا ذلك غيبة الإمام الثاني عشر الحجة المنتظر (عج)،^٢ فكانت هذه الفترة من أصعب الفترات التي مرت على الشيعة الإمامية،^٣ إذ أدت الى انسلاخ جماعات، ومن ثم تكتلها في فرق بلغ عددها أربع عشرة فرقة،^٤ أو كما ذكرها المسعودي وزاد عليها بقوله: "افتقرت الى عشرين فرقة".^٥

أصاب الشك والاضطراب بعض الشيعة بعد غيبة الإمام المهدي (عج)، بل راح بعضهم ينكرو وجود ولد للإمام الحسن العسكري (ع)، وأشار النعماني الى ذلك: "ومن الذي لا يأبه له كثير من الخلق ولا يصدقون بأمره، ولا يؤمنون بوجوده"،^٦ كما أدى ذلك الشك الى يرتد بعض من إتباع الإمامية ويلتحقوا بالمذاهب الشيعية الاخرى، الذين اخذوا

١. المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ١١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٤٩.

٢. للإمام الحجة المنتظر (عج) غيبتان، صغرى وكبرى، ويقال لهما قصرى وطولى، وقد اختلفت الروايات في تحديد تاريخ بدأ الغيبة الصغرى التي تنتهي بموت السفير الرابع سنة (٣٢٩هـ)، والتي تبدأ بعدها الغيبة الكبرى والمستمرة الى يومنا هذا، الطوسي، كتاب الغيبة، ص ١٦٣؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٢٦.

٣. مدرسي، تطور المباني الفكرية، ص ٥.

٤. الأشعري، المقالات والفرق، ص ١٠٢-١١٦؛ النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٥١-١٧١.

٥. المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ١١٢.

٦. النعماني، الغيبة، ص ١٧٤.

يعملون على استمالتهم.^١

فضلاً عن ذلك فقد شكل ادعاء جعفر الكذاب الإمامة إحدى المشاكل التي واجهت الشيعة الإمامية وعلمائها في هذه الحقبة، فمن جهة أنه شكل خطراً على حياة الإمام المهدي (عج) بتوجيه السلطة إلى أماكن أقامته، سعياً منه للتخلص من الإمام،^٢ ومن جهة أخرى قد ادعى أنه الإمام بعد أخيه الإمام الحسن العسكري، وعندما فشل في التقرب من الشيعة الإمامية وإغرائهم بالمال، وكسبهم إلى جانبه، وفقدان الأمل في إقناعهم بإمامته، عمل على اخذ التركة الإمام وحبس جواريه واعتقال حلائله، وشنع على أصحابه بانتظارهم ولده، فجرى عليهم بسببه كل عظيمة من اعتقال وحبس وتهديد،^٣ فقال إليه الكثير من إتباع (الافطحية)^٤ واعترفوا بإمامته، ومنهم متكلم الكوفة (علي بن الطاحي الخزاز)^٥ الذي كان رئيساً لهذه الدعوى في الكوفة،^٦ وكذلك الفقيه الكوفي (علي بن الحسن بن فضال)،^٧ فضلاً عن بعض ممن اتبع الإمام الحسن العسكري (ع) ثم رفضوا إمامته تحت ذريعة أن الإمام ليس له ولد،^٨ فأورد الصدوق ذلك قائلاً: قبض أبو محمد (ع) وتفرقت الشيعة وأنصاره، فمنهم من انتمى إلى جعفر، ومنهم من تاه، ومنهم من شك، ومنهم من وقف على تحيره، ومنهم من ثبت على دينه بتوفيق الله عز وجل.^٩

وفي مقابل كان من الشيعة الإمامية وعلمائها من هو ثابت القدم في هذا الامتحان، قوي

١. النعماني، مقدمة كتاب الغيبة، ص ٢٩.

٢. الصدوق، كمال الدين ج ٢، ص ٥٠٠، ٥٠٣؛ علي، المهدي المنتظر، ص ١٠٢.

٣. المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٣٣٦؛ الأربلي، كشف الغمة، ج ٣، ص ٢١١.

٤. الافطحية: إحدى فرق الشيعة، والذين قالوا أن الأمامه بعد الإمام جعفر الصادق (ع) في ولده عبد الله الافطح؛ وذلك لأنه أكبر أولاده سنناً، وكان يجلس مجلس أبيه، النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٢٦-١٢٧.

٥. علي بن الطاحي الخزاز من متكلمي الكوفة وكان أفطحياً، إذ ادعى هو وإتباعهم أنهم امتحنوا الامام الحسن العسكري (عليه السلام) فلم يجدوا عنده علماً فأعتقدوا بامامة جعفر، النوبختي، فرق الشيعة، ص ٨٢.

٦. النوبختي، فرق الشيعة، ص ٨٢.

٧. علي بن الحسن بن علي بن فضال، من أكبر علماء الشيعة في الكوفة، ولد سنة (٢٠٦هـ)، فطحياً المذهب، واسع الرواية والإخبار، وصاحب تصانيف كثيرة، كان أول الأمر قريباً للأمامية الأثنى عشرية، لكنه اعترف بعد ذلك بإمامة جعفر الكذاب، النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٤٧؛ الطوسي، الفهرست، ص ٩٢.

٨. مدرسي، تطور المباني الفكرية للشيعة، ص ١٣٠-١٣١.

٩. الصدوق، كمال الدين، ج ٢، ص ٤٣٧.

الإيمان، لم تؤثر فيه عواصف الفتن، وكان اعتقاده بمذهب الإمامية عن دراية وعلم، فقليل فيهم: " ولم يبق إلا القليل النزر الذين ثبتوا على دين الله وتمسكوا بحبل الله ولم يحيدوا عن صراط الله المستقيم".^١

الحراك العلمي لعلماء الإمامية بعد حادثة الغيبة

- جهود علماء الشيعة الإمامية في التصدي لحالة التفرقة

بظهور الفرق الشيعية بعد غيبة الإمام المهدي (عج) بدأت جهود علماء الشيعة الإمامية العلمية في مواجهة تلك الفرق والرد عليها، فكانت لمؤلفاتهم ومصنفاتهم أعظم الأثر في دفع الكثير من الشبهات وأزالت الحجج التي احتج بها أصحاب تلك الفرق وانسلاخهم وتفرقهم عن مذهب الحق. فكان للحسن بن موسى النوبختي (ت ٣١٠هـ) دوراً في الرد على الفرق الشيعية الأخرى، فقد عرف بحسن اعتقاده بمذهب الإمامية، فصنف في هذا المجال العديد من الكتب منها كتاب (الرد على فرق الشيعة ما خلا الإمامية)،^٢ وكتاب (فرق الشيعة) وهو المؤلف الوحيد الذي وصل إلينا من مؤلفاته، والذي ذكر فيه تفصيل للفرق الشيعية وتفرقها منذ زمن الإمام علي (ع) إلى عصر غيبة الإمام المهدي (عج).^٣

إما كتاب (الآراء والديانات) الذي لم يتمه،^٤ فقد وصفه النجاشي بالقول: "كتاب كبير يحتوي على علوم كثيرة قرأت هذا الكتاب"،^٥ فهو من الكتب المفقودة، ويبدو أن نسخة منه كانت موجودة لغاية القرن السابع الهجري، ويؤكد ذلك قول ابن طاووس: "هذا الكتاب المسمى (الآراء والديانات) عندنا الآن ووقفت على معرفته".^٦

برز من العلماء ممن عاصر الحسن بن موسى النوبختي، المتكلم الإمامي (أبو الاحوص

١. النعماني، الغيبة، ص ٢٧-٢٨.

٢. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٦٣؛ الطهراني، الذريعة، ج ١٧، ص ٢٤٥.

٣. النوبختي، كتاب فرق الشيعة.

٤. الطوسي، الفهرست، ص ٤٦.

٥. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٦٣.

٦. ابن طاووس، فرج المهموم، ص ١٢١.

البصري)،^١ والذي يعد من الثقات وقد اخذ عنه النوبختي،^٢ ومن ابرز كتبه كتابه في (الأمامة) الذي رد فيه على سائر من خالفه من أصحاب المذهب الأخرى،^٣ وكان له مجلس ومناظره مع الجبائي (ت ٣٠٣هـ) في الإمامة،^٤ وذكر الشيخ الطوسي: إن أبو الاحوص والحسن بن موسى النوبختي قد التقيا واجتمعا عند زيارة (الحائر)^٥ مرقد الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام).

أما أبو سهل النوبختي (ت ٣١١هـ) فقام بمواجهة التفرقة التي طرأت على مذهب الإمامية؛ وذلك بصد مخالفهم، وبذل الجهود العلمية واستخدام الأدلة العقلية، ومباحثه الكلامية، لتثبيت الأصول الدينية للمذهب الأمامي الأثنى عشري والمحافظة عليه، وإثبات وجوب الأمامة وتقرير صفات الإمام، وصولاً بذلك إلى إثبات إن الأمامة أصل من أصول الدين عند الإمامية،^٦ فصنف في ذلك كتباً عديدة في الدفاع عن موضوع الأمامة، والرد على الغلاة، والواقفة، وأهل السنة.^٧

أصبحت كتب أبو سهل النوبختي (ت ٣١١هـ) مرجعاً للمتكلمين الذين جاءوا بعده في القرنين الرابع والخامس الهجريين،^٨ واستشهدوا بما شرحه ودونه في ردهم على خصومهم،

١. أبو الاحوص داود بن أسد بن اعفر البصري، شيخاً جليلاً، وعالماً وفقهياً، ومن متكلمي الإمامية في القرن الثالث الهجري، وقد حدث خلط بين المصادر في لقبه فمنهم من ذكره (المصري) وآخرين قالوا (البصري)، ورجح ابن داود لقب (المصري) أكثر، النجاشي، رجال النجاشي، ص ١٥٤؛ ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص ١٧٣؛ ابن داود، رجال ابن داود، ص ٢١٤.

٢. الطوسي، الفهرست، ص ١٩٠.

٣. النجاشي، رجال النجاشي، ص ١٥٤؛ الطهراني، الذريعة، ج ٢، ص ٣٢٦.

٤. أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن زيد بن أبي سكن الجبائي، شيخ المعتزلة في زمانه ومن انتهت إليه رئاستهم، جاء لقبه نسبة إلى إحدى قرى البصرة، توفي سنة (٣٠٣هـ)، ينظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٥، ص ٢٧١.

٥. ابن داود، رجال ابن داود، ص ٢١٤.

٦. الطوسي، الفهرست، ص ١٩٠.

٧. الحائر: وهو موضع قبر الإمام الحسين بن علي (ع)، وسمي بذلك لأن الماء تحير فيه ورجع من أقصاه إلى أدناه، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٨.

٨. إقبال، آل نوبخت، ص ١٢٩-١٣١.

٩. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٣.

١٠. ومنهم ولده علي بن إسماعيل الذي اخذ العلم من أبيه، وعلي بن عبد الله بن وصيف الناشئ الصغير (ت ٣٦٥هـ)، و أبوالحجيش مظفر بن أحمد البلخي (ت ٣٦٧هـ) استاذ الشيخ المفيد، ومحمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد

حتى أرائهم في الأمامه والمسائل الكلامية تشبه الى حد كبير لأرائه،^١ فذكر الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) في رده على القاضي عبد الجبار المعتزلي في اقتناءه لكتب أبي سهل والاستشهاد بها بقوله: " وهذه كتب أبي محمد وأبي سهل رحمهما الله في الأمامه تشهد بما ذكرناه "،^٢ فأصبحت لأبو سهل منزلة عظيمة في تاريخ المذهب، واستحق بمجداره لقب (شيخ المتكلمين).^٣

جاء رد أبي سهل النوبختي (ت ٣١١هـ) على أبي العتاهيه في باب التوحيد، بمثابة الاعتراض الصريح على ما تفوه به من أفكار قد نظمها في شعره والتي لا تنسجم مع عقائد الشيعة، واخذ أهل السنة ينسبون عقائد أبو العتاهيه الجبرية الى الشيعة، ويتحاملوا عليهم بسببه، فكان رد أبي سهل هو لدحض نسبة تلك الأفكار للشيعة،^٤ كما استخدمها وسيلة لمهاجمة (الحلاج) الذي كان يستند على شعر أبي العتاهيه في أفكاره.^٥

امتاز القرن الرابع الهجري بظهور التيارات الفكرية في الأوساط الشيعية، فاستطاع الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) ان يفرض وجود الفكر الإمامي ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) على الأجواء العلمية،^٦ فتمكن من كهرة الجوال العلمي بآثاره وندواته العلمية العامة بالنقد والإبرام والنقاش الحر،^٧ وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء ومن سائر الطوائف،^٨ كما كان له موقف ضد الصوفية ومدعي التصوف، فألف كتاباً (الرد على أصحاب الحلاج)،^٩ فعد الشيخ المفيد من ابرز المتكلمين لما اشتهر به من كثرة الكلاميات في مصنفاته، فضلاً عن

(ت ٤١٣هـ)، وعلي بن الحسين الشريف المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦هـ)، واحمد بن عبد الله النجاشي (ت ٤٥٠هـ)، و

محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) وغيرهم، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٨١، ٣٨٥، ٤٠٤.

١. إقبال، آل نوبخت، ص ١٣٤.

٢. الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، ج ١، ص ٩٨.

٣. إقبال، آل نوبخت، ص ١٢٩.

٤. إقبال، آل نوبخت، ص ١٥٠-١٥١.

٥. ماسنيون، الآم الحلاج، ترجمة الحسين حلاج، ط ١، (بيروت: شركة قدس، ٢٠٠٤م)، ص ١٤٩.

٦. فرحان، حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، ص ٢٥٨.

٧. مؤسسة آل البيت (ع) لأحياء التراث، مقدمة تحقيق كتاب جامع المقاصد للشيخ الكركي، ج ١، تكملة مقدمة التحقيق ص ١٤-١٥.

٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٩.

٩. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٨٣؛ الطهراني، الذريعة، ج ١٠، ص ١٨٥.

مناظراته و محاججاته في الرد على الخصوم، وقد كرس حياته لدعم عقيدة الشيعة والدفاع عنها، فأنقذت مناظراته الكثير من الخلائق من الضلال، واستقطبت الناس إلى التشيع،^١ ويمكن أيضاً في كتابه (المسائل الجارودية) من تحديد ما يجب اعتقاده لطائفة الشيعة الإمامية، مميزاً عقائدها عن ما اعتقدته (الفرقة الجارودية)^{٢، ٣}.

وفي سنة (٤٢٠هـ) ألف زعيم الشيعة آنذاك الشريف المرتضى. كتابه (الانتصار) في الفقه،^٤ بطلب من الوزير (عميد الدين)^٥ لبيان المسائل الفقهية للشيعة الإمامية، والرد على شبهة من شنع عليهم بأنهم خالفوا الإجماع، فأثبت لهم إن أكثرها يوافق فيه الشيعة غيرهم من علماء وفقهاء المذاهب الإسلامية الأخرى، وإن أدلتها واضحة ومأخوذة من الكتاب والسنة،^٦ فعد كتاب (الانتصار) أول كتاب للشيعة في الفقه المقارن^٧ فقال في مقدمته: "أما بعد: فإني ممثّل ما رسمته الحضرة السامية الوزيرية العميدية... من بيان المسائل الفقهية التي شنع بها على الشيعة الإمامية، وادعي عليهم مخالفة الإجماع وأكثرها موافق فيه الشيعة غيرهم من العلماء والفقهاء المتقدمين أو المتأخرين... وأن أبين ذلك وأفصله وأزيل الشبهة المعارضة فيه"،^٨ كما أوضح أن تفرد الشيعة في إحدى المسائل الفقهية ليس بدعة، فكل مذهب لديه خصوصية يجب أن لا تستهجنها المذاهب الأخرى.^٩

ـ موقف علماء الشيعة الإمامية من حركة القرامطة

١. جعفریان، الشيعة في إيران، ص ٢٨٥.
٢. الجارودية: هم أتباع أبي الجارود زياد بن أبي زياد، وقالوا بتفضيل الإمام علي (ع)، وزعموا إن من دفع علياً عن مكانه فهو كافر، وإن ألامه قد كفرت وضلت في تركها بيعته واختيار أبو بكر، وجعلوا الأمامه من بعده في ولده الإمام الحسن (ع) ثم الإمام الحسين (ع) ثم تكون شوري بين أولاده، فمن خرج منهم مستحقاً للإمامة فهو الإمام. ينظر: النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٦.
٣. الطهراني، الذريعة، ج ٢٠، ص ٣٥١.
٤. الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٢٩٤.
٥. ذكر صاحب كتاب أعيان الشيعة أن الوزير هو عميد الجيوش أبي علي الحسن بن أستاذ هرمز (ت ٤٠١هـ) الذي تولى تدبير أمور العراق زمن السلطان البويهبي بهاء الدولة، وأن اسم عميد الدين لم يعثر على من لقب بهذا الاسم من الوزراء الشيعة في عصر الشريف المرتضى، وعميد الجيوش وإن لم يذكر أنه تولى الوزارة، لكن ظاهراً كان يجري مجرى الوزراء، كذلك فهو يعد وزير حرب، ينظر: الأمين، أعيان الشيعة، ج ١، ص ١٨٨.
٦. الطهراني، الذريعة، ج ٢، ص ٣٦٠.
٧. الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٢٩٢.
٨. الشريف المرتضى، مقدمة كتاب الانتصار، ص ٧٥-٧٦.
٩. الشريف المرتضى، مقدمة كتاب الانتصار، ص ٧٦.

ازداد الضغط على علماء الشيعة الأمامية من قبل السلطة العباسية بعد ظهور (ثورة القرامطة)^١ سنة ٢٧٨هـ في الكوفة ومناطق جنوب العراق، وخصوصاً إن القرامطة كانوا من الشيعة، في حين أنهم من الشيعة الإسماعيلية، الذين يتعارضون في كثير من الاعتقادات مع مذهب الأمامية الأثنى عشرية،^٢ لكن السلطة العباسية قد اتخذتها ذريعة لممارسة عملية القتل الاضطهاد ضد الشيعة الأمامية، وخاصةً بعد ارتكاب القرامطة جرائم القتل والاعتداء والسلب والنهب للأموال،^٣ تولد أيضاً حالة العداء عند الأوساط الشعبية المؤيدة للسلطة العباسية، ضد طائفة الشيعة عموماً، والشيعة الأمامية بشكل خاص،^٤ حتى أصبح الأمر عليهم حاداً والسيف يقطر دماً.^٥

لم يكن يرضى علماء الشيعة الأمامية إن يكونوا في عزلة عن الأحداث للنجاة بأنفسهم، ويقبلون ما شنع عن مذهبهم من اتهامات، فسعوا للتصدي لتلك التيارات المنحرفة بكل عزم، ونقد الفكر الاستلالي للقرامطة، بعد أن ازداد إتباعهم ونفوذهم بعدة مناطق في العراق. قام الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ) المعاصر لتلك الحركة، بالرد على أفكارهم، ونقدهم بكل شجاعة في كتابه (الرد على القرامطة)،^٦ وعلى الرغم من كون الكتاب من المؤلفات المفقودة، لكن برزت أهميته من الجهة العقائدية بشكل كبير،^٧ إذ أن الشيخ الكليني قد أوضح من

١. القرامطة: هم من فرقة الشيعة الإسماعيلية، التي قالت بإمامة محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، وقيل أنها سميت بهذا الاسم نسبة لرئيس كان لهم من أهل السواد في ناحية خورستان يلقب بـ (بقرمطويه)، ومن أفكارهم زعموا أن محمد بن إسماعيل لم يمت، وأنه غائب ومتستر في بلاد الروم، وأنه القائم المهدي، ويجب قتل من قال بإمامة موسى بن جعفر وولده، كما استحلوا سفك الدماء، وأخذ الأموال، وقد كثر عددهم وقويت شوكتهم سواء بالكوفة أو اليمن أو نواحي البحر واليامة، وقد قاموا سنة (٣١٧هـ) بمهاجمة مكة، ونزعوا الحجر الأسود من الكعبة، وقاموا بمهاجمة الحجاج المتوجهين من بغداد إلى مكة، وقتل الكثير منهم وسلب أموالهم. الأشعري، كتاب المقالات والفرق، ص ٨٣-٨٦؛ النوبختي، فرق الشيعة، ص ١١٩-١٢٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٢٣-٢٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص ٢٨٨.

٢. الإسماعيلية: هي إحدى فرق الشيعة، والتي زعمت أن الإمام بعد جعفر بن محمد الصادق (ع) هو ابنه إسماعيل، وأنكرت موته في حياة أبيه، وقالوا إنما ذلك تليس، وزعموا أن إسماعيل سوف يملك الأرض، وأنه هو القائم المهدي، الأشعري، المقالات والفرق، ص ٨٠؛ النوبختي، فرق الشيعة، ص ١١٤-١١٥.

٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٥٣؛ علي، المهدي المنتظر، ص ١١٧.

٤. علي، المهدي المنتظر، ص ١١٧.

٥. الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٢٩٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣١٧.

٦. الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٠؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٦١؛ الطوسي، الفهرست، ص ١٣٥.

٧. حسيني، حياة الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ص ٢٩٢.

خلاله للأوساط الشعبية الاختلافات ما بين ما يعتقده القرامطة وبين معتقدات مذهب الشيعة الإمامية، ومن جهة أخرى فإنه قد قدم جهداً في كتابه هذا لطائفة الشيعة وإتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) من أجل تحصينهم ضد الفكر القرمطي،^١ وذكر حسيني: ^٢ أن الكتاب بعنوانه قد حمل مسحه كلامية، الأمر الذي يدل على تضلع الشيخ الكليني بعلم الكلام.

قام علماء الشيعة الإمامية في مناطق أخرى بمواجهة الفكر القرمطي، فقد سبق للمتكلم الفقيه الأمامي الفضل بن شاذان النيسابوري^٣ (ت ٢٦٠هـ) وهو أحد إتباع الأئمة (عليهم السلام)، ومن كبار العلماء الشيعة في خراسان، بمواجهة الاعتقادات التي تمسك بها القرامطة، والرد عليهم في مصنف بعنوان (الرد على القرامطة)،^٤ وصنف الفقيه (علي بن أبي سهل بن حاتم القزويني)^٥ أحد مشايخ الصدوق كتاباً (الرد على القرامطة) للتصدي لأفكارهم الاستلالية.^٦

صنف عدد من علماء الشيعة الإمامية^٧ كتباً في الرد على (فرقة الواقعة)،^٨ وتبدو أهمية

١. السيد، تجارب العلماء في عصر الغيبة، ج ١، ص ١٣٨.

٢. حسيني، حياة الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ص ٢٩٣.

٣. الفضل بن شاذان النيسابوري من كبار الفقهاء والمتكلمين الشيعة الإمامية في خراسان، كان غزير العلم وصنف مائة وثمانين كتاباً، عاصر الإمام الرضا (ع) وروى عنه، وقد اثنى وترحم عليه الإمام الحسن العسكري (ع)، توفي سنة (٢٦٠هـ)، النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٩٥؛ الطوسي، الفهرست، ص ١٢٤.

٤. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٩٥؛ ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص ٩١.

٥. علي بن حاتم بن أبي سهل بن حاتم بن أبي حاتم القزويني، أحد ثقات الشيعة، ومن مشايخ الشيخ الصدوق، له تصانيف كثيرة، وقيل أنه يروي عن الضعفاء، كان حياً سنة ٣٥٠هـ النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٥٢؛ الطوسي، الفهرست، ص ٩٨؛ الطهراني، طبقات اعلام الشيعة ق ٤، ج ١، ص ١٧٦.

٦. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٥٢.

٧. من علماء الشيعة الإمامية الذين كان لهم مصنف في الرد على الواقعة هم: الحسن بن موسى النوبختي، وشيخ المتكلمين أبو سهل إسماعيل النوبختي، وجعفر بن اسحق البجلي الكوفي أستاذ محمد بن أحمد بن قضاة الصفواني، والحسن بن موسى الخشاب أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري، الحسين بن علي بن بابويه القمي أخ الشيخ الصدوق، الحسين بن علي بن سفيان البزوفري الذي قرأ عنه الشيخ النجاشي، ومحمد بن أحمد بن قضاة الصفواني تلميذ الشيخ الكليني، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٣، ٤٢، ٦٣، ٦٧، ١٢٠، ٣٧٥؛ الطهراني، الذريعة، ص ٢٣٤-٢٣٥.

٨. الواقعة: هم إحدى فرق الشيعة، واختلفت هذه التسمية في مقصدها، فهناك الواقعة على الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، والذين قالوا أن الإمامة انقطعت بعد استشهاد، ينظر: النوبختي، فرق الشيعة، ص ٩٧، والواقعة الذين أنكروا مقتل الإمام موسى بن جعفر (ع) وقالوا أن الله قد رفعه وسوف يرده في آخر الزمان، وأنه هو الإمام القائم،

تلك المصنفات مقابل المشاكل التي كانت طائفة الواقعة تشيرها والتي كانت بشكل وبأخرذا تأثير كبير على طائفة الشيعة الإمامية،^١ لكن للأسف الشديد ضاعت معظم هذه المصنفات ولم نعرف عنها سوى ما ورد من نقول من بعض الكتب المتأخرة، وقد عرف إتباع فرقة الواقعة بعنادهم وتعصبهم في الوقوف، حتى وإن سمعوا أدلة وبراهين عن الإمام الحق،^٢ فأخذ علماء الشيعة الإمامية يفندون بالحجج والبراهين ما يعتقدون به إتباع هذه الفرقة، ويشبتون صواب تعاليم فرقة الإمامية الأثنى عشرية،^٣ القائلة بإمامة الإمام محمد بن الحسن (عج)، والقاطعة على حياته وبقائه الى وقت ظهوره وقيامه بالسيف.^٤

- الأسر العلمية الشيعية وأثرها في حقبة الغيبة الصغرى

منذ نهاية القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع ازدادت مكانة آل نوبخت، أخذ نجمهم يلمع في البلاط العباسي، فقد كانوا أهل عقل وأمانة وثقة، ومحل تعظيم وأقدار عند الخلفاء،^٥ وبالأخص شيخ المتكلمين من الشيعة الإمامية، والبارز على نظرائه في زمانه، أبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي (ت ٣١١هـ)، فوصل الى مناصب إدارية مهمة في ديوان الحكومة، حتى أصبح من بين الكتاب وقريباً لمنصب الوزراء،^٦ الأمر الذي انعكس على طائفة الشيعة الإمامية، بتوفر بعض الأمان والعيش بعز، كما تطلعت الشيعة الإمامية للأسرة النوبختية، وعقدوا عليها الأمل في دحض المناوئين للمذهب الشيعي الأمامي، والرد على مخالفيهم،^٧ وكان لدعم الوزير (علي بن محمد بن فرات)^٨ لابي سهل النوبختي (ت ٣١١هـ)

ولم يأتوا بعده بأمام، ينظر: النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٣١، والواقفة على الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) وقالوا انه لم يمت وانه غائب وهو القائم، وانكروا ان له ولد، وقالوا لا يجوز ان يموت؛ لأن الارض لا تخلوا من حجه، النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٥٢.

١. جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، ج ٢، ص ١٩٧.

٢. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٤١-٤٢؛ الطوسي، الفهرست، ص ٩٢.

٣. فياض، تاريخ الإمامية وإسلافهم، ص ٨٤.

٤. المفيد، الفصول المختارة، ص ٣٢١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ٢٣.

٥. المفيد، الفصول العشرة، ص ٧٣.

٦. ابن النديم، فهرست، ص ٢٢٥؛ النجاشي رجال النجاشي، ص ٣٣؛ الطوسي، الفهرست، ص ١٢.

٧. اقبال، آل نوبخت، ص ١٣٨.

٨. ابوالحسن علي بن محمد بن موسى بن فرات، أول وأبرز من تولى الوزارة من آل فرات، كان رئيساً لديوان الخراج عند موت الخليفة المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ) وهو من أشار على وزير المكتفي (العباس بن الحسن) بأن يأخذ البيعة للمقتدر، وتولى الوزارة ثلاث مرات زمن خلافة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ)، عرف بالتشيع، وعلاقته بال نوبخت، قتل هو

والصداقة التي تربطهما دور في تيسير مهمة أبي سهل لدحض أفكار (الحلاج) ودعوته،^١ وإفشاء كذبه في المجالس، وتنفير الجماعة عنه.^٢

كما برز الحسن بن موسى النوبختي (ت ٣١٠هـ)،^٣ العالم الإمامي المتكلم الفيلسوف، الذي أصبحت داره مكاناً يجتمع فيه العلماء والفضلاء ويتباحثون في المسائل العلمية المتنوعة،^٤ وكانت له مناظرات ومسائل مع معاصريه الذين كانوا من الفرق والمذاهب غير الإمامية،^٥ كما رد على الغلاة الذين كانوا يعتقدون بالوهية الإمام علي بن أبي طالب (ع)،^٦ وقال الخطيب البغدادي في ذلك: "وقع إلي كتاب لأبي محمد الحسن بن يحيى النوبختي من تصنيفه في الرد على الغلاة وكان النوبختي هذا من متكلمي الشيعة الإمامية، فذكر أصناف مقالات الغلاة".^٧ كما كانت لأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي (ت ٣٢٢هـ)^٨ مكانة في البلاط العباسي، إذ كان من ذوي الشأن النفوذ، والعاملين في الدواوين،^٩ وأصبح سنة (٣١٢هـ) كاتباً للوزير (أبوالقاسم عبدالله الخاقاني)^{١٠} ألا أنه أقيل بعد ثمانية أشهر وصودرت أمواله،^{١١} ويبدو أنه كان من المتكلمين الشيعة البارزين، وعلى خطى أبيه أبي سهل النوبختي (ت ٣١١هـ) في المناظرة والدفاع عن الدين والمذهب، فقد مدحه الشاعر البحتري (ت ٢٨٤هـ) في قصيدة،

و ولده سنة (٣١٢هـ)، ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

١. إقبال، آل نوبخت، ص ١٤٢.

٢. الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٤٠١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٣، ص ٢٠٤.

٣. أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، عالماً وفيلسوفاً وأديباً، وهو ابن أخت أبي سهل النوبختي، وكان شيخ المتكلمين والمبرز على نظرائه قبل الثلاثمائة وبعدها، ذاع صيته وعلا كعبه، وله الكثير من المصنفات، لم تذكر سنة ولادته، توفي سنة (٣١٠هـ)، ينظر: ابن النديم، فهرست، ص ٢٢٥؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص ٦٣؛ الطوسي، الفهرست، ص ٤٦؛ ابن شهر آشوب، معالم العلماء، ص ٦٨.

٤. ابن النديم، فهرست، ص ٢٢٥؛ الطوسي، الفهرست، ص ٤٦.

٥. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٦٣؛ الطوسي، الفهرست، ص ٤٦.

٦. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ٧، ص ٤١٠-٤١١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٢، ص ٤٠٥.

٧. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ج ٧، ص ٤١٠.

٨. هو ابن المتكلم الإمامي أبي سهل إسماعيل النوبختي، من أشهر الكتاب، ويعد من رجال آل نوبخت المشهورين لمكانته ومنزلته في الدولة، إقبال، آل نوبخت، ص ٢١٧؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٢.

٩. إقبال، آل نوبخت، ص ٢٢٠.

١٠. أبوالقاسم عبدالله بن الوزير أبي محمد بن الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان، وكان ذا لباقة في اللسان وبلاغة وآداب وجود وثروة، ولي وزارة المقتدر سنة (٣١٢هـ)، ثم قبض عليه بعد (٨) أشهر وعزل من الوزارة، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٤٧٤.

١١. أبين الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٤.

واستشف إقبال^١ من خلالها ان أبا يعقوب إسحاق النوبختي استطاع ان يخلص الرعية في القلاع الواقعة ما بين أراضي المسلمين والمناطق نفوذ النصاري من رجل معتدي، وان يجمع الناس بعد فرقتهم، ويغرس فيهم تعاليم مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في العدل والإنصاف.

أصبح السفير الثالث للإمام المهدي (عج) أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي (ت ٣٢٦هـ) محل احترام لدى الخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) واسرته؛ وذلك لما رأوا منه من كرامات،^٢ فكان لا احد يجراً على التعرض اليه،^٣ فضلاً عن نفوذه في البلاط العباسي، وله مكانه وتقدير عند الوزراء،^٤ فكانت تصل اليه الأرزاق والأموال من ابن الفرات لمكاتبته وجلالة قدره عنده،^٥ ويبدو ان هدف السفير الثالث من تدخله في المجال السياسي كان لترسيخ مذهب الأمامية سواء فكرياً أو علمياً في الدولة العباسية، التي كانت تتبع سياسة التهميش وممارسة الضغوطات للوجود الشيعي الامامي في الدولة، فضلاً عن مصادرتها للفكر الامامي ومحاربة انتشاره.

اختلفت أحوال الحسين بن روح مع الدولة العباسية بعد تولي (حامد بن العباس)^٦ الوزارة، وانعكس الأمر تماماً، فقد أتهم بمكاتبته للقرامطة ليحاصروا بغداد، وان أموال الشيعة الأمامية تجبي اليه، وهو يفتي لهم ويفيدهم،^٧ فقبض عليه مع انه دافع عن نفسه وقدم

١. إقبال، آل نوبخت، ص ٢٢٠.

٢. ذكر الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) بعض الكرامات للحسين بن روح النوبختي، وخاصة في قضيته مع الشلمغاني الذي انتهى به الأمر بالقتل والصلب، وكذلك نقل بعض كرامات الإمام المهدي (عج) التي خرجت على يده ومنها: جوابه الى علي بن الحسين بن بابوية (ت ٣٢٩هـ) انه سوف يرزق بولدين فقيهين من جارية ديلمية، اذ ذكر له هذا الخبر قبل ان يتزوج تلك المرأة، فضلاً عن قصة سرور الاهوازي الذي كان اخرس في صباه، فأمر ان يخرج لزيارة الحائر الحسيني فتطق، للمزيد ينظر: الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٣٠٧-٣٠٩.

٣. الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٣٨٤.

٤. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٢، ص ٢٨٣.

٥. الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٣٧٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٢.

٦. حامد بن العباس وزير الخليفة المقتدر، رشح للوزارة من قبل خادم السيدة شغب (ام المقتدر) بعد نكبة ابن الفرات في وزارته الثانية، كان سفه اللسان، سريع الطيش، لكن كرمه غطى على عيوبه، حمل ابن الفرات مسؤولية موته مسموما سنة (٣١١هـ). ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٣، ص ٢٢٨؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٦٨.

٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٤، ص ١٩١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٧.

حججاً على برائته، وذكر الذهبي ذلك وقال: "قد تلطف في الذب عن نفسه بعبارات تدل على رزاقته ووفور عقله ودهائه وعلمه"،^١ فسجن خمس أعوام، وأخرج بعد انتهاء محاولة خلع الخليفة المقتدر الثانية سنة (٣١٧هـ)،^٢ إذ شاوروا الخليفة في أمره وقال: "دعوه فيخيطته جري علينا ما جرى".^٣

صار للسفير الحسين بن روح النوبختي (ت ٢٢٦هـ) منزله عظيمة في عهد الخليفة الرازي (٣٢٠ - ٣٢٩هـ)، إذ أخذت الأنظار تتوجه إليه؛ بسبب كثرة الأموال التي كانت تأتي إليه من الشيعة، وكذلك المكانة التي يتمتع بها، وبما إن الدولة العباسية كانت تعاني من ضائقة مالية، فبدأت تتقرب إلى الشيعة وإلى أبي القاسم للحصول على الأموال، إذ قال الخليفة الرازي: "إن ثراء الحسين بن روح وإضرابه بأخذ أموال الإمامية أمر لا يسوؤني".^٤ تولى علي بن العباس النوبختي^٥ (ت ٣٢٤هـ) الذي اشتهر بالعلم والأدب وولايته الأمام علي وولده (عليهم السلام) مناصب إدارية في الدولة العباسية، إذ أصبح وكيلاً للخليفة المقتدر فيما يريد بيعه من الضياع بعد فشل محاولة خلع المقتدر الثانية سنة ٣١٧هـ، وقد اثبت أبو الحسين النوبختي (ت ٣٢٤هـ) أمانته وإخلاصه في العمل، مما ولد الثقة عند الخليفة المقتدر ليجعله بعد ذلك على بيع الكسوة للجند المقاتلة على اثر نقص الأموال التي لم تعد تكفي لدفع الرواتب.^٦

كان للميول المذهبي الذي يتبعه وزير بني العباس اثر كبير على إتباع ذلك المذهب، إذ كان يهياً لهم متنفساً لممارسة شعائرهم الدينية؛ وذلك من خلال ما يتخذه من اجراءات، توفر لهم الحرية في وقت وزارته، فكان لتولي (علي بن محمد بن الفرات) ذات الميول الشيعي

١. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٤، ص ١٩١.

٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٧؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج ٢، ص ٢٨٣.

٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢٤، ص ١٩١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٢٢٧.

٤. إقبال، آل نوبخت، ص ٢٥٦.

٥. أبو الحسين علي بن العباس النوبختي، ادبياً وشاعراً، ومن مشايخ الكتاب في عصره، عاش طويلاً وعرف بمروءته، روى إخبار عن الشعاعين البحري وابن الرومي بالمشاهدة، كما عاصر أبو سهل اسماعيل النوبختي الذي ينظر إليه بعين الاحترام وترابطهم علاقة واحدة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١٣، ص ٢٦٧؛ إقبال، آل نوبخت، ص ٢٣٠.

٦. مسكوية، تجارب الامم، ج ٥، ص ٢٧٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١٣، ص ٢٦٧.

الوزارة زمن خلافة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) دوراً في منح بعض الأسر الشيعية التفوق على أقرانهم، فاستطاعوا بدعمه ومؤازرته الوصول إلى الوظائف الإدارية في الدولة.^١ دافع (ابن الفرات) عن إعطائه مناصب للشيعية وتعطيل بعض الكتاب، بأنهم أكفاء مخلصون، إذ قال: "يتمتعني الناس بتعطيلي مشايخ الكتاب وتفريقي الأعمال على ال بسطام وال نوبخت، والله لولا أنه لا يحسن تعطيل نفر من العمال قد قتلهم، لما استعملت في الدنيا إلا ال نوبخت دون غيرهم".^٢

بالرغم من أن تشيع آل الفرات وولائهم إلى آل علي (عليهم السلام) كان معلوماً لدى الجميع،^٣ لكنهم اختلفوا عن تشيع الشيعة الأمامية الأثنى عشرية، إذ أيد والد الوزير علي بن محمد بن الفرات (محمد بن نصير النميري)^٤ في دعوته الكاذبة والملحدة، وكان يرعى فرقته، ومنح لها الحماية، وقوى أسبابها وعاضدها^٥ ومع هذا الاختلاف فقد لعب آل الفرات دوراً هاماً في دعم الشيعة الأمامية ومساندتهم.

كان لأسرة آل بسطام رعاية خاصة أيضاً من قبل الوزير ابن الفرات، وبرز من اشتهر من هذه الأسرة الحسين بن بسطام بن سابور الرايات^٦ وأخوه أبوعتاب عبدالله بن بسطام،^٧ اللذان عاشا في عصر الغيبة الصغرى، وإلغا كتاب (طب الأئمة) وهو ما جمعه وشرحه من الموسوعة الذهبية الطبية المشهورة بطب الرضا (ع).^٨

ثبت آل بسطام على خط التشيع إلى زمن السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي، إذ

١. مدرسي، تطور المباني الفكرية للتشيع، ص ٢٨٥.

٢. التنوخي، نشوار المحاضرة، ج ٨، ص ٩١.

٣. مسكوية، تجارب الأمم، ج ٥، ص ٢٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٤٠.

٤. محمد بن نصير النميري البصري، كان أحد أصحاب الإمام أبي الحسن العسكري (ع)، وتنتمي إليه الفرقة النصيرية، ادعى أنه نبي رسول، وأن الإمام علي بن محمد العسكري (ع) أرسله، وكان يغلو في الإمام ويقول فيه بالربوبية، وكان يقول بالتناسخ، وأحل إباحة المحارم ونكاح الرجال لبعضهم، وادعى البابية للإمام المهدي (عج) بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، ففضحه الله بما ظهر منه من الحاد، ولعنه السفير الثاني أبي جعفر محمد بن عثمان وتبرء منه، للمزيد ينظر: النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٤٧-١٤٨؛ الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٣٩٨.

٥. النوبختي، فرق الشيعة، ص ١٤٨؛ الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٣٩٨.

٦. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٩.

٧. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢١٨.

٨. الطهراني، الذريعة، ج ١٠، ص ٤٦.

ايدوا بعد ذلك محمد بن علي الشلمغاني^١ في صراعه مع الحسين بن روح^٢، وبقوا على تأييده حتى بعد مقتله، حتى صار ذكر هذه الاسرة مقترن بدعوة الشلمغاني^٣.

المبحث الثاني: اثر حادثة الغيبة على الارث العلمي لعلماء الشيعة الإمامية

كان للمنجز العلمي لعلماء الشيعة الإمامية اثر ملموس و واضح في الحقبة التي تلت حادثة الغيبة، إذ اكتسبوا من خلاله القدرة على البقاء في محيطهم السياسي المتعارض معهم، والفوز بشرعية الوجود والمحافظة على كيانهم وتثبيتته.

شكلت الروايات المتواترة عن الرسول (ص) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) حول غيبة الإمام المهدي (عج) وظهوره، دافعا لدى علماء الشيعة الإمامية للتأليف في موضوع الغيبة وقد ذكرت كتب الرجال أسماء من له مصنفات في الغيبة ولعل ابرزهم:

العباس بن هشام أبو الفضل الناشري الاسدي (ت ٢٢٠هـ) والذي ذكره الطوسي في جملة أصحاب الإمام علي بن موسى الرضا (ع)،^٤ إذ إن لمؤلفه أهمية خاصة كونه أحد الرواة المباشرين عن الإمام المعصوم كما ان وفاته قبيل الغيبة بنحو أربعين سنة . وكذلك الحسن بن محمد بن سماعة الذي توفي (٢٦٣هـ) بالكوفة وله كتاب الغيبة.^٥

ولعبد الله بن جعفر أبو العباس القمي الذي قدم الكوفة سنة (٢٩٠هـ) كتاب (الغيبة والحيرة)^٦ ويظهر من اسم الكتاب قد شمل مواضيع من شأنها القضاء على حالة الشك والريبة التي انتابت المجتمع الشيعي عقب الغيبة .

١. محمد بن علي بن أبي العزاير الشلمغاني، كان عالماً مستقيماً وموثوقاً عند الشيعة، وله مؤلفات كثيرة في أحاديث الأئمة (عليهم السلام)، ثم ظهرت منه مقالات منكرة، وادعى السفارة للإمام المهدي (عج)، وبعدها نشر بدعة الحلول، وإن الله سبحانه وتعالى قد حل فيه، واستطاع ان يؤثر في بعض الشخصيات الشيعية مثل آل بسطام في بغداد والحمدان في الموصل، وقتل سنة (٣٢٢هـ) في عهد الخليفة الراضي، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٦٢؛ الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٤٠٣-٤٠٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ١٣، ص ٣٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٠٣.

٢. الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٤٠٥.

٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٠٣.

٤. الطوسي، الرجال، ص ٣٦٢.

٥. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٤٠.

٦. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢١٩؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ص ٢١٩.

وللشلمغاني كتاب (الغيبة) ويظهر إن تصنيفه جاء بعد وقوع الخلاف بينه وبين السفير أبا القاسم الحسين بن روح، إذ ذكره الشيخ الطوسي فقال: "وذكر محمد بن علي بن أبي العزاقر الشلمغاني في أول كتاب الغيبة الذي صنفه، وأما ما بيني وبين الرجل المذكور (زاد الله في توفيقه) فلا مدخل لي في ذلك إلا لمن أدخلته فيه، لأن الجناية علي فإني وليها"،^١ ومن عنوان الكتاب يبدو أنه قد اختص بغيبة الإمام المهدي (عج). ومن كتبه كتاب (الأوصياء)^٢ وقد صنفه أيام استقامته،^٣ وعنوان الكتاب يدل على أنه قد اختص بأخبار الأئمة (عليهم السلام)، وقد نقل الشيخ الطوسي خبر ولادة الإمام المهدي (عج) منه فقال: "روى محمد بن علي الشلمغاني في كتاب الأوصياء... لما ولد السيد (ع) تباشراً أهل الدار بذلك".^٤ وعندما سئل الشيخ أبا القاسم الحسين بن روح عن كتب (الشلمغاني) التي كانت تملأ البيوت وقد خرج فيه لعن، فقال: "أقول فيها ما قاله أبو محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما وقد سئل عن كتب بني فضال فقالوا كيف نعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملأى، فقال صلوات الله عليه: (خذوا بما رووا وذرُوا ما رأوا)".^٥

وتناول العالم الفقيه الشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ) في كتابه (الكافي) موضوع الغيبة أيضاً، إذ افرد لإخبار القائم بن الحسن (عج) وغيبته ابواباً خاصة من كتابه.^٦

الغريب فيما كتبه الشيخ الكليني في كتابه (الكافي) عدم ذكراته قد التقى بالسفراء الأربعة ابداً، وعندما ينقل عنهم، فإنه ينقل بواسطتين أو أكثر،^٧ مع أنه سكن بغداد ومعاصراً لهم، كما أنه يعد من كبار علماء الشيعة في تلك الحقبة، ويقول أحد الباحثين: إن السبب يعود في ذلك إلى نظرة مؤرخو الدين الإماميين لمنصب السفراء في أنه لا يدخل ضمن العقيدة الدينية؛ بل إن منصب السفير جاء من متطلبات مرحلة الغيبة الصغرى وحاجة المجتمع

١. الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٣٩١.

٢. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٦٢.

٣. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٥، ص ٣١.

٤. يقصد بالسيد هو الإمام المهدي (عج).

٥. الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٢٤٥.

٦. الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٣٨٩-٣٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٥٨.

٧. الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥.

٨. الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩.

الإمامي للتنظيم،^١ قد يكون هذا الرأي ذا مقبولية، لكن ذلك لا يتعارض مع اللقاء بهم ونقل الاخبار عنهم، كما فعل بعض علماء ومحدثي الإمامية، وربما كان عدم لقائه بهم انطلاقة من مبدأ التقيّة نظراً لوجود الضغوطات التي مارستها السلطة العباسية على علماء الإمامية آنذاك، فعندما ذكر اسم الإمام المهدي (عج) في كتابه (الكافي) ذكره متقطع.^٢

ومن علماء الإمامية الذين كتبوا أيضاً في هذه الحقبة عن موضوع الغيبة (الحسن بن محمد العلوي المعروف بابن أخي طاهر)،^٣ إذ ألف كتاب (الغيبة وذكر القائم (ع)،^٤ وكذلك صنف المتكلم الشيعي (محمد بن القاسم البغدادي)^٥ كتاباً في موضوع الغيبة،^٦ إضافة إلى شيخ البصرة وصاحب التصانيف الكثيرة (عبد العزيز الجلودي)^٧ الذي له كتاب (إخبار المهدي (ع).^٨

وفي أواسط القرن الرابع الهجري انتهى ابن زينب النعماني (ت ٣٦٠هـ) من تأليف كتابه عن الغيبة إذ صرح فيه أنه مضى. على الغيبة نيف وثمانون سنة،^٩ وبذلك يكون تاريخ تأليف الكتاب بحدود سنة (٣٤٠هـ)، وتأتي أهمية الكتاب من التقارب الزمني بين مدة تأليفه وعهد الغيبة الصغرى، فضلاً عن ما رصدته من مواقف للشيعة الإمامية في مسألة الغيبة قد عكست بشكل واضح أوضاع المجتمع الشيعي في تلك الحقبة.

كما روى عدد من علماء الشيعة الإمامية إخبار عن السفراء الأربعة، إذ كان منهم من

١. علي، المهدي المنتظر، ص ٩٧.

٢. الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٨٧.

٣. أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن العلوي المعروف بابن أخي طاهر، اتهم بالكذب وصناعة الحديث، وأنه روى عن المجاهيل، وذكره رجال غرباء لا يعرفون، ولا تطيب الأنفس من روايتهم، عدى ما يرويه عن جده يحيى بن الحسن من روايات وكتب، وكذلك ما يرويه عن علي بن محمد العقيقي، توفي سنة (٣٥٨هـ) ودفن في منزله بسوق العطش ببغداد، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص ٦٤.

٤. الطهراني، الذريعة، ج ١٦، ص ٨٣.

٥. أبو بكر محمد بن القاسم البغدادي، كان من مشاهير المتكلمين الشيعة الإمامية، كان معاصراً لمحمد بن همام الاسكافي المتوفي سنة (٢٣٢هـ)، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٦٥.

٦. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٦٥؛ الطهراني، الذريعة، ج ١٦، ص ٨٠.

٧. أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد الأزدي البصري الجلودي، المؤرخ والأديب، ومن أكابر الشيعة الإمامية، و صاحب التصانيف الكثيرة في مختلف المجالات، توفي سنة (٣٣٢هـ)، للمزيد ينظر: ابن النديم، فهرست، ص ١٢٨؛

النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٣١؛ الطوسي، فهرست، ص ١١٩.

٨. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٣٣؛ الطهراني، الذريعة، ج ١، ص ٣٥٢.

٩. النعماني، الغيبة، ص ١٥٩.

عاصر فترة الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عج)، أو ممن شهد الحادثة ورواها بدون واسطة، أمثال: أبو نصر هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب المعروف بابن برنيه، والذي كان من جهة الأب حفيد لام كلثوم بنت أبي جعفر محمد بن عثمان العمري وقد سمع الكثير من الكلام منها وحدث به، وكان له كتاب في (الأمامه) وكتاب في (إخبار أبي عمرو أبي جعفر العمريين)،^١ ومنهم أيضاً أبو العباس أحمد بن علي بن نوح السيرافي (ت ٤١٠هـ) نزيل البصرة، و صاحب كتاب (إخبار السوكلاء الأربعة)،^٢ ومنهم أيضاً أبو علي محمد بن همام الاسكافي (ت ٣٣٦هـ) الذي كان قد نقل الكثير من الإخبار التي شهدها بنفسه.^٣

كان للجوانب الاجتماعية حضوراً في مصنفات علماء الإمامية في هذه المرحلة، فقد تناولوا فيها المواضيع التي من شأنها ان تهون على عامة الشيعة ما يواجهوه من تحديات ومصاعب، فألف محمد بن همام الاسكافي (ت ٣٣٦هـ) كتاب (التمحيص)^٤ في ذكر إخبار ابتلاء المؤمن وبيان موجبات تمحيص ذنوبه،^٥ فذكر ابن همام في مقدمة كتابه: "ولما رأيت ما شملني والعصاة المهتدية من الاختبار واللاواء والتمحيص والابتلاء في باب معيشتها، وتصرف أحوال الدنيا بها، والامتحان،.... وعلمت بغمزا قاله النبي والوصي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) في هذا المعنى، وما ذكروه من أحوال شيعتهم، ومسارة البلاء إليهم، تمحيصاً عنهم وكفارات لذنوبهم، وما بشروهم به من حميد العواقب فيه، ونهبوا عليه من تفضل الله عليهم بذلك منا منه ورحمة، علمت هذا الكتاب".^٦

أستطاع علماء الإمامية وفي ظل سياسة الحرية الفكرية التي سادت عهد البويهيين المجاهرة بآرائهم ونشر عقائدهم بل ومناقشة آراء علماء الفرق الأخرى، فتركوا مبدأ التقية

١. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٤٢١.

٢. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٨٤؛ الطوسي، الفهرست، ص ٣٧.

٣. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٦٣؛ الطوسي، الفهرست، ص ١٤١.

٤. ورد شك عند بعض الفقهاء والمؤرخين ما بين نسبة كتاب (التمحيص) الى ابو علي محمد بن همام او الى ابو محمد الحسن بن شعبه الحراني صاحب كتاب (تحف العقول) والمعاصر لأبن همام، ويبدو ان الكتاب قد ثبت في الأصل نسبه الى ابن همام، وانما الشك في ان الكتاب قد رواه من غير عنه، أي روايته بالواسطة، فيكون كآمال لابن همام، ينظر الطهراني، الذريعة، ج ٤، ص ٤٣١-٤٣٢.

٥. طهراني، الذريعة، ج ٤، ص ٤٣١.

٦. الاسكافي، التمهيد، ص ٢٨.

واخذوا يحجرون المناظرات ويبيثون تعاليم الإمامية علناً،^١ فأدى ذلك إلى توسيع دائرة الثقافة للفكر الإمامي، وسطع نجم علماء الإمامية، فالتف حولهم طلاب العلم من الشيعة والسنة، وأصبحت مجالسهم أشبه بالمدرسة العلمية التي لمت شتات الكثير من الطلبة ومن مختلف المذاهب.

كما اتبع علماء الإمامية نمطاً جديداً في مصنفاتهم، تميز بالحجثرة والشجاعة، إذ قاموا بذكر مجموعة من الأحاديث عن الأئمة (عليهم السلام) في إثبات صدق الغيبة وحقيقتها، إذ لقد وجد الشيخ المفيد في الحوادث التاريخية باباً مناسباً في طرح موضوع الإمامة وشرح جوانبه والدفاع عن منزلة الأئمة (عليهم السلام) بالأدلة العقلية والنقلية، فاستطاع بواسطتها رسم صورة واضحة عن حياتهم والتأكيد على نص الإمامة، فجاء تأليف كتابي (الجميل) و (الإرشاد) لهذا الغرض.^٢

وسعى الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ) في جهوده العلمية إن يقدم مذهب الإمامية بصيغة جديدة، في ظل الحرية الفكرية التي اتبعها البويهيون، فعد كتاب (الشافي) بأنه مفتاح مذهب الإمامي، وباب الدخول لحقيقة عقائده،^٣ ولم يصنف مثله كتاب في موضوع الإمامة،^٤ إذ استطاع من خلال أدلة عقلية ونقل روايات صحيحة، أن يثبت شرعية الأمامه وضرورة وجودها واستمراريتها، كما رد على ما الصق من تهم وشبهات بطائفة الشيعة في تقديس الإمام وتقديمه على النبي (ص)، والنسب للإمام العلم المطلق بالغيب وغيرها من الصفات التي تعبر عن المغالاة والجهل البعيدة عن حقيقة الفكر الإمامي.^٥

شغل موضوع غيبة الإمام المهدي (عج) اهتمام الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، فصنف كتاب (الغيبة) سنة ٤٤٧هـ، والذي يعد من أهم الكتب التي عالجت الجوانب المختلفة في مسألة الغيبة وإبعادها التاريخية، إذ تضمن حججاً وأدلة تؤكد غيبة الإمام المهدي (عج)،^٦ وقد ذكر

١. فياض، تاريخ التربية عند الأمامية، ص ٨٤.

٢. المفيد، مقدمة كتاب الجميل، تحقيق إبراهيم الأنصاري، ط ٢، (بيروت: دارالمفيد، ١٩٩٣م)، ص ١٨.

٣. الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج ٥، ص ٢٩٤.

٤. الطوسي، الفهرست، ص ٩٩.

٥. الشريف المرتضى، الشافي في الأمامة، ج ١، ص ٣٥ وما بعدها.

٦. جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، ج ٢، ص ٢١٨.

ذلك في مقدمة كتاب (الغيبة) فقال: "إما بعد فإني مجيب إلى ما رسمه الشيخ الجليل، أطال الله بقاءه من إملاء كلام في غيبة صاحب الزمان، وسبب غيبته، والعلة التي لأجلها طالت غيبته، وامتداد استتاره".^١

الخاتمة

شكلت غيبة الإمام المهدي (عج) سنة (٢٦٠هـ) نقطة تحول في المنجز العلمي لعلماء الشيعة الإمامية؛ وذلك لافتراق الشيعة إلى فرق ومذاهب عديدة، فأخذ علماء الإمامية على عاتقهم مهمة الدفاع عن مذهبهم، ودفع الشبهات عنه، وبيان أحقيته، فكان ذلك سبباً لزيادة نشاطاتهم العلمية وإنتاجاتهم الفكرية.

صنف علماء الإمامية الكثير من المؤلفات الفقهية والعلمية والأدبية، كما كانت لهم مجالس وحلقات درس علمية ومناظرات ومناقشات مع علماء المذاهب الأخرى، فكان ذلك الإنتاج الفكري يهدف إلى مواجهة المتغيرات والتحديات التي مرت بها مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

برز خلال تلك الحقبة زعماء وأساطين من علماء الشيعة الإمامية والذين تحملوا مسؤوليتهم في المحافظة على كيان مذهب الإمامية وتثبيت حضوره في الساحة الفكرية التي كانت على درجة من التوتر والتجاذب المذهبي، فقام علماء الشيعة الإمامية بالرد في مصنفاتهم على الفرق الشيعية الأخرى وخاصة الزيدية والجارودية والإسماعيلية والقرامطة، والتي كان لهم نشاطاً وجهوداً في المضمار الفكري والمذهبي، فأظهرت مؤلفاتهم علماء الشيعة الإمامية التي انتجت بعد حادثة الغيبة الفوارق والاختلافات فيما تعتقده تلك الفرق وبين معتقدات الشيعة الإمامية.

١. الطوسي، مقدمة كتاب الغيبة، ص ١.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير: علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ)
- في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبدالله القاضي، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)
- ابن الجوزي: عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد ومصطفى عبدالقادر عطا الله، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)
- ابن الطقطقي: محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ)
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (بيروت: دار صادر، بلا)
- ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)
- لسان الميزان، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م)
- ابن داود: الحسن بن علي (ت ٧٤٠هـ)
- رجال ابن داود، تحقيق محمد صادق بحر العلوم (النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٧٢م)
- ابن شهر آشوب: محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ)
- معالم العلماء، تحقيق محمد صادق بحر العلوم (بيروت: دار الأضواء، بلا)
- ابن طاووس: علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ)
- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم (قم: منشورات الرضي، ١٣٦٣هـ)
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)
- البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط ١ (بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٨٨م)
- الأربلي: علي بن عيسى. (ت ٦٩٣هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة (بيروت: دار الأضواء، بلا)
- الأشعري: سعد بن عبدالله (ت ٢٩٩هـ)، كتاب المقالات والفرق، علق عليه محمد جواد مشكور (مركز انتشارات الاعلمي، ١٣٦٠هـ)

- إقبال: عباس، آل نوبخت، نقلة الى العربية على هاشم الاسدي، ط ١ (مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٥هـ)
- الأمين: السيد محسن (ت ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين (بيروت: دارالتعارف، ١٩٨٣م)
- الأمين: حسن (ت ١٣٩٩هـ)، مستدركات أعيان الشيعة، (بيروت: دارالتعارف، ١٩٨٧م)
- التنوخي: القاضي الحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي (بيروت: دارصادر، ١٩٧١م)
- جعفریان: رسول، الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، ط ١ (بيروت: منشورات دار الحق، ١٩٩٤م)
- الشيعة في ايران، تعريب علي هاشم الاسدي، ط ٢ (مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٣٠هـ)
- الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق محمدرضا جلاي، ط ٢ (قم: مؤسسة أهل البيت، ١٤١٤هـ)
- حسيني: ثامر عميدي، حياة الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ط ١ (قم: دارالحديث، ١٣٨٧هـ)
- الخطيب البغدادي: احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط ١ (بيروت: دارالغرب الاسلامي، ٢٠٠١م)
- الذهبي: محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط ١١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م)
- السيد: كمال، تجارب العلماء في عصر الغيبة، ط ١ (قم: مؤسسة أنصاريان، ٢٠٠٦م)
- الشريف المرتضى: علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ)
- مقدمة كتاب الانتصار، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٥هـ)
- الشافي في الإمامية، ط ٢ (قم المقدسة: مؤسسة اسماعيليان، ١٤١٠هـ)
- الصدوق: محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي اكبر الغفاري،

- ط ٥ (قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٩هـ)
- الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م)
- الطهراني: أغابرك (ت ١٣٨٩هـ)، الذريعة في تصانيف الشيعة (بيروت: دارالأضواء، بلا)
- طبقات أعلام الشيعة، ط ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٩م)
- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)
- الفهرست، صححه وعلق عليه محمد صادق بحر العلوم (قم: منشورات الشريف الرضي، بلا)
- علي: جواد، المهدي المنتظر عند الشيعة الإمامية الأثنى عشرية، ط ٢ (منشورات الجمل، ٢٠٠٧م)
- فرحان: عدنان، حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، ط ١ (قم: دارالمصطفى العالمية، ٢٠٠٩م)
- فياض: عبدالله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع الى القرن الرابع الهجري، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨١م)
- تاريخ التربية عند الإمامية وإسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي (بغداد: مطبعة اسعد، ١٩٧٢م)
- الكليني: محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، أصول الكافي، علق عليه محمد بن جعفر شمس الدين (بيروت: دارصادر، بلا)
- ماسينيون: لويس، آلام الحلاج، ترجمه الحسين الحلاج، ط ١ (بيروت: شركة قدمس، ٢٠٠٤م)
- المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م)
- مدرسي: حسين، تطور المباني الفكرية للتشيع في القرون الثلاثة الأولى، ط ١ (بيروت: دارالهادي، ٢٠٠٨م)
- المسعودي: علي ابن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، وضع فهارسه

- يوسف داغر (قم المقدسة: دار الهجر، ١٩٨٤م)
- مسكوية: احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تجارب الأمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط ١ (طهران: دار سروش للنشر، ٢٠٠٠م)
- المفيد: محمد بن نعمان (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجة الله العباد، تحقيق مؤسسة آل البيت، ط ١ (بيروت: مؤسسة آل البيت، ١٩٩٥م)
- الفصول العشرة، تحقيق فارس الحسون، ط ٢ (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر، ١٩٩٣م)
- الفصول المختارة، تحقيق علي الشريفي، ط ٢ (بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر، ١٩٩٣م)
- النجاشي: احمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، ط ١ (بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٠م)
- النعماني: محمد بن إبراهيم (ت ٣٦٠هـ)، كتاب الغيبة، تحقيق فارس حسون، ط ١ (قم: انوار الهدى، ١٤٢٢هـ)
- النوبختي: الحسن بن موسى (ت ٣١٠هـ)، - فرق الشيعة، ط ١ (بيروت: منشورات الرضا (ع)، ٢٠١٢م)
- ياقوت الحموي: ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، بلا)
- معجم الأدباء، ط ٣ (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠م)

الاستكتاب التفصيلي للملتقي الخامس عشر:

المهدويّة والتحدّيات

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا وَشِدَّةَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا وَوُقُوعَ الْفِتَنِ بَيْنَا وَتَظَاهُرَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْنَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَقِلَّةَ عَدِدِنَا اللَّهُمَّ فَافْرُجْ ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ وَنُصْرٍ مِنْكَ تُعِزُّهُ وَ

إِمَامٍ عَدْلٍ تُظْهِرُهُ» (كمال الدين، ج ٢، ص ٥١٤)

«كذب الوقيتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون» (الكافي، ج ١، ص ٣٦٨)

تمثل المهدويّة الحلم والأمل السامي للشيعة والأمة الإسلامية. والمسلك الحقيقي لهذه الفكرة هو إدارة الإنسان والعالم وتمهيد السبيل للانطلاق نحو تحقيق المجتمع القائم على العبوديّة لله بقيادة إنسانٍ عالمٍ وإعٍ لما يحيط به من البشر والكون ومنزّه عن الأهواء والنوازع النفسيّة.

وفي الوقت الذي تحظى فيه هذه الفكرة باهتمام الشيعة كافة، وتطلّعهم الشديد لها، و نظراً لأهميّتها الاستثنائيّة ومكانتها السامية لديهم، تعرّضت هذه الفكرة لأنواع من التحدّيات والآراء والتفاسيرو التحليلات المختلفة، بل المتعارضة في بعض الأحيان.

كما أنّ طول فترة الغيبة. تماماً كفكرة الغيبة نفسها. هيأ التربة الخصبة لبروز العديد من التحدّيات المختلفة التي شغلت الأفكار واستنزفت الطاقات والإمكانات، وزادت من مصاعب وعقبات بلوغ الأهداف وتحقيق الأمنيات.

والتحدّيات تبرز عند تشخيص الهدف وعند الحركة نحو ذلك الهدف، كما أنّ هذه التحدّيات يمكن أن يكون منشؤها خارجيّاً ومن صنع الأعداء، ويمكن أن تنشأ داخليّاً و تنشب أنيابها بين الأفراد وفي صفوف المجتمع.

ومن المناسب هنا أن توضع هذه التحديات على طاولة النقد والبحث العلمي لإزالة العقبات التي تعترض طريق المفكرين والمحققين لتمييز الصحيح عن الخطأ. أمّا الخطوات اللازمة للبحث عن التحديات وتوضيحها ومجابهتها فتتمثل بالخطوات التالية:

الخطوة الأولى: بيان ماهية المشكلة والتحدّي.
الخطوة الثانية: بيان جذور التحديات ومنشئها وظروفها، وما يترتب عليها من نتائج.
الخطوة الثالثة: تأشير سبل الوقاية ومعالجة التحديات ومجابهتها.

المحور الأول: التحديات العقائدية والثقافية

١. الغفلة عن المبادئ والأهداف

أي الغفلة عن المبادئ والرؤى والقيم والظروف والفرص والقابليات. إنّ إقامة الدولة العالمية التي تدور حول محور العبوديّة بقيادة المهديّ الموعود هي الأمل الذي تتطلع إليه الأمة الإسلاميّة. وعلى المؤمنين أن يضعوا هذا الهدف السامي نصب أعينهم دوماً، وأن يواصلوا السعي في سبيل تحقيقه. وربما كان طول مدّة زمن الغيبة والتأخير في تحقّق مثل هذا الحلم سبباً في نسيانه أحياناً، الأمر الذي يؤوّل إلى غفلة الناس عن تحمّل المسؤوليات التي يترتبها هذا الحلم عليهم، فيضيّعون بذلك ما أمامهم من الفرص المتاحة ويهدرون إمكانيّاتهم.

«اللَّهُمَّ وَلَا تَسْلُبْنَا الْيَقِينَ لِطُولِ الْأَمَدِ فِي غَيْبَتِهِ وَانْقِطَاعِ خَبَرِهِ عَنَّا وَلَا تُنْسِنَا ذِكْرَهُ وَانْتِظَارَهُ وَالْإِيمَانَ وَقُوَّةَ الْيَقِينِ فِي ظُهُورِهِ وَالدُّعَاءَ لَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يُفَنِّطَنَا طَوْلُ غَيْبَتِهِ مِنْ ظُهُورِهِ وَقِيَامِهِ وَيَكُونَ يَقِينُنَا فِي ذَلِكَ كَيَقِينُنَا فِي قِيَامِ رَسُولِكَ ص وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ وَحْيِكَ وَتَنْزِيلِكَ...» (كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٥١٣، ح ٥، باب ٤٥).

٢. الشك والتردد

إنّ فقدان الرؤية العميقة للإمام وغيبته، وغياب الفهم الصحيح للتطلّعات ومصاعبها، والنكسات التي تحصل في مسيرة الوصول إلى الهدف، كلّ ذلك يؤدّي إلى تهيئة الأرضيّة الخصبة لنمو الشكوك و بروز التحديات.

ويمكن لهذه الشكوك أن تمتد بجذورها إلى أعماق قلب الإنسان وأحاسيسه وتصير سبباً في ارتياحه واضطرابه. كما أن طول فترة الغيبة يؤدي أحياناً إلى تعميق الشك والارتياب و ترسيخ جذورها في أعماق الإنسان حتى يصل الأمر به إلى إنكار وعد الله بظهور المهدي الموعود.

«فَقُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَ سُمِّيَ الْقَائِمُ قَالَ لِأَنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ مَوْتِ ذِكْرِهِ وَارْتِدَادِ أَكْثَرِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ فَقُلْتُ لَهُ وَلِمَ سُمِّيَ الْمُنتَظَرُ قَالَ لِأَنَّ لَهُ غَيْبَةً يَكْثُرُ أَيَّامُهَا وَيَطُولُ أَمْدُهَا فَيَنْتَظَرُ خُرُوجَهُ الْمُخْلِصُونَ وَيُنْكِرُهُ الْمُزْتَابُونَ وَيَسْتَهْزِئُ بِذِكْرِهِ الْجَاهِلُونَ وَيَكْذِبُ فِيهَا الْوَقَّاثُونَ وَيَهْلِكُ فِيهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ وَيَنْجُو فِيهَا الْمُسْلِمُونَ.» (كمال الدين و تمام النعمة، ج ٢، ص ٣٧٨، باب ٣٦).

٣. أفول الدين و القيم

إنّ تبديل الدين إلى آداب و أحكام جامدة، و الهبوط به إلى مستوى الأعراف، و انعدام تأثير الدين في حيوية المجتمع، هي بعض مظاهر خمول الدين و جموده. وقد يحصل في مرحلة من مراحل تعاقب الأجيال أن يصير أحد هذه الأجيال - و نتيجة لتغاضيه عن المبادئ و القيم - سبباً في انقلابها، تاركاً خلفه قيماً نقيضة ليوثها للجيل الذي يأتي بعده، فتصير هذه القيم النقيضة تحدياً و تهديداً للأجيال القادمة. و من أمثلة هذه القيم النقيضة: حب الدنيا و التعلق بها، و اتباع الشهوات، و الاستكبار و الأنانية.

مثال روائي: «اللهم وأعزبه الدين بعد الخمول، و أطلع به الحق بعد الأفول...» (المزار الكبير (لابن المشهدي)، ص ٥٨٩).

«و رأيت مسلك الخير و طريقه خاليا لا يسلكه أحد...» (الكافي، ج ٨، ص ٤٠).
«... فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَقَّ قَدْ مَاتَ وَ ذَهَبَ أَهْلُهُ وَ رَأَيْتَ الْجُورَ قَدْ شَمِلَ الْبِلَادَ وَ رَأَيْتَ الْقُرْآنَ قَدْ خُلِقَ وَ أُحْدِثَ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَ وَجَّهَ عَلَى الْأَهْوَاءِ وَ رَأَيْتَ الدِّينَ قَدْ انْكَفَأَ كَمَا يَنْكَفِئُ الْمَاءُ وَ رَأَيْتَ أَهْلَ الْبَاطِلِ قَدْ اسْتَعْلَوْا عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَ رَأَيْتَ الشَّرَّ ظَاهِراً لَا يُنْهَى عَنْهُ وَ يُعْذَرُ أَصْحَابُهُ وَ رَأَيْتَ الْفِسْقَ قَدْ ظَهَرَ وَ اكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَ النِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ وَ رَأَيْتَ

الْمُؤْمِنِ صَامِتًا لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ وَرَأَيْتَ الْفَاسِقَ يَكْذِبُ وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ كَذِبُهُ وَفِرْيَتُهُ وَرَأَيْتَ الصَّغِيرَ يَسْتَحْقِرُّ بِالْكَبِيرِ وَرَأَيْتَ الْأَرْحَامَ قَدْ تَقَطَّعَتْ...» (الكافي، ج ٨، ص ٣٨).

٤. اليأس والقنوط

يحدث أحياناً أن يعقد الإنسان أمله على هدفٍ سامٍ وعظيم، ويكون الوصول إلى هذا الهدف متوقفاً على قطع المسافات البعيدة، كما أنه يتصور أن الوعود التي وعد بها والمتمثلة بنيله ما يتطلع إليه إنما هي وعودٌ لا صلة لها بجهوده ولا تتوقف على مدى ما يبذله من المساعي لقطع هذه المسافات؛ وهذا الأمر يصير سبباً في يأسه وقنوطه.

كما أنه يمكن أن يكون منشأ اليأس هو ما لديه من التصور المسبق عن وجوب حصول المقصود دون أي مشكلةٍ أو خسارة، في حين أن حصول المشقات والخسائر هو من الأمور الطبيعية عند قطع المسافات الطويلة والصعبة، الأمر الذي كان موجوداً أيضاً في حياة أولياء الله، أما توقع الوصول السريع دون مشاكل ولا نكبات فلا ينسجم مع الواقع: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّيْنَاهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» (سورة البقرة: آية ٢١٤).

«اللَّهُمَّ وَلَا تَسْلُبْنَا الْيَقِينَ... حَتَّى لَا يُقَتِّلَنَا طَوْلُ غَيْبَتِهِ مِنْ ظُهُورِهِ وَقِيَامِهِ...» (كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٥١٣، باب ٤٥).

٥. النظرة السطحية

المهدوية هي الهدف الأسمى للأمة الإسلامية نحو هداية الإنسان والمستقبل العالمي، و تحجيم هذه الفكرة وقصرها على إقامة حفلات الميلاد والدعاء بالسلامة والتعجيل بالظهور مع الغفلة عن ما يجب أن تتركه من التأثير في ميادين السياسة والاجتماع والتربية والثقافة وغيرها من المجالات، فهو تحدٍ آخر يهدد سلامة هذه الفكرة.

٦. الاستنتاجات المنحرفة

ومن الاستنتاجات المنحرفة التي تهدد فكرة المهدوية هو إيكال أمر الظهور إلى الله بصورة

تامة، وعدم مقاومة الظلم واللامبالاة تجاهه بحجة أن الظلم هو شرط الظهور وعلّة حصوله، وأمثال ذلك من المفاهيم الخاطئة المنحرفة.

٧. التطبيقات الخاطئة

تحفل المصادر الروائية بالروايات المتضمنة لعلامات الظهور والشروط اللازمة لحصوله، إلا أن اكتشاف مصاديق هذه العلامات وتطبيقاتها هو من الأعمال التي لا يمكن لعامة الناس القيام بها، فهي من اختصاص العلماء؛ وذلك لاحتياجها إلى الاطلاع الوافي على مجموع الروايات وصحة أسنادها مع الكفاءة والقابلية على تشخيص دلالاتها والمراد منها. ومن الأخطار التي تهدد فكرة المهدوية هو التدخل الخاطئ وغير العلمي والمتمثل بإقدام غير المتخصصين من عامة الناس الذين يفتقرون إلى الصلاحية العلمية الواجبة و تجرؤهم على تطبيق علامات الظهور على الأفراد والأمكنة والحوادث دون إحراز معايير ذلك وموازينته الدقيقة.

أما علّة هذه التطبيقات الخاطئة فقد يكون أحياناً بسبب شدة الشوق إلى ظهور الإمام مع الجهل وعدم الالتفات إلى الآثار المخربة للتطبيقات الخاطئة، وقد يكون مصدرها أحياناً أخرى هم المحتالون والانتهازيون الذين يستهدفون استغلال مشاعر البسطاء والاستحواذ على ما في أيديهم عن طريق نشر مثل هذه التطبيقات والمبالغة فيها، كما قد يكون مصدرها حيناً آخر هو حقد الأعداء الذي يقودهم إلى تخريب عقائد المؤمنين.

٨. التوقيت / تعيين وقت الظهور

إنّ تحقق حلم إقامة المجتمع المرتكز على محور العبودية وظهور المهدي الموعود هو من الوعود الإلهية الحتمية التي لا ريب فيها، إلا أنه لم يتمّ تعيين زمان محدّد لقيام هذا المجتمع، بل اقتصر الأمر على بيان علامات هذا المجتمع فقط.

وهناك من يحاول - إما بسبب جهله، أو طمعاً في مكاسب معينة - أن يعيّن وقتاً لهذا الظهور، وهذا العمل يشكّل تهديداً للحياة المؤمنين المعنوية، وله آثاره السلبية الخطيرة.

«عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع)، قال: "سألته عن القائم (ع)، فقال: كذب الوقتون، إنا أهل بيت لا نوقت، ثم قال: أبي الله إلا أن يخلف وقت الموقتين"» (كتاب الغيبة

(النعمانى)، ص ٣٠٤-٣٠٥).

٩. الاستعجال / استعجال ظهور ولي الله دون تهيئة الأسباب والمقدمات

لا إشكال في التسابق والمصارعة إلى الخيرات عند وجود الأرضية والمقدمات، بل هو من الأمور المندوبة. والدعاء لتعجيل الظهور هو من هذا الباب، إلا أن استعجال الظهور دون تهيئة أسبابه ومقدماته هو الاستعجال المرفوض.

والاستعجال يختلف عن السرعة، فإن هؤلاء الذين لا يحركون أنفسهم أو لا يتحركون بما ينسجم مع قدراتهم وظروفهم، يطالبون الله بالتعجيل والاستعجال.

إذن، فالاستعجال هو الطلب من الله أو من وليه أن يسرع ويستعجل حتى بدون وجود المقدمات وتوفر الأسباب.

ومثال ذلك ما نجده في عصرنا الحالي الذي يمتاز بظروفه الصعبة جداً وتعرض الكثير من المسلمين في أطراف الدنيا إلى موجات من هجمات الأعداء ومقتل أو تشريد العديد منهم يومياً، حيث يطالب البعض بتدخل الله وتسريع الظهور، مطلقين ألسنتهم بالاعتراض والتساؤل عن سبب عدم تدخل الله، وعن سبب عدم ظهور إمام العصر، وغير ذلك من الاعتراضات، في حين أنهم يتناسون تقاعسهم عن القيام بما يقع على عاتقهم من الواجبات.

«عن عبدالرحمن بن كثير قال كنت عند أبي عبدالله (ع) ادخل عليه مهزم فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي تنتظرمتي هو فقال يا مهزم كذب الوقاتون وهلك المستعجلون ونجا المسلمون» (الكافي، ج ١، ص ٣٦٨).

المحور الثاني: التحديات الاجتماعية والسياسية

١. الهروب من المسؤولية

إن الدوافع المغشوشة التي تفقد بريقها مع مرور الزمان، وعدم الاطلاع الكافي على المسير وما يشتمل عليه من المشاكل، وتصوّر قصر المسافة، والميول والرغبات التافهة التي تجعل الإنسان يغفل عن أهدافه السامية في منتصف الطريق، وعدم توفر الاستعداد اللازم لمواصلة المسير؛ كل ذلك يبعث على التراخي والهروب وعدم تحمّل المسؤولية.

«ولا تبتلنا في أمره بالسامة والكسل والفترة والفشل واجعلنا ممن تنتصر به لدينك و تعزبه نصروليك ولا تستبدل بنا غيرنا فإن استبدالك بنا غيرنا عليك يسير وهو علينا كبير...» (جمال الأسبوع، ص ٥١٧).

٢. الفتن

الفتنة بمعنى الامتحان تنتسب إلى الله، وهي أحد مقتضيات ربوبيته. أمّا الفتن التي يُبتلى بها المؤمنون في عصر الغيبة فهي على قسمين:

١. الفتن التي يقوم الأعداء بالتخطيط لها وزرعها؛
٢. الفتن التي تبرز نتيجة انعدام الوعي والمتانة الفكرية، وفقدان المعايير.

«الحسن بن محبوب، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليهما السلام). قال: قال لي: لا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة وليجة وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي...» (الإمامة والتبصرة من الحيرة، النص، ص ١١٤).

٣. المصاعب والنكسات

تقترن كلّ حركة - عندما تكون نحو أهداف سامية - بالعداوات والمآزق والمشاكل والمصائب والعثرات. وإذا لم يكن هناك ما يناسبها من الوعي والعمق الكافي فإنها تكون عرضةً لمختلف التهديدات والتحديات.

وفي مقابل ذلك، فإنّ كلّ عملٍ عدائيٍّ - أو مشكلة أو نكسة - إذا جوبه بالطريقة الصحيحة يمكن أن يتحوّل إلى عاملٍ من عوامل القوة والهداية والظفر.

«... فقال رسول الله (ص)... يابن مسعود يأتي على الناس زمان الصابرفيه على دينه مثل القابض على الجمر بكفه فإن كان في ذلك الزمان ذئبا وإلا أكلته الذئاب...» (مكارم الأخلاق، ص ٢٤٤).

٤. اشتباهات المفكرين والخواص

ومن المخاطر المهمة الأخرى التي تجابه الناس في عصر الغيبة هي غفلة العلماء و المفكرين والخواص عن رسالتهم وما عليهم من الواجبات، وعدم معرفتهم الصحيحة بالظروف، والتشخيص الخاطئ للواجبات والمحذورات، والخلاف بين العلماء، و

السطحية في التفكير، والتعلق بملاذ الدنيا، مضافاً إلى ما يقعون فيه من الأخطاء و الاشتباهات .

«... وأبدى ما كان نبذه العلماء وراء ظهورهم فيما أخذ ميثاقهم على أن يبينوه للناس و لا يكتموه...» (مهج الدعوات و منهج العبادات، ص ٦٣).

٥. انعدام الصلة بين العلماء و الناس

يحتاج الناس في عصر الغيبة إلى الصبر و التوجيه، فإذا كانت العلاقة بينهم و بين العلماء قوية و متينة فإن ذلك سيخفف من مصاعبهم و يجعلهم يواصلون المسير، وإذا أخطأ الناس كان هناك من يلجأون إليه لتجاوز هذه الأخطاء. ولكن إذا انقطعت الصلة بين العلماء و الناس حصل الانقسام في المجتمع و بدأ يواجه المخاطر و التحديات.

و هذا الانقسام يمكن أن يقع بسبب أن العلماء الأعلام يسيرون في حياتهم سيرة تنسم بالزهد و التقوى، وإن الناس عندما يظنون أنهم لا يستطيعون أن يكونوا هكذا، أو أنهم يشعرون بأن تأسيهم بهؤلاء العلماء سيكون سبباً في زيادة ثقل التكاليف التي ستقع على عاتقهم، فيبتعدون عنهم.

كما أن هذا الانقسام يمكن أن يقع أحياناً أخرى بسبب تعالي العلماء و حبهم و تعلقهم بالدنيا و تكبرهم و غرورهم الذي يدفعهم إلى توهّم أفضليّتهم على باقي الناس، فينعزلون عنهم.

و قد يحصل هذا الانقسام حيناً آخر بسبب عدم إدراك العلماء لظروف و مقتضيات العصر الذي يعيشون فيه، و عدم اطلاعهم الكافي على التساؤلات التي تشغل أذهان الناس، الأمر الذي يحول دون تقديمهم للإجابات المقنعة الملّية لحاجاتهم.

و أخيراً - و في الكثير من الأحيان - يكون ابتعاد الناس عن العلماء واحداً من الثمار المسمومة لدعايات السوء و تخريب سمعة العلماء من قبل الأعداء.

«... و رأيت الفقيه يتفقه لغير الدين يطلب الدنيا و الرئاسة.... و رأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى و لا يعمل القائل بما يأمر...» (الكافي، ج ٨، ص ٤٠-٤١).

«قال النبي (ص) سيأتي زمان على أمتي لا يعرفون العلماء إلا بشوب حسن...»

(جامع الأخبار، ص ١٣٠).

٦. زيادة الخلافات

لا يجد المتأمل ضيراً في اختلاف أذواق الناس وتصرفاتهم إذا كان الجميع يراعون وحدة الاتجاه والأهداف، أما حين يكون الاختلاف نابعاً من الغموض والجهل وتجاهل الأهداف أو التنازل عن بعضها أو العدول عن المعايير، فهو حين ذاك يمثل تهديداً يجب التفكير في طريقة علاجه.

«عن أبان بن تغلب قال قال أبو عبد الله (ع) كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين - فيأرز العلم كما تأرز الحية في جحرها واختلفت الشيعة وسمى بعضهم بعضاً كذايين وتفل بعضهم في وجوه بعض قلت جعلت فداك ما عند ذلك من خير فقال لي الخير كله عند ذلك ثلاثاً» (الكافي، ج ١، ص ٣٤٠).

٧. المدعون الدجالون

إن هدف المهدوية السامي يمتاز بجاذبية كبيرة، والإمام الموعود لهذه المهدوية له نفوذه العميق في عقول الناس وقلوبهم. وهذا الأمر يدفع بطلاب الجاه والمناصب إلى ادعاء المهدوية أو ما يرتبط بها من قبيل النيابة والصلة والرؤية، وهي ادعاءات تمثل تهديداً للمؤمنين يزيد من صعوبة مواصلة مسيرتهم.

٨. استنكار النشاطات السياسية وتأسيس الحكومة

ومن التحديات المهمة الأخرى التي تجابه الناس في عصر الغيبة هو استنكار ورفض أي حركة أو ثورة أو سلطة قبل ظهور إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه وإقامة حكومته، وذلك بدلاً من محاربة الظلم والثورة عليه والسعي لاستلام السلطة باعتباره واحداً من الضرورات العقلية والدينية.

أما أسباب هذا الخطر الذي يهدد المهدوية فهي عديدة، منها المشكلات التي يكون منشؤها الأعداء الأجانب، أو تكون ثمرة من ثمار غفلة الخواص وحبهم للدنيا، وتكون سبباً في إثارة الشكوك وإلقاء الشبهات، أو توهم عدم كفاءة الدين في إدارة المجتمع.

«ففي رواية عن الإمام الصادق (ع) قال في هذا الصدد: رحم الله عمتي زيدا، لو ظفر لوفي
أثما دعا إلى الرضا من آل محمد وأنا الرضا» (عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٤٩).

٩. تكاثر الأعداء

كلما اتضح طريق الحق وقويت شكيمته، كلما زاد الأعداء من اعتداءاتهم. واشتداد
اعتداءات الأعداء و مساعيهم يجعل المؤمنين عرضة لمخاطر كثيرة ويضع العقبات التي
تعيق مواصلة مسيرهم.

وهذه المشكلة إنما تتطور وتحوّل إلى تحدٍّ يهدّد المجتمع بالخطر عندما يكون ذلك
المجتمع ووجهائه غافلين عن هذه المشكلة و غير مستعدين لها.

مثال ذلك ما كان عليه الحال في الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية حيث كان
البعض يعتقد بأنّ الشاه سيذهب و سترحل معه كافة المشاكل، في حين أنّه بمجرد انتصار
الثورة بدأ العداء الأمريكي و غيره، فلم يكن رجال الثورة واعين لهذه المسألة و مستعدين
لها الاستعداد الكافي، فكانت النتيجة آنذاك هي تحوّل هذا الأمر إلى تهديد خطير و تحدٍّ كبير
يهدّد مستقبل الثورة.

«اللهم! إني أفتتح الثناء... اللهم انا نشكو إليك فقد نبينا صلواتك عليه وآله و غيبة
امامنا و كثرة عدونا، و شدة الفتن بنا و تظاهر الزمان علينا...» (مصباح المتهجد (الشيخ
الطوسي)، دعاء الافتتاح، ص ٥٧٧).

**المؤتمر الدولي
الخامس عشر للعقيدة المهدوية؛**

المهدوية و التحديات

المحور الأول: التحديات العقائدية والثقافية

١. الغفلة عن المبادئ والأهداف
٢. الشكّ و التردّد
٣. أقول الدين و القيم
٤. اليأس و القنوط
٥. النظرة السطحية
٦. الاستنتاجات المنحرفة
٧. التطبيقات الخاطئة
٨. التوقيت / تعيين وقت الظهور
٩. الاستعجال / استعجال ظهور وليّ الله
دون تهيئة الأسباب و المقدمات

المحور الثاني: التحديات الاجتماعية والسياسية

١. الهروب من المسؤولية
٢. الفتن
٣. المضاعب و النكسات
٤. اشتباهات المفكرين و الخواصّ
٥. انعدام الصلة بين العلماء و الناس
٦. زيادة الخلافات
٧. المدّعون الدجالون
٨. استنكار النشاطات السياسية و
تأسيس الحكومة
٩. تكاثر الأعداء

